

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

تُرَدَّدُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي (٢٠)

فِتَاوَى وَرَسَائِلُهَا

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي

قَرَأَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَبَّاسِي

إِثْقَادُ

وَلِيِّدِينَ إِدْرِيسَ بْنِ مَنَسِيٍّ السَّعِيدِينَ صَاحِبِ عَبْدِ



دَارُ الْفَضِيلَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

دار الفضيّلة للنشر والتوزيع

الرياض: ١١٤٣٣ - ص ب: ١٠٣٨٧

تليفاكس: ٢٣٣٣٠٦٣

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
(سكنه الله الفردوس)

ذكر الشيخ عبد الرزاق عفيفي (٣)

فتاوى ورشائلكم

سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي

قرأه وقدم له

فضيلة الشيخ محمد عيسى العباسي

إعداد

وليّد بن إدريس بن منسي

الجزء الأول

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الافتتاح

رفع
عن الرسمى الفتوى
أسكن الله الفردوس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

نهدي باكورة آثار الشيخ المحقق المدقق العلامة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - إلى شباب الأمة ، الغيور على دينه ، المتبع سنة نبيه ، المقتفي آثار وورثة رسوله .

نهدي لهم الجزءين الأول والثاني من سلسلة فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق ، الأول منهما في سيرة الشيخ وبعض الفتاوى ، وقد قام بإعداده الأخ وليد بن إدريس بن منسي . والجزء الثاني في رسائل متفرقة ، ومقالات ، وفتاوى ، جمعها الأخ السعيد بن صابر بن عبده ؛ ليكونا نبراساً على الطريق لمن يريد أن يتفقه في دين الله عز وجل ويرد الله به الخير مصداقاً لقول نبينا محمد ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

ونتركك أيها القارئ الكريم لتقتطف من هذه الثمرات المباركة هذا المجموع النفيس ، والكنز الذي كان دفيناً منذ أمد طويل ، نعم أيها الحبيب فإن لم تكن مثل هذه الفتاوى هي الدرر النفائس والكنوز الغالية في هذا الزمان ، ولم لا تكون كذلك ، وهي الميراث الذي خلفه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ألا وهو العلم ، إنما جاء في الحديث « إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

نسأل الله أن يرزقنا العلم النافع ، والفقه في دينه ، وأن يجعل هذه الأعمال خالصة لوجهه الكريم .

رَفَعُ
عبد الرحمن الفوزي
(سكنه الله الفردوس)

تقديم الشيخ محمد عيد العباسي

الحمد لله الذي هدى عباده لطريق الرشاد وأنقذهم بدينه من تيه الضلال والفساد، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أولي الفضل والسداد. أما بعد . .

فإن من فضل الله على المسلمين أن حفظ لهم الذكر، وأبقى فيهم في كل عصر ومصر علماء مصلحين يذبّون عن الدين، ويدفعون بالحجج النيرات والبراهين الساطعات عن حماه عدوان الحاقدين وسهام الشائنين، مصداقاً لقوله صلوات الله وسلامه عليه: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

- ومن هؤلاء العلماء الأعلام في زماننا الحاضر العلامة الشهير والداعية الكبير الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى الذي توفي من نحو ستين، فقد كان له جهود مشكورة في تعليم الناس أحكام دينهم، والجواب على ما يرد إليه من الأسئلة، والرد على ما يبلغه من الشبهات التي يثيرها ذوو الأغراض الخبيثة والمقاصد المشبوهة.

- ومن آثاره الطيبة الحميدة ما يتضمنه هذا السفر النفيس الموسوم بـ «فتاوى ورسائل» والذي عرض فيه كثيراً من قضايا التوحيد، في مقدمة الجزء الثاني من خلال تفسير سورة الفاتحة، ثم بعد ذلك تعرض في رسالة التوحيد إلى التوحيد وأقسامه، وتحدث عن سبع مسائل في التوحيد، ثم تحدث في وجوب الإيمان بالبعث والنشور وبيان شبهتهم في إنكار يوم القيامة، كما تحدث عن الجنة والنار أنهما مخلوقتان موجودتان الآن باقيتان لاتفنيان، ورد على الشبهات

والتشكيكات التي يوسوس بها أعداء الإسلام حول هذه القضايا ، لكي يفتنوا بعض الشباب المثقف وغيرهم عن دينهم ، ويزينون لهم القبيح من الرأي ، والسيء من العمل ، فتعرض رحمه الله إلى هذه الشبهات واحدة واحدة فَرَدَّ عليها ردّاً علمياً مفحماً دحض به شبهاتهم ، وأبطل استدلالاتهم وأبان وجه الحق المنير وجلاله وجعله قرة عين للناظرين ، ثم بعد ذلك تعرض لقضية محبة أصحاب الرسول ﷺ . . . ، ويوجد بالكتاب رسائل كثيرة مثل رسالة حكم تارك الصلاة ، وأحوال العالم الإسلامي وغيرها ، والكتاب مهم لأنه يوجد به فتاوى وآراء لهذا العالم المحقق المدقق الثقة الذي أدعو الله أن يغفر له ويرحمه ويجعله في عليين ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ .

- وقد تطوَّع الأخ الفاضل السعيد بن صابر عبده لنشر آثار الشيخ ، وشمر عن ساعد الجدّ ، مُبتَغياً بذلك إن شاء الله خدمة هذا الدين ونشر علومه ، والدفاع عنه ، وأداء شيء من حقّ الشيخ الجليل ، فقام بتفريغ الأشرطة التي سُجِّلَتْ فيها بعض الرسائل التي بداخل الكتاب ، وجمع الباقي من أوراق الشيخ الخاصة وأعدّها للطبع ، ورغب إليّ أن أقوم بمراجعتها وإبداء الملاحظات على العمل الذي قام به ، فقمّت بذلك ، ثم كان من توفيق الله وتيسيره أن الأخ الفاضل وليد إدريس وهو من تلامذة الشيخ الفقيه ومن ملازميه في الفترة الأخيرة من حياته ، قام بكتابته ترجمة إضافية للشيخ سجل فيها ذكرياته عنه ، وكثيراً من أخباره ، ونقل طائفة طيبة من أقوال العلماء والفضلاء وطلاب العلم وتلامذته في الثناء عليه ورواية بعض أخباره وشمائله .

وبالإضافة إلى ذلك فقد سجل الأخ وليد مجموعة من الفتاوى والأجوبة التي أجاب فيها الشيخ عن أسئلة وردت إليه ، مما خصه بها أو اطلع عليها ولم

تنشر ، فضمامها إلى الترجمة .

وقد اتفق رأي الأخوين الكريمين الأخ السعيد ، والأخ الوليد على أن يضمما عملهما بعضه إلى بعض ويصدرا ما جمعا وكتابه في هذا الكتاب القيم ، وأن يخصص الجزء الأول لما كتبه الأخ وليد من ترجمة الشيخ وما جمعه من فتاويه، وتخصص الأجزاء الباقية وهي نحو الثلاثة لما جمعه الأخ السعيد من الرسائل والفتاوى ، كما قام الأخ السعيد بالتعليق على الكتاب كله وتخريج آياته وأحاديثه بشكل مختصر .

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - كان على قدم راسخة في أنواع العلوم الشرعية من العقائد، والفرق ، والفقه، والأصول ، والتفسير ، والحديث ، والآثار، والعلوم العربية بأنواعها، بالإضافة إلى الاطلاع الواسع على واقع المسلمين وواقع العالم المعاصر ، كما أوتي ذكاءً وقادراً وذاكرة قوية ، وفهماً ثاقباً ساعده على التحقيق في الأمور المعضلة، والفصل في الأمور المشككة ، فلم يكن جماعاً للمعرفة فقط ، وإنما محققاً مدققاً كالقلة من العلماء الذين كانوا يخوضون في لجج العلم ، ويستخرجون منها كنوز الفوائد ونفيس الفرائد .

كما يحسن أن نشير في هذه المقدمة إلى أن الشيخ العفيفي طيب الله ثراه كان - مثل إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله - يرى كراهية التأليف ، ويرى أنه يكفي المسلمين اليوم العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فحسب فينهلوا منها ، ويستضيئوا بهداهما ، ويستعينوا على فهمهما بما كتبه علماء السلف في ذلك . ويرى أن ما كتبه السلف كاف وواف ، وأن ما يكتبه المعاصرون إنما هو إعادة له أو تشويه لجماله ، وأكثره غثاء لا طائل تحته .

وبناءً على ذلك أقول : إن ما نقدمه في هذا الكتاب - على جودته وحسنه - لا يمثل ما كان عليه الشيخ من العلم الغزير ، والثقافة الواسعة ، والتحقيق المتين ، وسببه ما قدمته من رأيه في التأليف ، ولذلك فهو مقتصد فيه إلى حد كبير ، بل إنه كان لا يسمح بالكتابة عنه . ولو كان يسجل كل ما يعلمه لأتى بالعجب العجاب ، ولما وسعته عشرات المجلدات .

وها نحن نقدم للقارئ الكريم هذا الأثر النفيس لفقيدنا الغالي راجين أن يجد فيه ما يقوي ثقته بدينه ، وما يتسلح به لردّ عدوان المشككين ، والمتحاملين على سنة خير المرسلين عليه أزكى الصلاة والتسليم ، وما يعرفه بجهود العلماء سلفاً وخلفاً وأقدارهم .

- رحم الله الشيخ الجليل وجزى الله خيراً كلّ من دعا إلى الحق ، ودافع عنه ونشره ، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

الرياض في : ٢٣ / ٤ / ١٤١٧ هـ

وكتبه

محمد عبد العباسي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى وينهونه عن الردى ، وينفون بسنة رسوله ﷺ الجهالة والردى .

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ! فما أحسن آثارهم على الناس وما أقبح آثار الناس عليهم ! (١) .

والصلاة والسلام على إمام العلماء وقدوتهم القائل : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء» (٢) .

أما بعد :

فما أعظم فجيعة العالم الإسلامي يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة وألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم . وما أفدح خسارته يومئذ ! وهو اليوم الذي قبضت فيه روح الإمام العلامة الفقيه الأصولي المفسر النحوي البارع في جميع العلوم الزاهد الورع الشيخ أبي أحمد عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي الشنشوري المالكي الأزهري السلفي عن اثنين وتسعين عاماً قضى شطرها بمصر وشطرها بنجد ينشر

(١) هذه الافتتاحية مقتبسة من رسالة السنة للإمام أحمد التي أرسلها إلى مسدد بن مسرهد ونص الرسالة بترجمته في طبقات الحنابلة لأبي يعلى .

(٢) رواه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

العلم ويفتي المسلمين ويدعو إلى الله تعالى في البلدين كليهما ويخرج على يديه أكابر العلماء العاملين يواصلون مسيرته في الدعوة إلى الله على بصيرة .

وقد كان رحمه الله شديد الغيرة على عقيدة السلف الصالح حريصاً على نشرها بكل سبيل والدفاع عنها بكل سلاح ، يزين ذلك كله بتواضعه الجم وزهده في حطام الدنيا وسخائه بما في يده . لذلك عظم المصاب به ولله در شيخنا العلامة صالح بن فوزان - وهو أحد تلاميذ المترجم - حيث يقول :

«إن شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي يرحمه الله شخصية علمية فذة ، فهو شيخ المدرسين وقدوة العلماء السلفيين في هذا الوقت ، فله الفضل بعد الله على كل متعلمي هذا الجيل ممن تخرجوا في الدراسات الشرعية في التفسير والحديث والعقيدة والأصول . . . إلي أن يقول : . . . والآن وقد لقي ربه من ذا سيسد ثلثته ؟

سيد كرنى قومي إذا جد جد همهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر» (١) .

وقد كنت وأنا بالإسكندرية قبل قدومي إلى المملكة أسمع الثناء العطر على الشيخ عبد الرزاق رحمه الله من تلاميذه هناك خاصة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن علي البرماوي رحمه الله ، الذي كان لا يفتأ يحدثني عن جهاد الشيخ عبد الرزاق في نشر السنة والعقيدة السلفية بالإسكندرية مدة مقامه بها ، وكيف أنه كان يذهب إلى مساجد الصوفية يأمرهم بالتوحيد واتباع السنة وينهاهم عن الشرك والبدع مما جعله لا يسلم من أذاهم حتى وصل الأمر إلى أن رفعوا شكواي ضدّه إلى المحاكم .

ثم إنني عندما عازمت على القدوم إلى المملكة أرسل معي الشيخ البرماوي

(١) من مقالة للشيخ صالح بن فوزان .

رحمه الله رسالة إلى الشيخ عبد الرزاق يوصيه فيها بي خيراً، فلما دخلت على الشيخ عبد الرزاق، وأعطيته الرسالة، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ١٤١٠ هـ، قرأها متلهللاً الوجه ثم طفق يسألني عن أحوال الشيخ البرماوي وأحوال الدعوة بالإسكندرية وأظهر لي من الحفاوة والإكرام ما يليق به - وإن لم أكن له بأهل - ثم رد إليَّ الرسالة ولازلت محتفظاً بها، ثم إن الشيخ عبد الرزاق ألح عليَّ أن أتغدى عنده من الغد، وكان معي أحد إخواني فقال: أنت وصاحبك، فقلت له: إني أرجع متأخراً من الدوام، والمسافة بعيدة فقال: ولو، سوف أنتظركما، فلما كان من الغد قدمنا على الشيخ فإذا به قد فتح باب منزله وجلس على كرسي قريباً من الباب، والطعام بالداخل معد على المائدة، فقابلنا بالترحيب كعادته، ولم تخل جلسة الطعام من فائدة علمية، وذلك أن الشيخ ناول كلاً منا صحناً ليغرف فيه وغرف الشيخ لنفسه صحناً ثالثاً، فسألته هل يحصل فضل الاجتماع على الطعام الوارد في قوله ﷺ: «خير الطعام ما تكاثرت عليه الأيدي». وإن لم يكن الاجتماع على نفس الإناء. فأجاب قائلاً: المقصود بالحديث الاجتماع على مائدة واحدة ولا يشترط الاجتماع على نفس الصحن.

ثم إني طلبت من الشيخ أن يحدد لنا موعداً تزوره فيه، فحدد لنا يوم السبت بعد صلاة المغرب من كل أسبوع.

فكنت أتردد على الشيخ رحمه الله في هذا الموعد مع بعض إخواني يشرح لنا فيه عبارة غامضة في كتاب، أو يجيب على استفتاءاتنا، وقد طلبت من الشيخ أن أقرأ عليه في كتاب معين. فقال: الأحسن أن تقرأ أنت وحدك، وما غمض عليك أشرحه لك، فلازمت الشيخ - رحمه الله - نحو أربع سنوات يتخللها

انقطاعات بسبب سفر الشيخ ومرضه ، وغير ذلك .

وقد كنت حريصاً على تسجيل هذه الجلسات المباركة مع الشيخ - رحمه الله - تسجيلاً صوتياً على شريط إلا أن الشيخ رحمه الله رفض ذلك رفضاً قاطعاً ولم يأذن لنا فيه ، فكنت أكتب خلفه الفتاوى المهمة فكان كثيراً ما ينهاني أيضاً عن الكتابة خلفه ، ويقول : لقد كان الإمام ابن حزم ينتقد الإمام ابن القاسم ؛ لأنه كان يكتب كل ما يقوله الإمام مالك ، وكان ينبزه بقوله هو حمار مالك يكتب كل ما يقول ، إلا أن الشيخ - رحمه الله - كان يعقب على هذه الحكاية بقوله : كان ابن حزم بذئ اللسان يقع في العلماء .

وبالرغم من هذا فإنني كنت أكتب خلف الشيخ أحياناً كثيرة حتى تجمعت لدي مجموعة كبيرة من فتاوى الشيخ الخاصة ، والشيخ - رحمه الله - كان يتميز بدقة العبارة والتأني في الإجابة بحيث إن إجابته كانت إجابة من يملئ إملأً مما يسهل على من يرغب في الكتابة خلفه أن يكتب بيسر مع المحافظة على عبارة الشيخ غالباً .

وبعد وفاة الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - ترجم له جماعة من تلاميذه تراجم موجزة في هيئة مقالات ، في الصحف ، والمجلات ، أو محاضرات القوها ، أو تراجم خاصة أرسلوها إلى ولده الأستاذ محمود - حفظه الله - الذي أعطاني نسخة منها ، بالإضافة إلى عدد من الحكايات التي سمعتها مشافهة من الشيخ عبد الرزاق نفسه ومن بعض تلاميذه .

فرأيت أنه من الوفاء للشيخ - رحمه الله - والعرفان لجميله أن أجمع شتات ذلك في كتاب واحد بعد ترتيبه وتهذيبه ، فاستخرت الله تعالى وشرعت في هذا العمل ؛ إذ لم يشكر الله من لا يشكر الناس ، وأولى الناس بالشكر هم الأنبياء

وورثتهم من علماء الأمة ، فلهم منّة قد طوّقوا بها رقاب الخلق ، ومما شجعني على مواصلة هذا العمل ، رغبة الإخوة المسؤولين عن دار الفضيلة للنشر الذين أخذوا على عاقبتهم نشر تراث الشيخ رحمه الله .

ومما شجعني على ذلك أيضاً أنني وجدت كثيراً من الفضلاء قد أملّوا هذا الأمل واستنشدوا من كان لديه شيء من تراث الشيخ أن ينشره لتعم به الفائدة .

فمن ذلك ما قاله الشيخ الدكتور محمد لطفي الصباغ في آخر ترجمته الخطية للشيخ عبد الرزاق :

إن حياة شيخنا المباركة تستحق أن تكتب فيها مؤلفات ، ولست أدعي أن هذه الكلمة قد وفّت فقيدنا العظيم حقه من الترجمة ، ولكنها كلمة وفاء وعرفان بالجميل ، رحمه الله وغفر له ، وأحسن جزاءه .

ومن ذلك أيضاً : ما قاله الشيخ يوسف المطلق بمجلة الدعوة [العدد ١٤٥٨] قال - حفظه الله - :

«وإننا نرجو أن تنشر فتاواه الخاصة بسجل يُستفاد منه زيادة على فتاوى مشايخنا ، وعلمائنا ، وعلى رأسهم سماحة عالم الأمة الشيخ عبد العزيز بن باز و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ا.هـ . .

ومن ذلك أيضاً : ما قاله الأستاذ محمد عبد الله الشريف عضو مجلس الشورى في جريدة الرياض الصادرة يوم ١/٤/١٤١٥ هـ :

«إن من حق الشيخ عبد الرزاق عفيفي على طلبته الذين تتلمذوا على يديه ونهلوا من معرفته وعلمه ، أن يقوموا بجمع تراثه العلمي ، ومؤلفاته ، ورسائله ، وفتاويه ، وسيرته ، وينقحوها ويطبعوها ليستفيد منها كل طالب علم لأنه رحمه الله كان يتصف حتى بالزهد عن طباعة المؤلفات » ا.هـ .

وتحقيقاً لبعض ما رغب فيه هؤلاء الأفاضل ، شرعت في هذا العمل مستعيناً بالله تعالى على إتمامه ، وعلى أن يخرج بالصورة اللائقة بالترجم رحمة الله .

وقد قسمت هذا الكتاب إلى قسمين :

أ - قسم للترجمة ، جعلته مرتباً على فصول كما ستجده - إن شاء الله - .

ب - وقسم للفتاوى الخاصة .

والجدير بالذكر أنني لم أذكر في قسم الفتاوى إلا ما سمعته من الشيخ - رحمه الله تعالى - بأذني ، وكتبته عنه بقلم ، ولم أكتب فيه شيئاً لم أسمعه بنفسه من فم الشيخ عبد الرزاق عليه سحائب الرحمة .

وقد أوردت عقب هذه المقدمة ، صورة ورقة بخط المترجم - رحمه الله - يوصي فيها بقبول شهادة العبد الفقير كاتب هذه السطور لتحصل الثقة - إن شاء الله - فيما أرويه عن الشيخ من الفتاوى .

وأختم هذه المقدمة بنداء أوجهه إلى طلبة العلم في هذا العصر الذي ابتلينا فيه بظاهرة غريبة ، هي إهمال الترجمة ، والتأريخ للمعاصرين ، ولمشايخهم إهمالاً عجيباً لا نظير له في أي عصر من العصور السابقة ، فقد دأب أسلافنا على تصنيف تواريخ خاصة بكل بلد على حدة كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، وتاريخ نيسابور ونحوها ، وتواريخ عامة للقرون كخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، وطبقات للحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والقراء ، والنحاة مما يطول ذكره .

ثم يجيء مَنْ بَعْدَهُمْ فيذيل على تواريخهم وطبقاتهم ، لكنه من المؤسف الآن أنك ترى مئات من الأعلام في أنحاء العالم الإسلامي تقبض أرواحهم هذا

مقرئ، وهذا محدث، وهذا نحوي، وهذا زاهد عابد، فتموت معهم أخبارهم، ولا يجدون من تلاميذهم، ومحبيهم من يتصدى لنشر فضائلهم حتى إن المرء - ومن جرب عَرَفَ - يعاني الأمرين حين يبحث - في الأسانيد المتأخرة - عن ضبط اسم علم، أو تاريخ مولده، أو وفاته، أو تعريف بمشايقه وتلاميذه ولو أن كل طالب علم ذكر ما يعرفه عن أحوال مشايخه لتجمع من ذلك ما يكمل بعضه بعضاً وتتم به الفائدة .

فإن قال قائل : ما فائدة التراجع ، والتعرف على سير الرجال ؟ قلت : لها فوائد كثيرة ، منها :

- ١ - حصول الثقة لدى من يأتي بعدهم في علومهم ومؤلفاتهم وفتاواهم .
- ٢ - تثبيت قلوب المؤمنين بسماع قصص أتباع الرسل كما ثبت الله تعالى رسوله بأن قصَّ عليه من قصص الرسل ، قال تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ (١) .
- ٣ - الاقتداء بهم والسير على طريقتهم .
- ٤ - الوفاء لهم وشكر إحسانهم بالتسبب في الترحم عليهم ، والانتفاع بعلمهم عملاً بقوله ﷺ « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » (٢) . وقوله ﷺ : « من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله » (٣) .
- ٥ - التعريف باتصال الأسانيد المارة بهم ، وصحتها سواء أسانيد القرآن

(١) سورة هود ، الآية : ١٢٠ .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي . انظر : صحيح أبي داود للشيخ الألباني ، الحديث رقم ٤٠٢٦ .

(٣) رواه مسلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة [٦٧٤] .

الكريم وقراءاته ، أو أسانيد الحديث النبوي ، أو أسانيد غيره من العلوم والكتب .

وأختتم مقدمتي هذه بحمد الله تعالى ، والصلاة والتسليم على رسوله الأمين وعلى آله ، وصحبه ، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وكتبه أبو خالد وليد بن إدريس بن

عبد العزيز بن منيسي الإسكندري الحنبلي

عفا الله عنه

الرياض ١٠ / ١١ / ١٤١٧ هـ

نشدت لخدمه الموده و در آستانه
 اُسهُ الاخ / عبدالحميد عثمانه
 محتاج الامر عناية جايده بالصاهره و محتاج الامر مساعدته الهه

٢ - عازله اميرسي رفاعي
اشاد بر ايد المذکور بر ايد اميرسي رفاعي
ما المير و ما ريع و ما ريع و ما ريع
٦ - ١٤١٢
عبد الزاوي

عبد الرزاق عفيفي

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
السنة النبوية الفردوس

الفصل الأول

سيرته بمصر

المرحلة الأولى: في شنشور

المرحلة الثانية: في القاهرة.

المرحلة الثالثة: في شين الكوم.

المرحلة الرابعة: في الإسكندرية.

رَفَعُ

الفصل الأول

سيرته بمصر

عبد الرحمن النجدي
أُسَلمَ النُبَيُّ (الفردوس)

اسمه ونسبه : هو أبو أحمد عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي
الشنشوري المالكي الأزهري السلفي .

قضى الشيخ رحمه الله نصف عمره تقريباً بمصر ، ويمكن تقسم حياته بمصر
إلى أربع مراحل :

١ - المرحلة الأولى : من مولده سنة ١٣٢٣ هـ إلى حين حصوله على الثانوية
الأزهرية ، وقد قضى هذه المرحلة في قريته شنشور .

٢ - المرحلة الثانية : بعد حصوله على الثانوية سافر إلى القاهرة للدراسة في
الأزهر ، وظل هناك حتى حصل على شهادة العالمية سنة ١٣٥١ هـ ، ثم شهادة
التخصص في فقه المالكية والأصول سنة ١٣٥٥ هـ ، وشهادة العالمية (بكسر اللام)
تعاادل في وقتنا هذا (البكالوريوس أو الليسانس) ، وشهادة التخصص تعاادل
(الماجستير أو الدكتوراه) .

٣ - المرحلة الثالثة : بعد حصوله على شهادة التخصص ، عين مدرساً بالمعهد
الأزهري بشبين الكوم سنة ١٣٥٦ هـ ، وظل الشيخ مقيماً بشبين الكوم بضع
سنوات .

٤ - المرحلة الرابعة : انتقل الشيخ إلى الإسكندرية وعمل بها مدرساً بالمعاهد
الأزهرية إلى جانب رئاسته لجماعة أنصار السنة بالإسكندرية نائباً عن الشيخ
حامد الفقي الرئيس العام للجماعة ، ثم تم اختياره رحمه رئيساً عاماً للجماعة

أنصار السنة خلفاً للشيخ حامد الفقي رحمه الله ، وظل الشيخ عبد الرزاق بالإسكندرية يدعو إلى التوحيد ، والسنة ، ويحارب البدع وأهلها إلى أن قدم إلى المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز ليواصل سيرته في الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر العلم النافع .

وسوف ننقل في هذا الفصل نبذاً من سيرته - رحمه الله - بكل مرحلة من هذه المراحل عمن عاصر الشيخ فيها .

المرحلة الأولى

في شنشور

شنشور هي القرية التي ولد فيها الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية النوبي ، وهي قرية تابعة لمركز أشمون بمحافظة المنوفية بمصر .

وكانت ولادته - رحمه الله - سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، ومن ينسب إلى شنشور من الأعلام خطيب الجامع الأزهر الشيخ عبد الله بن محمد الشنشوري شارح الرحبية ، المتوفى سنة ٩٨٣ أو ٩٩٩ هـ .

وأسرة الشيخ أسرة كريمة تعد من أعيان البلد ، وأفاضلها تعرف بعائلة النوبي .

وقد ذكر الشيخ محمد لطفي الصباغ أن الشيخ عبد الرزاق حدثه حديثاً طويلاً عن والده - رحمه الله - وما كان يتحلى به والده من الصفات الكريمة .

وقد درس الشيخ في قريته شنشور المرحلتين الابتدائية الأزهرية ، والثانوية الأزهرية حتى نهايتها .

ومن المعروف أن الدراسة في الأزهر في عهد الشيخ ، كانت تنقسم إلى المرحلة الابتدائية ، ثم الثانوية ، ثم الجامعية . وكان يشترط للالتحاق بالأزهر في عهد الشيخ ، حفظ القرآن الكريم كاملاً حفظاً متقناً ، ثم يظل يمتحن في القرآن إلى نهاية دراسته ، ويبدأ في المرحلة الابتدائية بحفظ متون متنوعة في جميع العلوم ، منها : ألفية ابن مالك يبدأ في حفظها بالصف الأول الابتدائي .

ثم يدرس قطر الندى ، وشدور الذهب في النحو في الصفوف التالية ، ثم

شرح ابن عقيل ، ثم شرح الأشموني .

وكانت دراسة الفقه كذلك ، تتدرج مع الطالب حسب المذهب الفقهي الذي يختاره ، فينتقل من كتاب مختصر إلى كتاب أوسع فأوسع ، وهكذا في كل العلوم فلا يكاد الطالب يتخرج من المرحلة الثانوية الأزهرية في ذلك العهد إلا وقد صار متبحراً في جميع الفنون حافظاً لعدد كبير من المتون المعتمدة في كل علم .

ثم توالى المؤامرات على الأزهر بدعوى تيسير المناهج ، وإدخال العلوم الدنيوية على حساب العلوم الشرعية حتى صار المستوى إلى ما هو عليه الآن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المرحلة الثانية

في القاهرة

انتقل الشيخ - رحمه الله - بعد إتمامه المرحلة الثانوية إلى القاهرة للدراسة بالقسم العالي بالأزهر .

ومن التقى به من العلماء في هذه الفترة العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ حامد الفقي، وغيرهما .

وذكر الشيخ عبد الله بن جبرين - حفظه الله - ^(١) أن الشيخ عبد الرزاق أدرك الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا .

قلت : أما محمد عبده . فلم يدركه الشيخ عبد الرزاق قطعاً حيث توفي محمد عبده في السنة التي ولد فيها الشيخ عبد الرزاق سنة ١٣٢٣ هـ ^(٢) .

وأما الشيخ رشيد رضا فتوفي سنة ١٣٥٤ هـ ، وكان عمر الشيخ عبد الرزاق وقتها إحدى وثلاثين سنة ، وكانا مقيمين بالقاهرة . والله أعلم .

هذا ، وقد حدثني الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - عن شيخه الشيخ عبد المجيد الشرنوبى ^(٣) وقال لي : هو صاحب أخصر شرح على ألفية ابن مالك ،

(١) في مجلة الدعوة ، العدد ١٤٦١ تاريخ ١/٥/١٤١٥ .

(٢) الأعلام للزركلي ، ج ٦ ، ص ٢٥٢ .

(٣) هو عبد المجيد الشرنوبى المالكي الأزهرى المصرى أبو محمد ، ولد فى شرنوب التابعة لدمهور ، وأخذ عن إبراهيم السقا ، ومحمد عليش ، وحسن العدوي ، وعبد الرحمن الشربيني ، والشمس الإنبابى . من مؤلفاته : إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك ، وشرح العشماوية فى =

وأنة من أساتذته الذين استفاد من علمهم أثناء دراسته بالأزهر .

ومما حدثنيه الشيخ عبد الرزاق عن فترة دراسته في القاهرة ، أنه كان طالباً في القاهرة أيام الحرب العالمية الأولى ، فكان الطلبة يهجمون على محلات الصاغة اليهود بالقاهرة ، وكان اليهود في هذا الوقت أذلاء ما يجروأ أحدهم على الجلوس أمام محله بل يهربون إلى بيوتهم ، ويغلقون الأبواب عليهم ، وكان هذا في عهد الملك فؤاد واستمر كذلك إلى عهد فاروق .

قال الشيخ عبد الرزاق رحمه الله : كان اليهود أسياداً مادياً لكنهم أرذال أخلاقياً يكتنون الفساق من نسائهم ليكسبوا مالاً . ١ . هـ .

وقد ظل الشيخ بالقاهرة حتى حصل على شهادة العالمية سنة ١٣٥١ هـ ثم شهادة التخصص في فقه المالكية والأصول سنة ١٣٥٥ هـ .

وإليك صورة عن هاتين الشهادتين :

= فقه المالكية ، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني . توفي رحمه الله سنة ١٣٤٨ هـ . له ترجمة في : شجرة النور الزكية ، والأعلام الشرقية لزكي مجاهد ص ٣٤٥ ، ج ٢ ، والأعلام ج ٤ ص ١٤٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

من فؤاد  مدير مديرية التربية والتعليم

المهترمة الأستاذة / مديرة المديرية العامة للتربية والتعليم في محافظة القاهرة

رئيسة مجلس إدارة المديرية العامة للتربية والتعليم في محافظة القاهرة

(١٦ أغسطس ١٩٦٢) من أجل أن هذا المديرية العامة للتربية والتعليم في محافظة القاهرة

دعواتكم إلى العمل في هذا المديرية العامة للتربية والتعليم في محافظة القاهرة

والله اعلم بالصواب، فوالله اعلم بالصواب

عبد الرزاق عفيفي

مدير مديرية التربية والتعليم

مدير مديرية التربية والتعليم

رئيسة المديرية العامة للتربية والتعليم

٢٧٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم
 بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
 بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
 بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
 بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المرحلة الثالثة

في شبين الكوم

ومن كان معاصراً للشيخ عبد الرزاق بشبين الكوم في هذه الفترة : الشيخ مناع خليل القطان الذي كان تلميذاً للشيخ في معهد شبين الكوم الأزهرى ، وها هو يصف هذه الفترة من حياة الشيخ قائلاً :

عُيِّنَ شيخنا مدرساً بالمعهد الدينى بشبين الكوم التابع للأزهر سنة ١٩٣٧م = سنة ١٣٥٦هـ .

توثقت علاقته بمدير المعهد آنذاك «الشيخ عبد الجليل عيسى» فكان موضع شورا .

قام بتدريس مادة الحديث المقررة في المرحلة الثانوية «صفوة صحيح البخاري» فكان أستاذاً متميزاً بترتيب الموضوع ، وجودة العرض ، وحسن التعليق ، ورجاحة العقل ، ويسجل النابهون من طلاقه إضافاته العلمية على هامش الكتاب المقرر .

اتفقت معه الجمعية الشرعية بشبين الكوم برئاسة الشيخ أحمد الزيات على أن يلقي درساً أسبوعاً منتظماً في مسجد ها ، فكان هذا الدرس مدرسة يجتمع فيه الجم الغفير للاستماع والنقاش والحوار .

كان يغشى المساجد الأخرى من وقت لآخر لإلقاء دروس فيها :

وأخذ يجول في البلاد المتعددة لأداء رسالته . وحيث كانت معظم المساجد

لا تخلو من البدع ، ويجهل عامة الناس مسائل العقيدة الصحيحة ، فقد ركز -
غفر الله له - على الجوانب العقدية والعودة إلى منابع أصولها الصافية ، والتمسك
بالسنة الصحيحة ، وما كان عليه أمر المسلمين في القرون المشهود لها بالخير ،
وإذا تعذر عليه التغيير سعى إلى إقامة مسجد خاص يقوم عليه من هداهم الله
ويتخذون منه منطلقاً للدعوة ، وله في هذا مواقف شتى .

المرحلة الرابعة

في الإسكندرية

ومن كان معاصراً للشيخ عبد الرزاق بالإسكندرية في هذه الفترة ، الشيخ حسن محمد إسماعيل - من علماء الأزهر - وكان تلميذاً للشيخ في المعهد الأزهرى بالإسكندرية .

ومما قاله في وصف سيرة الشيخ عبد الرزاق :

كان يمشي في الطرقات فيجد البناء يرتفع على الأرض فيذهب إلى صاحب البيت ، ويطلب أن يشاركه في المصاريف مقابل أن يجعل الدور الأرضي في البناء مسجداً ، وبهذا كان يبني في المعهد دعاة ، ويبني في الشارع مساجد .

وكان يوم من أيام صيف عام ١٩٤٢م = ١٣٦١هـ مرفضة الشيخ برجل يبني بيتاً كبيراً وفي أول دور فقال له : شيخنا بعد أن بدأه محبباً محبباً بالسلام : هل لك شريك في هذا العمل - يقصد بناء البيت - ؟ . فقال الرجل : هو لي وحدي ورثت الأرض عن أبي وأقوم الآن بالبناء ، فرد عليه الشيخ : هل تسمح لنا بتأجير الدور الأرضي لتتخذ مسجداً على أن نعطيك ما تشاء ؟ فقال الرجل - وكان كبير السن وقوراً - : أنا لا أمانع في ذلك أبداً ، وبدون أجر البتة ، بل وسأعنى هذا بنفسى . وكان الرجل يدعى الحاج عبده ، وكان رجلاً فاضلاً ، ولقد صدق الحاج فأكمل البناء ، وأدخل الماء ، والكهرباء ، وبني بالمسجد كل ما يلزم ، وبعد إتمام بناء المسجد افتتح الشيخ المسجد بصلاة العصر ، وكان هذا المسجد أقرب المساجد من ورشة أبي فسهل لي الذهاب والإياب ، وبعد انتهاء صلاة العصر

الأولى بالمسجد أخذ فضيلة الشيخ يعطينا التوعية اللازمة ، وقص علينا قصة إسلام سلمان الفارسي وجعلها نبراساً لنا يضيء لنا الطريق . وفي هذا اليوم ختم الدرس قائلاً : استمعتم إلى قصة سلمان الفارسي الذي كان صغيراً ولم يقتنع بما يعبد أبواه ؛ إذ كانوا من المجوس يعبدون النار . فقال الشيخ : أنتم أسعد حظاً من هذا ، وهو غلام . وقال لنا : ولدتم على الإسلام وتربيتم على الإسلام ، والآن تدرسون الإسلام ، فما مدى هذه السعادة التي أعطاكم الله إياها ! ألا تحسون من قلبي هذا أنكم محظوظون في جميع أطوار حياتكم ؟

إذاً فلا بد من أن تكرسوها للدعوة إلى عبادة من وهبكم كل هذه النعم .

وفي هذا الأسبوع الذي افتتح فيه المسجد ، جاء من القاهرة خبر أثلج صدورنا جميعاً وزاد من فرحتنا ، وذلك أن اللجنة المركزية لجماعة أنصار السنة المحمدية اجتمعت في القاهرة واختارت بإجماع الأصوات فضيلة الشيخ الفاضل عبد الرزاق رئيساً لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقطر المصري ، وتوافدت الوفود على مدينة الإسكندرية تهنيئ شيخنا الجليل بهذا المنصب الحبيب إلى نفوسنا جميعاً ، وسرنا جميعاً أن هذا الاختيار قد جاء بإجماع الأصوات ، وكانت الوفود القادمة من أنحاء القطر المصري تحمل الهدايا لفضيلة الشيخ الذي كان بدوره يقوم بتوزيعها على مستحقيها . ا.هـ .

نماذج من كتابات الشيخ عبد الرزاق

أثناء إقامته بالإسكندرية

وإذا كان الشيخ - يرحمه الله - من مواليد عام ١٩٠٤م - ١٣٢٣هـ ، وقد تخرج في الأزهر الشريف ، ومنح الشهادة العالمية عام ١٩٣٢م - ١٣٥١هـ ، ثم منح شهادة التخصص في الفقه وأصوله ، وعمل مدرساً بالأزهر الشريف ، حتى كان العدد الأول من المجلة حيث حرر فيه مقالين يستطيع القارئ أن يلمس في الشيخ - يرحمه الله - وهو لا يزال بعد شاباً في الثالثة والثلاثين من عمره ، يتمتع بالنظر الثاقب ، والفهم الدقيق ، والأسلوب المعبر ، فهذه كلمات يصف بها علماء السلف من هذه الأمة ، وإني لأرجو أن تكون تلك الكلمات وصفاً له - يرحمه الله تعالى - .

قال - يرحمه الله - :

« فالعالم منهم يجد نفسه - وقد أنعم الله عليه بنعمة العلم ، وعهد إليه أن يبلغه الناس - مضطراً إلى القيام بهذا العبء فلا يعتريه في نشر الثقافة الدينية ، والمبادئ الإسلامية فتور ولا خور ، ولا يقعده عن البلاغ رغبة ولا رهبة ولا خوف من سلطان ، لأن القلب الذي أشرب حلاوة الإيمان يكتسب قوة روحية ، وحصانة دينية ، ونوراً ربانياً ، فلا يجد أحد إلى إغوائه سبيلاً ، فمهما جاهد الشيطان هذا المخلص فلن يتاح له أن يوهن عزيمته أو يمس عقيدته ، وإن قلباً قد صبغ بصبغة الله وتشبع بتعاليم الإسلام حتى ملكت سويداءه ، ليأبى أن يخضع لسلطة قاهر ، أو يهرب بطش جبار في الجهر بكلمة الحق ، بعدما خضع لسلطان ربه واشتد خوفه منه ، وعلم أنه ملك قهار جبار ، بيده نواصي العباد . وإن ذلك

ليخلق منه سيفاً مصلتاً ، وناراً متأججة ، يقذف بها ما عادى الله وبارزه بعصيان
لا يخاف في الله لومة لائم . كان العلماء بذلك قوامين على الدين حفظاً ،
ونشراً ، وبلاغاً ، ونصيحة ، وإرشاداً ، وكانوا خير قدوة للناس ومثلاً علياً في
إصابة الحق وتأييده ، وكشف الباطل وإزهاقه ، قولاً ، وعملاً ، يقصدهم
الناس ، ليكشفوا لهم وجه الصواب ، بما ورثوه عن نبيهم ﷺ ، فيجدوا لديهم ما
يروى غليلهم ، ويزيل شبهتهم ، ويزيد يقينهم وإيمانهم وتعلقهم بشريعة سيد
المرسلين» (١) .

(١) نقلاً عن مجلة التوحيد ، وجريدة المسلمون ، العدد (٥٠٣) .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

هجرته إلى المملكة العربية السعودية

أ - الأعمال التي قام بها في المملكة .

ب - دور الشيخ رحمه الله في هيئة كبار العلماء
واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

هجرته إلى المملكة العربية السعودية

قال الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري:

لا أزال أذكر احتجاج الإمام أبي محمد ابن حزم في رسالته الميزان التي فاضل بها بين الأندلس والقيروان ، وقد أوردها المقرئ كاملة في نفح الطيب ، وعنون لها بالوصف لا بالاسم على أنها في فضل أهل الأندلس ، ثم طبعها الدكتور المنجد عن هذا الأصل بهذا العنوان في رسالة مستقلة .

وقد احتج في هذا الفصل على أن من كان من غير أهل الأندلس وقد عاش فيها ومات بها فهم (أي الأندلسيون) أولى به ، وهو معدود من مفاخرهم ما دام من الأعلام الثقافية والعلمية .

ومن كان أصلاً من أهل الأندلس ثم استبدلها بدار أخرى عاش فيها ومات عندهم فهم أولى به .

قال أبو عبد الرحمن : وعلى هذا القانون تفخر سعوديتنا بعلاقتها بالإمام سماعة الشيخ عبد الرزاق عفيفي قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ولقاه ربه الروح والريحان ، والرضوان ، وأدخله فسيح جناته ، فقد اختار الرياض بلده ومثواه في النصف الأخير من عمره المبارك ، وهو النصف الناضج المليء بالعلم والعطاء .

ولم يأت الشيخ عبد الرزاق رحمه الله إلى المملكة ليكون سلفياً ، وليكون موظفاً . . بل كان منهجه العلمي في الرياض هو منهجه العلمي بمصر قبل أن يدور بخلده أنه يأتي للسعودية ، بل عندما كانت مصر أكثر خيراً وقبل أن تتدفق عندنا ينابيع الذهب الأسود .

وكان نشر «العلو للعلي الغفار»^(١) للحافظ الذهبي - من كتب السلف - من أوائل تحقیقاته المطبوعة القليلة ، وذلك عندما كان بمصر بشبين الكوم ، وكان زملاؤه من أمثال الشيخ محمد عبد الوهاب بحيري ، ومحمد بن راشد ، وابن يابس يقصون أخباره وهو بمصر يخرج التلاميذ أكثر مما يخرج الكتب ، فذكروا عنه علماً وعقلاً ، وعفة ، وسلفية .

ووصلت أخباره لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم فحرص على استقدامه . وكانت السعودية مقر السلفية ، وناشرة علم ابن تيمية ، وزينتها الحرمان الشريفان فرغب الشيخ عبد الرزاق في السعودية لهذه الأشياء ، لأنه سلفي بعقله ووجدانه .

وجاء إلى السعودية على علمه وسجيته لم يجتذبه طمع في مال أو جاه أو منصب ، وعلم الله نيته فانقادت له كل أسباب العز الدنيوي ، وهو لم يطلبها .

(١) قلت : رجح شيخنا الألباني في مختصره الكتاب أن اسمه (العلو للعلي العظيم) . (العباسي) .

الأعمال التي قام بها في المملكة العربية السعودية

جاء في مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش في ترجمته للشيخ عبد الرزاق :

« ثم ندب للعمل بالمملكة العربية السعودية للتدريس بالمعارف السعودية عام ١٣٦٨ هـ ، ثم عمل مدرساً بدار التوحيد بالطائف ، ثم نقل منها بعد سنتين إلى معهد عنيزة العلمي في شهر محرم عام ١٣٧٠ هـ ، ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال عام ١٣٧٠ هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ثم نقل للتدريس بكليتي الشريعة ، واللغة العربية ، ثم جعل مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥ هـ ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء عام ١٣٩١ هـ ، وعُين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ، والإفتاء مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة .

وقد رزقه الله مواهب ، من قوة الحافظة والملاحظة ، وفقه النفس ، وكرس جهده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر ، وعُني بعلوم اللغة ، والتفسير ، والأصول ، والعقائد ، والسنة ، والفقه ، حتى أصبح إذا تحدث في علم من هذه العلوم ظن السامع أنه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته .

وقد كان له عناية خاصة في دراسة أحوال الفرق وهذه الأمور جعلت طلاب العلم يقصدونه في كل وقت ويسمعون منه ، وانتفع بعلمه خلق كثير ، وقد

شارك في أعمال التوعية في مواسم الحج ، وكان رحمه الله يشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا ، كما كان يشترك مع لجان مناقشة بعض الرسائل ، ويلقي بعض الدروس في المساجد لطلبة العلم .

ويقول الشيخ محمد بن لطف الصباغ:

«ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية في سنة ١٣٦٨ هـ ، فدرّس في المعارف ، ثم في دار التوحيد في الطائف ، وكان الملك عبد العزيز قد استدعى شيخنا الشيخ محمد بهجة البيطار ليكون مديراً له ، فعمل فقيداً فيه ، ثم انتقل إلى نجد فدرّس في الرياض ، وعينزة ، ولما أنشئت كلية الشريعة في الرياض كلف القيام بالتدريس فيها ، ولما جئت للتدريس في كليتي الشريعة واللغة عام ١٣٨١ هـ - ١٣٨٢ هـ وكان لي شرف لقائه والاجتماع به ، وكان من أقدر الأساتذة على نقل المعلومات إلى أذهان الطلاب ، يبسط المسألة المعقدة ويوضحها ، وما ذلك إلا لتمكنه من العلم ؛ لأن الإنسان عندما تكون المعلومة واضحة في ذهنه يستطيع أن ينقلها ببسر إلى الآخرين مهما كانت دقيقة وصعبة .

ثم أنشئ المعهد العالي للقضاء في سنة ١٣٨٥ هـ ، وكان الشيخ من المخططين لناهجه ، وعيّن مديراً له ، قد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء .

ثم انتقل إلى دار الإفتاء عام ١٣٩١ هـ فكان عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ، ونائباً لرئيسها وبقي فيها حتى وفاته ، رحمه الله رحمة واسعة . وكان أيضاً عضواً في هيئة كبار العلماء .

وقد أشرف على عدد من الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه وناقش عدداً آخر منها .

ويقول الشيخ مناع بن خليل القطان :

«انتقل الشيخ من مصر سنة ١٣٦٨ هـ ، للعمل بالمعارف السعودية ، فدرّس في عنيزة ، وفي دار التوحيد بالطائف ، وهي نواة التعليم الديني في المملكة العربية السعودية .

وحين عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بإنشاء الرئاسة العامة للكلّيات والمعاهد العلمية سنة ١٣٧٠ هـ ، وقع اختيار سماحته على فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ليسهم في ذلك بما عرف عنه من علم ، وثاقب رأي ، وقربه إليه وجعله موضوع مشورته .

وما لبث الأمر طويلاً حتى طُلبت بأمر خاص أنا والأستاذ الهراس سنة ١٣٧٣ هـ للتدريس في هذه المؤسسة العلمية التي بارك الله فيها ، وآت أكلها الطيب - ولا تزال بحمد الله - باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وعندما توفرت الدواعي لإنشاء دراسات عليا ، ورفع مستوى القضاء أنشئ المعهد العالي للقضاء سنة ١٣٨٤ هـ ، وتولى الفقيه - غفر الله له - إدارة المعهد ، ووضع مع لجنة متخصصة مناهجه ، وقام بالتدريس فيه ، وأشرف على رسائل طلابه .

وفي سنة ١٣٩١ هـ انتقل إلى إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وصار عضواً في هيئة كبار العلماء ونائباً لسماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز في رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

وكان - يرحمه الله - عضواً في اللجنة التي وضعت مناهج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة - كما كنت عضواً فيها - وسهرنا سوياً الليالي المتتابعة لإنجاز هذا العمل .»

ويقول الشيخ زهير الشاويش:

« . . . وانتقل إلى السعودية ضمن بعثة علمية قام بإحضارها أستاذي العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع رحمه الله ، وبعد سنتين اختاره مفتي البلاد الشيخ محمد بن إبراهيم ليكون معه في الرئاسة العامة للمعاهد ، والكليات .

ثم تولي رئاسة المعهد العالي للقضاء ، وبعدها انتقل إلى إدارة البحوث العامة والإفتاء حيث كان الرفيق الأقرب إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله - .

ووجوده في هذه اللجنة أثرى ما أصدرت من فتاوى » .

ويقول الدكتور صالح بن سعود آل علي عضو مجلس الشورى:

« جاء به الملك عبد العزيز مؤسس هذا الكيان وموحد هذه المملكة : جاء به مع علماء آخرين من داخل المملكة ، وخارجها لينفذ بهم ، ومن خلالهم سياسته الصارمة في محاربة الجهل واقتلاع جذوره بعد أن خيم ردحاً من الزمن على أجزاء هذه الجزيرة .

فقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله من ضمن مجموعة من العلماء الذين عملوا في دار التوحيد ، درس ، وحاضر ، ووعى ، ثم لما أمر الملك عبد العزيز - رحمه الله - بفتح المعاهد العلمية ، كان الشيخ عبد الرزاق من أوائل من جاء للتدريس فيها ، وكان مع الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية آنذاك ، ومع الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم عليهم جميعاً رحمة الله ، كان معهم خير معين على السير بهذه المعاهد ، والكليات من بعد ذلك نحو تحقيق الرسالة المنوطة بها .

تولّى التدريس بعد دار التوحيد في المعاهد العلمية ثم في كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض ، وكذا في المعهد العالي للقضاء الذي أسندت إليه إدارته فيما بعد ، إضافة إلى التدريس فيه .

وجاء في مجلة الفرقان ، [العدد ٥٤ ، ص ١٩] :

«ثم انتدب للعمل في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م وقد قام بالمشاركة مع الشيخ محمد علي عبد الرحيم - رحمه الله - الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية ، بتأسيس المعاهد العلمية بالمملكة ، ثم شارك في تأسيس كلية الشريعة واللغة العربية بالرياض ، ثم رأس المعهد العالي للقضاء . . . وحين تأسست هيئة كبار العلماء كان أحد أعضائها ثم أصبح نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة » .

ويقول الشيخ عبد الله الشهراني :

ثم في عام ١٣٦٨هـ ذهبت بعثة تابعة لمديرية المعارف برئاسة الشيخ (محمد بن مانع) - رحمه الله عليه - للتعاقد مع بعض المدرسين للتدريس في المدارس السعودية التي افتتحت لتوها آنذاك . . فكان صاحب الفضيلة الشيخ (عبد الرزاق عفيفي) - رحمه الله - أحد أوائل من تم التعاقد معه ، وما ذلك إلا للسمعة الطيبة التي عُرف بها الشيخ ، فقد كان داعية من أبرز دعاة أنصار السنة المحمدية هناك ، مدافعاً عن عقيدة السلف الصالح ، محارباً للبدع .

وقدم - رحمه الله - إلى هذه البلاد مع عدد من المشائخ الفضلاء ، منهم الشيخ (محمد حسين الذهبي) صاحب كتاب (التفسير والمفسرون) والشيخ (عبد المنعم النمر) - عليهما رحمة الله - والشيخ (يوسف السبع) أستاذ اللغة العربية في (جامعة أم القرى سابقاً) .

وكانت أول مدرسة درّس فيها هي (دار التوحيد) بالطائف ، وقد استمر فيها ستين إلى أن فتح (معهد عنيزة العلمي) فانتقل إليه عام ١٣٧٠ هـ في شهر محرم ، ثم لما كان في شهر شوال من العام نفسه انتقل إلى (المعاهد العلمية بالرياض) إلى أن افتتحت (كلية الشريعة) فيها وفي (كلية اللغة العربية) ، وهكذا ظل يدرّس فيهما حتى أنشئ (المعهد العالي للقضاء) عام ١٣٨٥ هـ ، فكان أول مدير له ، ويشرف عليه ، ويلقي فيه محاضرات ودروساً ، ويشرف - كذلك - على بعض الرسائل العلمية التي يتقدم بها طلاب المعهد .

ثم في عام ١٣٩١ هـ انتقل إلى (الرئاسة العامة للإفتاء) حيث عُيّن نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التي تم تشكيلها برئاسة فضيلة الشيخ (إبراهيم بن محمد بن إبراهيم) - حفظه الله - ثم برئاسة سماحة الشيخ (عبد العزيز بن عبد الله بن باز) المفتي الحالي للملكة - حفظه الله وأمدّ في عمره - ونفع به الإسلام والمسلمين ، وفي الوقت نفسه كان عضواً في (هيئة كبار العلماء) ، وإضافة إلى ذلك كان يشرف على كثير من الرسائل الجامعية^١ . هـ .

دور الشيخ عبد الرزاق عفيفي

في هيئة كبار العلماء

واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

لقد كان للشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - دور بارز في هيئة كبار العلماء منذ تأسيسها . فقد كان الشيخ - رحمه الله - رئيساً لهيئة كبار العلماء بالمملكة في بعض الدورات كما يتضح من توقيعه الذي أوردنا صورته ص [] نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٨ ص ٣٢٢ .

كذلك كان للشيخ - رحمه الله - وجهات نظر على بعض قرارات الهيئة فكان يبيدها ويسجلها كما يتضح من توقيعه الذي أوردنا صورته ص [] نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية العدد ٣١ ، ص ٣٨٠ - ٣٨٢ .

وقد حدثني الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - أنه كان يرى بدعية افتتاح المجلس بالقرآن الكريم ، وأنه لفت نظر أعضاء الهيئة إلى ذلك عندما افتتحوا جلسة لهم بالقرآن الكريم .

كما كان الشيخ - رحمه الله - يعد بعض الأبحاث التي تقدم للهيئة لتناقشها وتصدر حولها ما تراه من قرارات ، ولعل من أنفس البحوث التي قدمها الشيخ ، بحثه حول البورصة حيث شرح فيه أنظمة البورصة ، ومعاملاتها ثم ألحق دقائق مسائلها بأشباهاها ونظائرها في كتب الفقه الإسلامي بما يدل على متانة فقهه ، وسعة إحاطته بالمعاملات العصرية .

وكذلك في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، كان الشيخ نائباً

لرئيس اللجنة لسماحة الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ثم نائباً
لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وواحداً من أربعة أعضاء شاركوا في إصدار
آلاف الفتاوى وعشرات الأبحاث بحيث يصح أن ننسب للشيخ عبد الرزاق ربع ما
صدر عن اللجنة من أبحاث ، وفتاوى في غاية النفاسة وقد عم النفع بها في جميع
أرجاء العالم الإسلامي .

وقد حدثني الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - أنه كان يختلف مع أعضاء
اللجنة في مسائل قليلة منها مسألة إدراك الركعة مع الإمام بإدراك الركوع فكان
الشيخ عبد الرزاق يرى أن المأموم لا يدرك الركعة مع الإمام إلا بالفاتحة كما هو
مذهب الإمام البخاري وغيره . فكان الشيخ عبد الرزاق لا يوقع على الفتاوى
الصادرة من اللجنة في هذه المسألة .

وحدثني الشيخ عبد الرزاق أيضاً أنه قد كتب مقالاً في هذه المسألة قديماً بمجلة
الهدي النبوي انتصر فيه لعدم إدراك الركعة بالركوع ، وإليك نماذج من مشاركات
الشيخ في هيئة كبار العلماء .

وجهة نظر^(١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، وبعد :

فلما كانت الأوراق النقدية لا قيمة لها في نفسها ، ولم تكن قيمتها مستمدة من مجرد إصدار الدولة لها وحمايتها إياها ، وإنما قيمتها فيما أكسبها ثقة الدول بها ، وجعلها مع سن الدولة لها قوة شرائية ، وأثماً للسلع ، ومقياساً للقيم ، ومستودعاً عاماً للادخار ، ولما كان الذي أكسبها ذلك وجعلها صالحة للحلول محل ما سبقها من العملات المعدنية هو ما استندت إليه من الغطاء ذهباً ، أو فضة ، أو ما يقدر بهما من ممتلكات الدولة ، أو إنتاجها ، أو احتياطها ، أو أوراق مالية ، أو أوراق تجارية . . لما كان الأمر كذلك كانت الأوراق النقدية بدلاً عما حلت محلها من عملات الذهب ، أو الفضة التي سبقتها في التعامل بها ، وكانت تابعة لهما فما كان منها متفرعاً عن ذهب فله حكم الذهب ، وما كان منها متفرعاً عن فضة فله حكم الفضة ، وعلى هذا تجب فيها الزكاة كأصلها ، ويقدر فيها النصاب بما قدر به في أصلها ويجري فيها الزكاة كأصلها ، ويجري فيها ربا الفضل ، والنسيئة مع اعتبار أن ما كان منها متفرعاً عن فضة حسب الأصل جنس ، وما كان متفرعاً عن ذهب في الأصل جنس ، ولا يجوز بيع الورقة النقدية بما تفرعت عنه من الذهب أو الفضة . . مع التفاضل ويعتبر قبض الأوراق النقدية في حكم قبض ما حلت محلها من الذهب ، أو الفضة ، هذا وليس بلازم أن يكون في خزانة الدولة ذهب أو فضة بالفعل ما دامت خاماتها ، وسائر إمكانياتها التي تقدر بوحدتها السابقة من الذهب ، أو الفضة قائمة محققة تقوم مقامها في استمرار الثقة بالأوراق النقدية في دولة الإصدار وغيرها من الدول ، وليس

(١) انظر : مجلة البحوث الإسلامية العدد ٣١ ، من ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

بلازم أيضاً أن تسلم مؤسسة النقد ذهباً أو فضلة لحامل الورقة النقدية مقابل ما فيها ما دامت الأوراق النقدية تؤدي وظيفتها وتقوم بما أنشئت من أجله ، فإن لولي الأمر أن يتصرف في غطاء الأوراق النقدية أيّاً كان الغطاء فيما يعود على أمته بالمصلحة من وجوه تنمية الثروة ، والترفيه عن الرعية حتى لا تبقى معطلة في خزينة الدولة أو معرضة للتبديد والتهريب في أيدي الأفراد .

وبهذا يعرف أن عدم وجود الغطاء في خزينة الدولة بالفعل ، وعدم رد المقابل لحاملها لا يعتبر إلغاء للغطاء ولا إبطاء له ما دام الغطاء الذي هو روح العملة وسر الثقة بها موجوداً قائماً مثلاً فيما يثبت ملاءة الدولة وقوة إمكانياتها ، ويكسب الثقة فيها في الداخل والخارج من كل ما يقدر بوحدتها التي كانت الدولة تتعامل بها قبل إصدار الأوراق النقدية ، وإن وجود وحدة متفق عليها كالذهب مثلاً تقاس بها موجودات وإمكانيات الدول ليعرف بها مدى ملاءة كل دولة بالنسبة للأخرى ينافي وجود غطاء لأوراق الدولة النقدية وإن تنوع ، كما أنه لا ينافي وجود وحدة خاصة بكل دولة تتصل بعملتها المعدنية السابقة - وقد سئل سعادة محافظ مؤسسة النقد أسئلة منها ما هو في الموضوع ومن اختصاصه كالأسئلة المتعلقة بالغطاء ، وبالسفر في ارتفاع سعر العملة وانخفاضها فسلم وجود الغطاء ، وإن تنوع وأن من الدول ما لها احتياطي ، ومنها ما ليس لها احتياطي أو لها احتياطي ضعيف ، ومنها ما ليس من اختصاصه بل من اختصاص الهيئة كالسؤال : هل الأوراق النقدية عملة قائمة بنفسها أو بدل عن غيرها ، فإن الجواب عن هذا السؤال من اختصاص الهيئة بعد سؤالها عن مقدمات اقتصادية يبنى على الجواب عنها حكم الهيئة بأن الأوراق النقدية عملة قائمة بنفسها أو بدل عن غيرها حالة محلها .

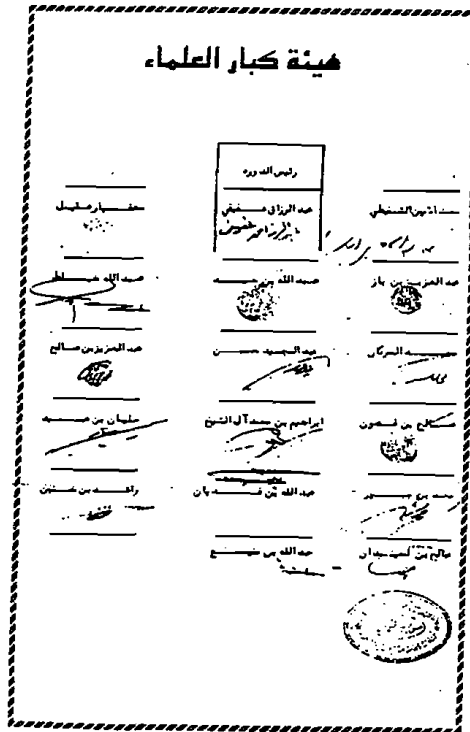
وهناك أسئلة أخرى لم توجه إلى سعادة محافظ المؤسسة إما لضيق الوقت

وقد كان من الممكن أن يستدعى في جلسة أخرى ، وإما لاكتفاء الأكثرية بالإجابة عن بعض الأسئلة ، وبالرجوع إلى ما كتب الأعضاء من الأسئلة ، وجعل عند فضيلة الأمين ، والمقارنة بينها ، وبين الأجوبة يتبين ما ذكرت من عدم توجيه كل الأسئلة لسعادة المحافظ . . والله الهادي إلى سواء السبيل . وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم في ١٦ / ٤ / ١٣٩٣ هـ .

عضو هيئة كبار العلماء

عبد الرزاق عفيفي

استلام طابع الأمة من هذه — — — — — قوتل هيئة كبار العلماء



نموذج من توقيع الشيخ

وهو رئيس لإحدى دورات هيئة كبار العلماء

قرار هيئة كبار العلماء

رقم ٢ وتاريخ ١٣/٨/١٣٩٢هـ

في مسألة اعتبار اختلاف مطالع الأهلة من عدمه

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وعلى وآله وصحبه ،

وبعد :

فبناءً على خطاب المقام السامي رقم ٢٢٤٥١ وتاريخ ١١/٦/١٣٩١هـ المتضمن إحالة موضوع الأهلة إلى هيئة كبار العلماء نظراً إلى أن الموضوع عند دراسة مجلس رابطة العالم الإسلامي في جلسته المنعقدة في ١٥ شعبان عام ١٣٩١هـ وإطلاعها على قرار اللجنة الفقهية المنبثقة من المجلس قررت الموافقة على القول بعدم اعتبار اختلاف المطالع إلا أن بعض أعضاء المجلس التأسيسي رأى التريث في الأمر وزيادة البحث والتقصي في هذا الموضوع .

بناءً على ذلك عرض على مجلس هيئة كبار العلماء في دورتها الثانية المنعقدة في شهر شعبان ١٣٩٢هـ ما أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في موضوع إثبات الأهلة المشتمل على الفقرتين التاليتين :

أ - حكم اعتبار اختلاف المطالع وعدم اعتباره .

ب - حكم إثبات الهلال بالحساب .

وكذا قرار رابطة العالم الإسلامي الصادر منها في دورتها الثالثة عشرة المنعقدة في شهر شعبان عام ١٣٩١ هـ ، ومرفقة بحث اللجنة الفقهية المشكلة من بعض أعضاء مجلس الرابطة في الموضوع ، وبعد دراسة المجلس للموضوع وتداول الرأي فيه قرر ما يلي :

أولاً : اختلاف مطالع الأهلة من الأمور التي علمت بالضرورة حساً وعقلاً ولم يختلف فيها أحد ، وإنما وقع الاختلاف بين علماء المسلمين في اعتبار اختلاف المطالع من عدمه .

ثانياً : مسألة اعتبار اختلاف المطالع من عدمه من المسائل النظرية التي للاجتهاد فيها مجال ، والاختلاف فيها وفي أمثالها واقع ممن لهم الشأن في العلم والدين ، وهو من الخلاف السائغ الذي يؤجر فيه المصيب أجرين : أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة . ويؤجر فيه المخطئ أجر الاجتهاد ، وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

فمنهم من رأى اعتبار اختلاف المطالع .

ومنهم من لم ير اعتباره واستدل كل فريق بأدلته من الكتاب والسنة ، وربما استدل الفريقان بالنص الواحد كاشتراكهما في الاستدلال بقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(١) . وبقوله ﷺ : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته...»^(٢) الحديث . وذلك لاختلاف الفهم في النص وسلوك كل منهما طريقاً في الاستدلال به ، وعند بحث هذه المسألة في مجلس الهيئة ،

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري [١٩٠٩] ، ومسلم [١٠٨٠] .

ونظراً لاعتبارات قدرتها الهيئة ، ولأن هذا الخلاف في مسألة اعتبار اختلاف المطالع من عدمه ليس له آثار تخشني عواقبها . وقد مضى على ظهور هذا الدين مدة أربعة عشر قرناً لا نعلم منها فترة جرى فيها توحيد الأمة الإسلامية على رؤية واحدة . . . فإن أعضاء الهيئة يرون بقاء الأمر على ما كان عليه وعدم إثارة هذا الموضوع وأن يكون لكل دولة إسلامية حق اختيار ما تراه بواسطة علمائها من الرأيين المشار إليهما في المسألة ؛ إذ لكل منهما أدلته ومستنداته .

ثالثاً: أما ما يتعلق بإثبات الأهلة بالحساب فبعد دراسة ما أعدته اللجنة الدائمة في ذلك ، وبعد الرجوع إلى ما ذكره أهل العلم فقد أجمع أعضاء الهيئة على عدم اعتباره لقوله ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته .. »^(١) الحديث . ولقوله ﷺ : « لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه ... »^(٢) الحديث . وبالله التوفيق ، وصلى الله عليه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . .

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري [١٩٠٦] ، ومسلم [١٠٨٠ ، ١٠٨١] .

الفصل الثالث

منزلته عند أعلام عصره وثناؤهم عليه

أما منزلة الشيخ عند علماء مصر قبل قدومه إلى المملكة العربية السعودية فيكفي في ذلك أن الشيخ عبد الرزاق رحمه الله كان من المؤسسين لجماعة أنصار السنة بمصر، وكان نائباً للشيخ محمد حامد الفقي من سنة ١٣٦٥هـ، وكانت له عنده المنزلة الأثيرة، وبعد وفاته انعقدت آراء علماء أنصار السنة على اختيار الشيخ عبد الرزاق رئيساً للجماعة سنة ١٣٧٩هـ.

وقد كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - قد اختير عضواً في هيئة كبار العلماء التي أنشأتها جماعة أنصار السنة بمصر قديماً، وكان من أعضاء هذه الهيئة العلامة المحدث الفقيه الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - والشيخ محمد عبد الحلیم الرمالي، والشيخ حامد الفقي . . وغيرهم من الأعلام .

وبعد قدوم الشيخ عبد الرزاق رحمه الله إلى المملكة كانت له منزلة لا تدانيها منزلة عند سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (١٣١١هـ - ١٣٨٩هـ) وقد حدثني شيخنا صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ - نائب وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف أن جده الشيخ محمد كان يقول عن الشيخ عبد الرزاق : «هذا الرجل ذهب خالص»، وأنه كان يعرض القضية قبل تعيينهم على الشيخ عبد الرزاق فإن رأى الشيخ عبد الرزاق أهليتهم للقضاء عينهم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وإلا فلا .

وقد ذكر شيخنا عبد الله بن قعود - عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة سابقاً - أن الشيخ عبد الرزاق أول قدومه إلى المملكة أعطاه الشيخ ابن

إبراهيم كتاب الإنصاف للمرداوي في الفقه الحنبلي ، وطلب منه أن يقرأه فقال الشيخ عبد الرزاق : لقد قرأته فلم أر مؤلفه ذكر النبي ﷺ من أول الكتاب إلى آخره إلا ثلاث مرات ، فكانت هذه الحادثة من أسباب إعجاب الشيخ ابن إبراهيم بالشيخ عبد الرزاق - رحمهما الله تعالى - .

ويقول الشيخ الدكتور محمد لطفي الصباغ مبيناً منزلة الشيخ عبد الرزاق عند الشيخ ابن إبراهيم :

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتي المملكة يقدره ويستشير ، ويعتمد عليه في كثير من الأمور تقديرأ لعلمه الواسع ، ورأيه الصائب ، وإخلاص الجمل .

والفضل يعرفه ذووه ، وكذلك كان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وأطال عمره (١) .

ويقول الشيخ الدكتور عبد الله التركي - وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والأوقاف - :

فقد فقدنا عالماً فاضلاً ، مريباً لأجيال من العلماء وطلاب العلم ، إنه شيخنا فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، والذي توفي يوم الخميس الماضي الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٤١٥ هـ - رحمه الله وأكرم مثواه - .

لقد فقدنا بفقدنا عالماً فاضلاً ، قضى كل حياته في سبيل العلم تحصيلاً وتعليماً ، نفع الله به عدداً كثيراً من الطلاب الذين تتلمذوا عليه ، أو تتلمذوا على طلابه .

لقد عاصر - رحمه الله - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، منذ

(١) عن ترجمة خطية محفوظة عند الأستاذ محمود بن الشيخ عبد الرزاق

نواتها الأولى، واستمر عطاؤه لها إلى أن توفاه الله يوم الخميس الماضي، وكان من أبرز الذين أفادوا الجامعة في كلياتها ومعاهدها.

ولقد أدرك سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله رئيس الكليات والمعاهد، ومؤسسها بثاقب نظره، وبقدرته في معرفة الرجال ما يتصف به هذا العالم الفذ الشيخ عبد الرزاق عفيفي من علم، وبعد نظر، وقدرة على معالجة الأمور فقربه رحمه الله وعرف مكانته. ويمكن له لإفادة الباحثين والعلماء.

ولقد استمر عطاؤه في الكليات والمعاهد بعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - عليه رحمة الله -، ثم في مجال الإفتاء، والدعوة في رئاسة البحوث العلمية، والإفتاء، والدعوة، والإرشاد، وكان فيها من المقربين لسماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله، ومد في عمره في نشر العلم والدعوة إلى الله والدفاع عن دينه^(١).

ويقول الشيخ صالح الأطرم - عضو هيئة كبار العلماء - :

وكان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمة الله عليه - يعتمد رأيه في المناهج وفي الكتب المقررة^(٢).

ويقول الشيخ الدكتور عبد الله العجلان - وكيل الرئيس العام لتعليم البنات لشؤون الكليات الجامعية - :

إن الفقيه الراحل يحتل الصدارة بين أساتذة الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة وذلك بعلمه، وأدبه، وأخلاقه، وسداد رأيه، وحسن تعامله، وكونه قدوة حسنة قولاً وعملاً... وقد عرفته صديقاً حميماً ومستشاراً مخلصاً لمفتي المملكة السابق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، كما عرفته أستاذاً ماهراً،

(١) جريدة الجزيرة، بتاريخ ١٢/٤/١٤١٥ هـ.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٤٦٠ تاريخ ٢٤/٤/١٤١٥ هـ.

وبحراً زاهراً بمختلف علوم التفسير، والعقيدة، والفقه، والأصول، وغيرها من جوانب العلوم الشرعية، واللغة العربية. . وعرفته كذلك محدثاً واعظاً، ومرشداً جم المعرفة غزير العلم متواضعاً كثير الزهد والتقشف مقبلاً على الله في جميع أقواله وأعماله .

وإن كان يرحمه الله لم يترك لنا أثراً علمية تتفق مع مقامه الرفيع وعلمه الغزير فإنه يعتبر أستاذ جيل كامل من علماء المملكة (١) .

وحول منزلته عند سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - المفتي العام للمملكة - يقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري:

«وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز أكثر تعلقاً به لما جربه من غزير علمه، ورجاحة عقله، وعفته وتورعه، فلم يأذن له بالاستراحة وقد أناف على التسعين واحتنكته أمراض عديدة، فالتزم الشيخ عبد الرزاق جانب الحسبة ما دامت قوته العقلية لم تضعف، فكان يذهب إلى مكتبه يدف على العجل» (٢) .

منزلته عند الشيخ الألباني: ويكفي ما وصفه به شيخنا العلامة ناصر الألباني حفظه الله تعالى بأنه: (من أفاضل العلماء، ومن القلائل الذي نرى منهم سمت أهل العلم وأدبهم، ولطفهم وأناتهم وفقههم) (٣) .

وقد كان للشيخ عبد الرزاق منزلة كبيرة عند الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله :

وكان للشيخ - يرحمه الله - أيام الملك عبد العزيز درس كل يوم أربعاء، وكان الملك يحضره، وكان الشيخ يستخدم ذلك الدرس في النصح الطيب للملك ويسعد الملك بذلك» (٤) .

(١) جريدة عكاظ ٢٧/٣/١٤١٥ هـ .

(٢) جريدة الجزيرة ١٢/٤/١٤١٥ هـ .

(٣) المسلمون ١٨/٤/١٤١٥ هـ .

(٤) مجلة الأصالة، العددان الثاني عشر والرابع عشر .

والشيخ - رحمه الله - كان داعية متميزاً يحرص على حضور دروسه ومجالسه الكثير ومما يذكر أنه كان للشيخ أيام الملك عبد العزيز - رحمه الله - درس كل يوم أربعاء ، وكان الملك يحضره^(١) .

وحول منزلته لدى الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله يقول أبو عبد الرحمن ابن عقيل :

«وأبى الملك فيصل رحمه الله إحالة أمثال الشيخ عبد الرزاق عفيفي إلى التقاعد وأوصى بأن يظل منبعاً ثراً مدى حياته»^(٢) .

ويقول الشيخ زهير الشاويش - صاحب المكتب الإسلامي للنشر - :

عرفت أستاذنا وفقيد الأمة الإسلامية قبل خمسين سنة ، وتوثقت صلتى به منذ أربعين سنة على أمتن ما تكون الصلة ، وبفضله وكرمه تغمدته الله برحمته .
ومنذ عرفته حتى يوم فقدته ما رأيت منه إلا العلم الغزير والأخلاق السامية ، والنبرة الصادقة ، والألفاظ العطرة ، والعقل الراجح والورع الحقيقي والترفع عن سفاسف الأمور ، والصبر عند الملمات ، مما لا تكاد تجده مجموعاً عند غيره من الرجال .

كان عالماً عاملاً بنشر العقيدة الصحيحة ، والتربية السليمة والأخلاق الحميدة فكان مدرسة فريدة في جمع الناس على الخير»^(٣) .

ويقول الشيخ الدكتور محمد لطفي الصباغ:

« . . . وإني منذ طفولتي إلى هذه الساعة وأنا أعاشر العلماء ، أتلمذ على

(١) الفرقان ، العدد ٥٤ .

(٢) الجزيرة ١٢ / ٤ / ١٤١٥ هـ .

(٣) جريدة السبيل ، العدد ٤٦ ، تاريخ ١٣ أيلول ١٩٩٤ م .

أيديهم ، وأتلقى منهم وأباحثهم ، ولا والله لم ألق عالماً مثله في سعة اطلاعه ، ودقة استحضاره وحفظه ، وسلامة منهجه ، واستقامة حياته ، وجولان ذهنه ، وقدرته على إعطاء الحكم الدقيق في المسألة المطروحة ، ومعاصرته لأحداث زمانه» .

ويقول الشيخ الدكتور مناع خليل القطان :

عُرِفَ بسعة علمه ، وعمق فهمه - فكان زملاؤه المدرسون يعتبرونه مرجعاً لهم .

ويقول الشيخ عبد الله بن حافظ الحكمي - مدير مكتب المفتي العام - :

«وإن من آخر من فقدتهم الأمة الإسلامية الوالد الشيخ عبد الرزاق عفيفي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية سابقاً ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، ولست بصدد الترجمة له فقد كفيت ذلك ولكن للتعريف ببعض سيرته - رحمه الله - من واقع اتصالي به حيث قيض لي العمل قريباً منه في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - سابقاً - كما شرفني - رحمه الله - بالإشراف في المرحلة الأولى من رسالتي لنيل درجة الدكتوراه قبل أن تنتابه الأعراض المرضية والمتعاب الصحية في آخر حياته .

لقد عرفت في فضيلته الدقة العلمية والمتابعة والاستيعاب الواسع لجوانب المباحث المطروحة متميزاً - رحمه الله - بدقة فهمه لمختلف مسائل العلم الشرعية واستيعابه للأصول والقواعد التي تصدر عنها الأحكام ، وسرعة استحضاره لكلام أهل العلم من قراءاته في المراجع المختلفة»^(١) .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - عضو هيئة كبار العلماء - :

«الشيخ أحد الأعلام الفضلاء الذين هيا الله لهم فرصة تربية الأجيال ، وهو أحد العلماء الذين عرفوا بالجد والاجتهاد والإخلاص في أداء الواجب ، وهو ذو علم واسع وله اطلاع في الحديث ، والتفسير ، والفقه وأصوله ، واللغة العربية ، وقد تخرج على يديه أفواج كثيرة ، ويذكر له طلابه إخلاصه ومحافظته على أداء الواجب وجده واجتهاده .

ولقد كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي يلقي دروساً بعد العشاء في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في التفسير ، وكانت دروسه نافعة وتوجيهاته قيمة ، وعرف بسعة علمه ، وحسن تربيته وتوجيهه وإخلاصه وهو رحمه الله مثال للعالم العامل فالشيخ غفر الله له عرف بتوجيهه وتأثيره وعظته وبخاصة في التعليم فما زال طلابه الذين تلقوا العلم على يديه يعرفون له جده واجتهاده وقدرته على إيصال المعلومة لأذهان الطلاب مما يدل على تمكنه وحرصه غفر الله لنا وله ولجميع موتى المسلمين^(١) .

ويقول الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ - وزير العدل سابقاً - :

« الشيخ - رحمه الله - ممن عرف علمه وفضله وورعه ، وهو أول من عمل في المعاهد العلمية ، وكان وجوده فيها كسباً لها لما له من سعة علم واطلاع وخبرة وفهم ، وهي الآن خسرت خيرة الرجال والعلماء في الداخل والخارج ، وقد لازمت الشيخ طويلاً واستفدت منه كثيراً^(٢) .

(١) المسلمون ٤/٤/١٤١٥هـ ، عكاظ ٢٧/٣/١٤١٥هـ .

(٢) المسلمون ، ٤/٤/١٤١٥هـ .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن عبد المنعم - أمين هيئة كبار العلماء - :

« درّسني الشيخ في دار التوحيد عام ١٣٦٨ هـ ، ثم درست في المعهد العالي للقضاء عندما كان مديراً له ، وعملت معه في التدريس بالمعاهد ، وكان - رحمه الله - مثلاً للعالم الباذل لجهده وفي دقته في الفتاوى ، والبحوث العلمية ، كما كان دمث الأخلاق طيباً والكل يألفه ويحبه ، ومن حسن خلقه نال ثقة الشيخ محمد بن إبراهيم وكان يأنس برأيه فيما يتعلق بالمناهج »^(١) .

ويقول د . صالح بن غانم السدلان :

« كنت معجباً جداً بطريقة الشيخ عبد الرزاق في التدريس حيث المادة العلمية لديه - رحمه الله - خالية من الحشو ، مرتبة ، مركزة ، متسقة ، معروضة بأسلوب شيق قشيب »^(٢) .

ويقول الشيخ علي الرومي - رئيس محكمة التمييز - :

« كان الشيخ أول من باشر في المعهد العلمي بالرياض منذ أول يوم لافتتاحه في عام ١٣٧١ هـ وله اطلاع واسع - رحمه الله - في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ ، وله علم في الجغرافيا وغيرها »^(٣) .

ويقول معالي الدكتور عبد الملك بن دهيش - الرئيس العام لتعليم البنات - :

« إن الأمة الإسلامية فقدت برحيل فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي واحداً من علمائها الأجلاء الذين أثروا بغزير علمهم المكتبة الإسلامية مشيراً أن فضيلته درس العلم من منابعه حتى نال الشهادة العالمية من الأزهر ، وتدرج في سلك

(١) المسلمون ، ٤/٤ ، ١٤١٥ هـ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

التدريس بدءاً بدار التوحيد بالطائف ثم في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض قبل أن يعين مديراً للمعهد العالي للقضاء .

وأضاف : أن فضيلته كان زميلاً لو الذي - يرحمه الله - الذي كان كثير الثناء عليه مشيداً بعلمه الغزير « (١) » .

ويقول الشيخ محمد السبيل - الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين - :

والفقيد الراحل ليس خسارة على المملكة فحسب ، إنما لكل الأمة الإسلامية . وما هو ير حل عنا بعد سنوات طويلة قضاهما في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . . وقد تعلم على يديه العديد من طلبة العلم ، وكان حليماً وقوراً لا يخلو مجلسه من طلبة العلم « (٢) » .

ويقول الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم :

« صفات الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - صفات العلماء الأفاضل الذين مضوا وسجل التاريخ لهم ما يبقى من المحاسن إلى يوم القيامة والذين شملهم قول الرسول ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره » (٣) لأنهم ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، تعليماً وتدويناً .

والشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - جمع العلم والعقل فيا سعادة من جمع العلم والعقل ، إذ لا يستغنى بأحدهما عن الآخر ، فالعقل يزن به ما يقول ويفعل ، ويتأمل في العواقب ، والعلم الشرعي يعرف به أحكام التصرفات في الأقوال والأفعال . والشيخ عبد الرزاق نفع الله به في جميع مستويات الدراسة

(١) عكاظ ، ٢٧ / ٣ / ١٤١٥ هـ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) رواه البخاري ، كتاب المناقب [٣٦٤٠ ، ٤٧٥٩] ، ومسلم [١٠٣٧] .

النظامية منذ أن بدأت النهضة العلمية النظامية في المملكة العربية السعودية مع أنه شارك في حلق التدريس في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - أول ما قدم إلى الرياض في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف وعند الملك عبد العزيز غفر الله له وأصلح عقبه « (١) .

الفصل الرابع

شهادة العلماء له بسعة

علمه وتبحره في جميع الفنون

يقول الشيخ محمد لطفي الصباغ:

«وكان إذا تكلم في فن من فنون العلم ظن السامع أنه لا يحسن غيره، وأنه متخصص فيه وحده كان موسوعي المعرفة . كان محدثاً كبيراً قل أن يخفى عليه حديث ، وكانت له مقدرة متميزة في تخريج الحديث والحكم عليه ، وقد يرى في بعض الأحاديث من الرأي الصحيح ما لا تجده عند غيره سواء في تحديد درجته أم في فهمه والوقوف على دلالاته .

وله عناية خاصة بكتب الرجال ، وقد بلغ من عنايته أنه فقد جزءاً من كتاب من كتب الرجال فكتبه بخطه وجلده ، ولما رآه بعض الولوعين بحفظ آثار عظماء العلماء استهداه هذا الجزء فأهداه إياه بحضوري .

وكان مفسراً عظيماً، وإن أنس لا أنس دروسه الرائعة في تفسير القرآن التي كان يلقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في دخنه في الرياض ، وكنت ملازماً لها ، وذلك من فضل الله عليّ . لقد كان يغوص على المعاني العميقة في الآية ويذكر ارتباطها بما قبلها وما بعدها ، ويصل بين تلك المعاني وبين حياة الناس ، ويشير إلى أسرار البلاغة ونواحي الإعجاز فيها ، وكان لا يرضى تأويل المتأخرين ولا المعاصرين المفتونين بحضارة الغرب الذين ترعزعت عندهم الغيبيات فراحوا يؤولون النصوص تأويلاً متكلفاً بعيداً .

وكان فقيهاً مجتهداً ، وما كان يرضى التعصب لمذهب من المذاهب مع إحاطة بها لم أر مثلاً ، بل كان يعيش مع الدليل . وقد تكونت لديه ملكة فقهية عظيمة . وكان إذا سُئل لا يتسرع بالإجابة ، بل يسأل عن دقائق الموضوع المطروح حتى يستوعبه ويكون عنده تصور صحيح دقيق للموضوع ثم يجيب .

وكان أصولياً متبحراً في هذا العلم العظيم : علم أصول الفقه ، واقفاً على دقائقه ، مطلعاً على كتبه مستحضراً لما فيها ، فإذا سأله عن كتاب من كتب الأصول ذكر لك خصائصه ومزاياه وطريقته ، والمآخذ التي قد تؤخذ عليه ، وقد كان معجباً بكتاب « المستصفى » للغزالي وبكتاب « الموافقات » للشاطبي .

وكان من كبار علماء التوحيد على مذهب السلف - رحمهم الله - ، يعرض القضايا الدقيقة فيه بأسلوب ميسر واضح ، وقد كان - رحمه الله - واقفاً على كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في هذا العلم . ولقد استطاع أن يرد ما جاء في شرح الطحاوية وهو مقتبس من كلام ابن تيمية وتلميذه إلى مواضعه في كتبهما ، وقد تضمنت طبعة المكتب الإسلامي الأخيرة للكتاب هذه الإحالات .

وكان في علوم العربية متمكناً ، فقد كان في النحو مرجعاً تراه يورد في حديثه القاعدة النحوية إذا اقتضاه التوضيح أن يوردها وكأنه من المتخصصين في النحو ، وكان ذواقة للنصوص الجميلة وهذا يدل على موهبة بيانية أكرمها الله بها وعلى تمكنه من علوم البلاغة .

وكان في الكتابة ذا أسلوب متين جزل بليغ ، لا يقل عن أساليب كبار الكتاب والأدباء ، تتصف عباراته بالإيجاز ، والإحكام ، والبيان ، والوضوح ، والجزالة . ولدي عدد من رسائله الشخصية إليّ وهي نماذج على ذلك الأسلوب العالي .

وكذا ذا بيان مشرق متدفق إذا تكلم أو درس ، لا يتلعثم ولا يتوقف ولا يلحن . وكان مناظراً قوي الحجة مستحضر الدليل يحيط بأطراف الموضوع الذي يناقشه .

وكان مدرساً ناجحاً سواء كان درسه في الجامع أو في الجامعة ، فلقد كان له درس أسبوعي في مسجد الشيخ محمد كما ذكرنا آنفاً ، ثم لما انتقل إلى بيته في شارع الخزان كان يؤم الناس في المسجد الذي يقابل بيته وكان يلقي بين الفينة والأخرى دروساً تأخذ بالألباب في روعتها وعمق معانيها وغزارة أدلتها .

وكانت إحاطته بمفردات اللغة العربية تكاد تكون إحاطة شاملة ، فلقد كان يصحب القاموس المحيط ، وقد حدثني أنه يجد متعة في قراءة مواده . والناس عادة لا يرجعون إلى القاموس إلا عندما يريدون معرفة معنى كلمة ، أما الشيخ رحمه الله فقد كان يقرأ فيه كما يقرأ أي كتاب من الكتب .

أما فهمه لعبارات الأقدمين في كتبهم فقد كان شيئاً مذهشاً حقاً ، وبعض العبارات بالغة التعقيد بسبب الرغبة عند هؤلاء المتقدمين في تحميل الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة . . . لقد كان ينظر في العبارة العويصة نظرة فيحلها ويشير إلى مراميها ومقاصد كاتبها ، على نحو لا تجده إلا عند قليل من أهل العلم .

ومهما يكن من أمر ، فإنني لا أستطيع أن أنقل للقراء صورة حقيقية لعلم الرجل الواسع في هذه الكلمة .

ويقول الشيخ عبد الله الحكمي:

«أقول : رحم الله الوالد الشيخ عبد الرزاق ، فقد كان بحر علم زاخراً صدر عنه الكثير من طلبه العلم الشرعي ، ولا سيما في هذه البلاد بخاصة .

كما كان في علم الفقه سريع الاستحضار للأحكام الشرعية محيطاً بأدلتها عالماً بقواعدها ، وأصولها مدركاً لأشباه المسائل ونظائرها سديد الرأي صائب الاجتهاد يفتي السائل على حسب حالته ومستواه من الجهل والعلم « (١) .

ويقول الشيخ عبد الله بن جبرين :

«أما علمه فهو بحر لا ساحل له في أغلب العلوم التي يتناولها بالبحث والشرح ، فلقد عرفته لأول مرة عام ١٣٧٤هـ ، وكان يزور بعض المشايخ كالشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري ونقرأ عليه في المجلس حديثاً من أول صحيح البخاري فيشرحه شرحاً موسعاً بحيث يستغرق شرح الحديث الواحد أكثر الجلسة ، وعرفته في أحد الأعوام يفسر سورة سبأ في مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - فكان يبقى في تفسير الآيتين نحو ساعة أو أكثر ، ويستنبط من الآيات فوائد ، وأحكاماً ، وأقوالاً ، وترجيحات يظهر منها عظمة القرآن وما فيه من الاحتمالات والفوائد ، ومما يدل على توسع الشيخ وسعة اطلاعه وكثرة معلوماته» (٢) .

ويقول الشيخ الدكتور حمد الجنيدل:

« كان شيخنا - يرحمه الله - من العلم بمكان وله طريقة متميزة في إلقاء الدروس ، وتأثير عجيب على مستمعيه بأسلوب سهل متين ، وعلم جم ، وجوامع كلم يتقن عدة علوم ، من أبرزها : علم التفسير ، والعقيدة ، والفقه ، وأصوله وعلم المنطق وشيئاً من علم الحديث ، كان في علم التفسير أستاذاً وفي كل ما أشرت إليه قمة يتمنى كل طالب علم أن يسمع له ، وكان لا يدرس عن

(١) الدعوة ٢٤ / ٤ / ١٤١٥ هـ .

(٢) الدعوة ١ / ٥ / ١٤١٥ هـ .

كتاب بل له حافظة قوية جداً»^(١) .

ويقول الشيخ الدكتور صالح بن سعود آل علي - عضو مجلس الشورى - :

« . . وكان رحمه الله ذا باع طويل في علوم الشريعة له القدر المعلن في تفسير وعلوم القرآن ، وقل أن يوجد له نظير في التوحيد وعلوم العقائد والمذاهب والملل والنحل . أما في علم أصول الفقه ، فهو علم من أعلامه له في ميدانه اليد الطولى . وأما الفقه فإنه فيه المنتهى »^(٢) .

ويقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري :

« وكان هو والعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فرسي رهان ويظل لكل واحد منهما ميزته .

والشيخ له باع في المنطق والعقليات وعلم الكلام ، وعلى علم ودراية بمواقع الضعف في كتب العقيدة التي تدرس خارج المملكة على أسلوب المتكلمين كالسنوسية .

بل كان الشيخ ذا عناية بالنسفة قبل أن يصل إلى السعودية ، إلا أن سماحته لا يتظاهر بعلمه ، ولكنه إذا سُئل ، أو ناقش أو طلب منه الدليل والتأصيل كانت فتواه عن علم مؤصل لا يملكه إلا خاصة من الأسلاف جمعوا بين المعقول والمنقول حديثاً وتفسيراً وأصولاً ولغة ومنطقاً .

وتعليقاته القليلة على بعض الكتب مثل الكتاب الفحل إحكام الأمدي في الأصول كانت قليلة وكانت لمحة عالم »^(٣) .

(١) المسلمون ٤/٤/١٤١٥ هـ .

(٢) عكاظ ٢٨/٣/١٤١٥ هـ .

(٣) الجزيرة ١٢/٤/١٤١٥ هـ .

ويقول الشيخ صالح الأطرم :

«درسنا الشيخ عبد الرزاق في معهد الرياض العلمي ، وفي كلية الشريعة ، وفي المعهد العالي للقضاء في التفسير ، وفي توحيد العبادة ، وفي العقيدة ، وفي الفقه وفي البلاغة ، وفي النحو ، وفي أصول الفقه فما درس مادة إلا أبدع فيها» (١) .

عقيدته السلفية

لقد كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - من أئمة الدعوة السلفية وأعلامها في هذا العصر وكان - رحمه الله - مدافعاً عنها بيده ولسانه في جميع مراحل حياته .

فهو في مصر كان رئيساً لجماعة أنصار السنة المحمدية التي أسست لنشر التوحيد الخالص ، ومحاربة القبوريين ، وأهل البدع ، فكان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - كما سبق أحد المؤسسين لهذه الجماعة مع الشيخ حامد الفقي حيث كان نائباً له ثم رئيساً للجماعة من بعده .

وما بقي من آثار الشيخ عبد الرزاق المكتوبة كلها يشهد له بصفاء عقيدته في جميع أبواب الاعتقاد ، فمن ذلك حاشيته على تفسير الجلالين التي نبه فيها إلى ما وقع في الكتاب من تأويلات أشعرية ، وحواشيه على التدمرية ، والحموية ، والتبوكية وهي تحت الطبع الآن يظهر منها بجلاء أن الشيخ عبد الرزاق رحمه الله كان يسير على منهج شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وعلى منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ، وهو المنهج السلفي القويم الحري بالاتباع .

وقد شهد للشيخ بسلفيته كل من عرفه من علماء عصره وسوف أنقل لك بعضاً من أقوالهم في ذلك :

يقول الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم :

كانت عقيدة الشيخ عبد الرزاق في أسماء الله وصفاته وتوحيد العبادة عقيدة السلف الصالح فيفسر « لا إله إلا الله » بلا معبود بحق إلا الله ، وهذا التفسير هو الحق وفي الأسماء والصفات طريقة السلف الصالح فهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١) .

وكان كثيراً ما ينبهنا على دقائق ولطائف ، فمن ذلك أن أحد مدرسي التفسير أثنى على تفسير الفخر الرازي ، وكان عند أحد الكتبيين في الرياض منه نسختان ، فسارعت لشراء واحدة وقرأت فيه ثم ذهبت إلى الشيخ عبد الرزاق وأثنت على ذلك التفسير ، وقلت له : لكنني لم أسمع مشايخنا يذكرونه أو يقرؤونه على الناس ، فقال لي بغضب : ألا تدري لماذا؟ ثم قال : ألا تعرف منهج مشايخك ؟ . وكنت إذ ذاك لم أسمع لفظة منهج ، ثم قال : مشايخك مشايخ عقيدة سلفية ، وتفسير الفخر الرازي فيه شوك لا يصلح يقرأ على العامة ، ولا يصلح للمبتدئين في التعليم ، فاستفدت من هذه اللفتة من الشيخ اختلاف المنهجيات وبيان المراد بها (١) .

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي :

لقد امتاز - رحمه الله - عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية ، بشدة متابعته لسلف الأمة الصالح ، وتركيزه

(١) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٢) الدعوة ٢٤ / ٤ / ١٤١٥ هـ .

في آرائه وتدريسه على العقيدة الإسلامية الصافية ، المرتبطة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولقد كان يقوم كل بحث أو رأي في ضوء الأسس والأصول الصحيحة التي التزمها السلف الصالح ، والأئمة الكبار حينما واجهوا الفلسفات المادية في الأصول والفروع»^(١) .

ويقول الشيخ عبد الله بن حافظ الحكمي:

« . . . ولقد كان - رحمه الله - واسع العلم بمسائل العقيدة شديد التمسك بمذهب السلف الصالح مع المعرفة التامة بالملل والنحل المختلفة وأصولها التي تصدر عنها عالماً بعوارها ومواطن دحضها .

لقد كان - رحمه الله - شديد الإعجاب بشيخ الإسلام ابن تيمية كثير الرجوع إلى مؤلفاته ، وكان مما سمعته منه قوله : « لم أر لدئ أكثر المؤلفين في العصور المتأخرة جديداً بل تكرر لما ذكره من سبقهم سوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فإنك تجد في مؤلفاته الكثير من العلم مما لم يسبق إليه »^(٢) .

ويقول الدكتور محمد لطفي الصباغ :

وكان تغمده الله بالرحمة سلفي العقيدة ، يدعو إلى الحق على بصيرة ، وكان رئيس جماعة أنصار السنة في الإسكندرية ، يوم أن كان في مصر»^(٣) .

(١) الجزيرة ١٢/٤/١٤١٥ هـ .

(٢) الدعوة ٢٤/٤/١٤١٥ هـ .

(٣) ترجمة خطية .

ويقول الشيخ مناع خلیل القطان :

« . . كان منهجه السلفي سمة بارزة فيه بأسلوب شائق جذاب يدعمه الدليل والحجة ، ولا يمس أحداً بتجريح ، مما جعل استجابة الناس له عن حب وقناعة» (١) .

ويقول الشيخ عبد الله العجلان :

« . . وتعرفت على بعض مراجعه في الدراسة ، وإعجابه ببعض العلماء وبعض الأئمة في بعض الأمور ، كان تلميذاً مخلصاً على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن قيم الجوزية قرأ إنتاجهما العلمي قراءة مكررة حتى وعى ما فيها عن قناعة وتشرب فقههما ومنحاهما في الاجتهاد واستقلالهما في أخذ الأحكام من الأدلة الشرعية ، وهو يظهر الإعجاب بهما ولا يخفى على مجالسه تقديره لهذين الإمامين الجليلين ، كما لا يخفى عليه إعجابه بحركة الإصلاح والتجديد في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة وحسن معالجته للمشكلات التي تواجه دعوته . . .

ويظهر بجلاء احترامه وتقديره لكثير من علماء المملكة العربية السعودية ، وفي مقدمتهم الشيخان الجليلان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، والشيخ عبد العزيز بن باز في علمهما وعملهما وذكر لي يوماً من الأيام بأنه حين كان يدرس في المعهد العلمي في عنيزة حضر دروس الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وكان يثني عليه ثناءً عطرأ في علمه وورعه وأسلوب حياته وتنظيم وقته ويقول : إنه كان سابقاً لعصره بحرأ في علمه سديداً في توجيهه » (٢) .

(١) ترجمة خطية .

(٢) ١٤١٥ / ٣ / ٢٦ هـ .

وليس أدلُّ على صفاء عقيدته السلفية من أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز كان يعهد إليه ببعض الكتب التي فيها مخالفات لمعتقد السلف طالباً منه أن ينبه على مواضع المخالفة .

وإليك صورة مكاتبة بين الشيخ عبد الرزاق ، والشيخ عبد العزيز بن باز حول كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي حيث طلب الشيخ عبد العزيز من الشيخ عبد الرزاق تقريراً حول كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي ، فأجاب الشيخ عبد الرزاق بما نصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العربية السورية
الجمهورية الإسلامية الإيرانية
الأمانة العامة لـ لجنة كبار العلماء

الرقم
التاريخ
الموقع
الموضوع

مساحة الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والاشراف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

فيما / على كتاب سابق رقم / / في / ١٤٠٤ الذي تطلب فيه تحرير رأيكم كرامة الزعماء للشيخ

قرأت الكتاب فوجدته موافقا للسلف في مواضع كثيرة ومخالفا لهم في مواضع اخرى وسأجل فيما يلي ما يؤخذ عليه ما خالف فيه السلف في العقيدة :-

١- بحسب الله واسماءه بالقدم ، وبسمه القديم وكما يتبين ما تحت خط في الصلحات التالية

٢٠٠٦ ، ٢٢٠٢٢ ، ٢٢٠٢٢ ، ٢٢٠٢٢ ، ٢٢٠٢٢

٢- استدلل على حدوث الكونيات بانها محل للحوادث كسائر الاعمرة ، فلزمهم بذلك نفى قيام الصفات الفعلية بالله والتزموا تأويل النصي الثبوتية لصفات الافعال بما يسمونه قدسيا ، كما تبين ذلك بالرجوع الى ما تحت خط في ص ٧

٣- تأول اسم الله - الرحمن - بالربوب لوزق كل حق في الدنيا ، واسمه - الرحيم - بالبريد لأكرام المؤمنين في الجنة وقال : " فيرجع معناها الى صفة الارادة التي هي صفة قائمة بذاته تعالى " ومعنى بالارادة - الارادة الكونية الازلية ، لا الارادة الدينية التي بمعنى المحبة يتبين ذلك ما تحت خط من ص ١٥ - ١٩ ، وانظر انتم في بالمدعى على انتم في الدنيا

٤- ذهب في صفة الكلام الى مذهب الثلاثية ، كسائر الاشعرية ، فجعلها صفة نفسية ذاتية قديمة قائمة بذات الله تعالى ، ورد صفة الحكم القهية من اسم الله الحكيم وقال : " وقد يكون بمعنى حكمه لواء بالنعمة والآخر بالسحنة فيكون من صفات فعله " .

وقال مثل ذلك في اسم الله - الشكور - وفي اسمه العدل - يتبين ذلك ما تحت خط من ص ١٦

٥- فسراسم الله - العلى - بالعالى القاهر ، والذي لا وجل من ان يخلقه صفات الخلق وقال : هذه صفة يستحقها بذاته .

وتأول محبة الله صباه بآرادته رحمتهم وهدوهم ، وقال : فيرجع معناها الى صفة الارادة والكلام بمعنى الارادة الكونية ، والكلام النفسى ، وقال : " وقد يكون بمعنى انقلاصه استغنى عنهم فيكون من صفات الانفصال .

كما تقدم نجات يتبين ذلك ما تحت خط من ص ١٧ - ١٩

٦- قال في اسم الله " المتعالي " هو المنزه عن صفات الخلق ، وهذه صفة يستحقها بذاته وقد يكون العالى فوق خلقه بالقهر " ا . هـ . وهذا كقوله " من اثبات علو الله على خلقه بذاته ص ١٧ - ١٩

٧- بعد ان فسراسم الله الحسنى وذكر ما رآه فيها من احتال ووجوه قال : وهذه الوجوه التي في معانيها كلها صحيح ، وربما جل جلاله ، وتقدمت اسماؤه ، شتمت جميع ذلك ، والله الاسماء الحسنى ، والصفات العلى ، لا تشبه له في خلقه ، ولا غيرك له في ملكه ، وليس كذلك " وهو السميع البصير " ا . هـ . ص ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
 ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الرقم _____
 التاريخ _____
 المرفقات _____
 الموضوع : _____

-٢-

- أيضا
 ٨- قال في ص ٢١: فله عز اسمه اسما وصفات واسماؤه صفاته وصفاته أوصافه ١. ه .
 فجعل اسما وصفاته وسع لعلوم ان الاسم يتضمن الصفه وانها بمعنى لمحبته لا انه الصفه
 ٩- في ص ٢١- ٢٢ قسم صفات الله قسمين صفات ذات وصفات اعمال وقسم صفات الذات
 قسمين عقليا وهو ما كان طريق اثباته ادلة العقل مع ورود السمع به فاذا دل وصف الواصف
 به على الذات فالاسم عن الشيء مثل شيء ذات وجود جليل عزيز عظيم متكبر
 وان دل وصف الواصف به على صفات زائدة على ذاته قائمة به مثل حي وليم قاد رسيح بصير
 متكلم فالاسم في هذا لا يقال : انه هو الشيء ولا انه غير الشيء .
 واما السمع فما كان طريق اثباته السمع فقط كالوجه واليد والعين وهذه ايضا صفات قائمة
 بذاته لا يقال فيها : انها هي الشيء ولا غير الشيء ولا يجوز تكليفها فالوجه صفة
 وليست بصورة واليدان له عفتان وليستا الجارحتين واليمين له صفة وليست بحدثة ...
 الى آخر ما ذكره في ص ٢٢- ٢٤
 ولا يخفى ما في هذا من المخالفة للسلف اهل السنة والجماعة اذ فيه نفى تفصيلي والسلف على
 خلافه وانما يسمون الغرض في الكيف ويقولون : انه مجهول او غير معلوم فلهذا وضع
 الى الله تعالى . كما يسمون صوما الغرض فيما لم يغرض فيه نفا وانفا .
 ١٠- قال في صفات المعاني السبعة القدرة والارادة والعلم والحياة والسع والبر والكلام : انها زائدة
 على الذات قائمة بها ليرد على المعتزلة وقال ايضا قال : النبي صلى الله عليه وسلم : **اصبوا**
بكتابات الله اثنا ... على طريق التعميم ١. ه . يعني ان الجمع للتعظيم لا لكونه كلامه
 تعالى متعدد بل هو شيء واحد هو الكلام النفس الازلي . يبين ذلك ما كتبه خط في ص ٢
 حتى ٢١ وفي ص ٢٢ حتى ص ٢٢
 ١١- ذكر في الاستواء طريقين : طريقة التوفيق في معناه مع نفى الكيفية وطريقة حله على وجه يصح
 استعماله في اللغة واتبع ذلك نقيا تفصيلا للكيفية في الاستواء وفي النزول وفي المعنى والاثبات
 ... الخ ص ٤٤ واحال في ذلك على كتابه - الاسماء والصفات .
 ١٢- احسن في اثبات ربه تعالى في الاخرة بالابصار وفي الاثبات الادلة على ذلك . وفي رده على
 منكري ربه تعالى ، لكنه يريان اللعز وجل لا يرى في جهة ، بل يراه البراهين في جهاتهم كلها ، لانه
 يتعالى عن جهة ص ١٠
 ١٣- قال في انفعال العبادة انها كسب لهم على معنى تعلق قدرتهم بها بغيرتهم التي هي اكسابهم ودولع
 هذه الانفعال او بمعناها على وجوه شاذة تصد كسبها يدل على موقع وقوعها كما اراد غير مكسبها
 والله ربنا . خلقتنا وخلق افعالنا ... الخ ص ٦٠ ٦١
 وهذا الى القول بالجهرا قرب منه الى القول باثبات الاختيار للصمد في افعاله .
 ١٤- وفسر ما جاء في الحديث من ان قلوب العباد بين اعين من اصابع الرحمن بان الراد يمكن الطلب تحت
 قدرة الرحمن .
 ١٥- الخطأ في تفسير آيات في الشبهة ص ٢١
 ١٦- ذكر كثيرا من الاحاديث ولم يبين درجاتها من الصلة بالنسبة والتمام مقامها لا استدلال في العقيدة
 وبالجملة فالكتاب نافع وفيه خير كثير . ويمكن التعليق عليه في مواضع الخطأ او التنبه
 على ذلك في مقدمة له . صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه : عبد الرزاق عفيفي

« سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فبناء على كتاب سماحتك رقم / / في / ١٤٠٤ هـ الذي تطلب فيه تقريراً عن كتاب الاعتقاد لليهقي .

قرأت الكتاب فوجدته موافقاً للسلف في مواضع كثيرة ومخالفاً لهم في مواضع أخرى ، وسأجمل فيما يلي ما يؤخذ عليه مما خالف فيه السلف في العقيدة :

١ - يصف الله وأسماءه بالقدم ، ويسميه بالقديم ، كما يتبين مما تحته خط في الصفحات التالية ٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ٦١ .

٢ - استدل على حدوث الكونيات بأنها محل للحوادث كسائر الأشعرية ، فلزمهم بذلك نفي قيام الصفات الفعلية بالله والتزموا تأويل النصوص المثبتة لصفات الأفعال بما يسمونه قديماً ، كما تبين ذلك بالرجوع إلى ما تحته خط في ص ٧ .

٣ - تأول اسم الله - الرحمن - بالمريد لرزق كل حي في الدنيا ، واسمه - الرحيم - بالمريد لإكرام المؤمنين في الجنة ، وقال : « فيرجع معناهما إلى صفة الإرادة التي هي صفة قائمة بذاته تعالى » ويعني بالإرادة - الإرادة الكونية الأزلية ، لا الإرادة الدينية التي بمعنى المحبة يتبين ذلك مما تحته خط من ص ١٥ - ١٩ ، وتأويل الإلهية بالقدرة على اختراع الأعيان .

٤ - ذهب في صفة الكلام إلى مذهب الكلائية ، كسائر الأشعرية ، فجعلها

صفة نفسية ذاتية قديمة قائمة بذات الله تعالى ، ورد صفة الحكم المفهومة من اسم الله الحكم وقال : «وقد يكون بمعنى حكمه لواحد بالنعمة والآخر بالمحنة فيكون من صفات فعله » .

وقال مثل ذلك في اسم الله - الشكور - وفي اسمه العدل - يتبين ذلك مما تحته خط من ص ١٦ .

٥ - فسر اسم الله - العلي - بالعالى القاهر ، وبالذي علا وجل عن أن يلحقه صفات الخلق وقال : هذه صفة يستحقها بذاته .

وتأول محبة الله عباده بإرادته رحمتهم وبمدحهم ، وقال : فيرجع معناه إلى صفة الإرادة والكلام بمعنى الإرادة الكونية ، والكلام النفسي ، وقال : وقد يكون بمعنى إنعامه عليهم فيكون من صفات الأفعال .

كما تقدم بيانه يتبين ذلك مما تحته خط من ص ١٧ - ١٩ .

٦ - قال في اسم الله «المتعالى» هو المنزه عن صفات الخلق ، وهذه صفة يستحقها بذاته وقد يكون العالى فوق خلقه بالقهر « ١ . هـ .

وهذا فرار من إثبات علو الله على خلقه بذاته ص ١٧ - ١٩ .

٧ - بعد أن فسر أسماء الله الحسنى وذكر ما رآه فيها من احتمال ووجوه قال : وهذه الوجوه التي في معانيها كلها صحيح ، وربنا جل جلاله ، وتقدست أسمائه متصف بجميع ذلك ، فله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، لاشبيه له في خلقه ، ولا شريك له في ملكه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير « ١ . هـ . ص ٢١ .

٨ - قال في ص ٢١ أيضاً : فله عز اسمه أسماء وصفات ، وأسماءه صفاته

وصفاته أو صافه « ١. هـ .

فجعل أسماء صفات ، ومعلوم أن الاسم يتضمن الصفة ، وأنها بعض مفهومه لا أنه الصفة .

٩- في ص ٢١- ٢٢ قسم صفات الله ، قسمين : صفات ذات وصفات أفعال ، وقسم صفات الذات قسمين : عقلياً وهو ما كان طريق إثباته أدلة العقل مع ورود السمع به ، فإذا دل وصف الواصف به على الذات فالاسم عين المسمى مثل شيء ، ذات ، موجود ، جليل ، عزيز ، عظيم ، متكبر ، وإن دل وصف الواصف به على صفات زائدة على ذاته قائمة به مثل حي ، عليم ، قادر ، سميع ، بصير ، متكلم ، فالاسم في هذا لا يقال : إنه هو المسمى ولا أنه غير المسمى .

وأما السمعي فما كان طريق إثباته السمع فقط كالوجه ، واليدين ، والعين ، وهذه أيضاً صفات قائمة بذاته ، لا يقال فيها : إنها هي المسمى ولا غير المسمى ، ولا يجوز تكييفها ، فالوجه صفة وليست بصورة ، واليدان له صفتان ، وليستا الجارحتين ، والعين له صفة ، وليست بحدقة . . . إلى آخر ما ذكره في ص ٢٢- ٤٤ .

ولا يخفى ما في هذا من المخالفة للسلف أهل السنة والجماعة ، إذ فيه نفى تفصيلي ، والسلف على خلافه ، وإنما ينعون الخوض في الكيف ويقولون : إنه مجهول أو غير معلوم ، فيفوضون علمه إلى الله تعالى ، كما ينعون عموماً الخوض فيما لم يخوضوا فيه نفيًا وإثباتاً .

١٠- قال في صفات المعاني السبعة القدرة والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام : إنها زائدة على الذات قائمات بها ، ليرد على

المعتزلة، وقال : إنما قال النبي ﷺ : «أعوذ بكلمات الله التامة على طريق التعظيم» ١. هـ . يعني أن الجمع للتعظيم لا لكون كلامه تعالى متعدد بل هو شيء واحد هو الكلام النفسي الأزلي ، يتبين ذلك مما تحته خط في ص ٢٥ حتى ص ٢٩ ، وفي ص ٣٢ حتى ص ٣٧ .

١١ - ذكر في الاستواء طريقتين : طريقة التفويض ، وطريقة حمله على وجه يصح استعماله في اللغة ، وأتبع ذلك نفيًا تفصيليًا للكيفية في الاستواء وفي النزول وفي المجيء والإتيان . . إلخ ص ٤٤ ، وأحال في ذلك على كتابه - الأسماء والصفات .

١٢ - أحسن في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة بالأبصار ، وفي إقامة الأدلة على ذلك ، وفي رده على منكري رؤيته تعالى ، ولكنه يرى أن الله عز وجل لا يرى في جهة ، بل يراه الرءاؤون في جهاتهم كلها ، لأنه يتعالى عن جهة ص ٥١ .

١٣ - قال في أفعال العباد : إنها كسب لهم على معنى تعلق قدرتهم بمباشرتهم التي هي إكسابهم ، ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف قصد مكتسبها يدل على موقع أوقعها كما أراد غير مكتسبها والله ربنا خلقنا وخلق أفعالنا . . إلخ ص ٦٠ ، ٦١ .

وهذا إلى القول بالجبر أقرب منه إلى القول بإثبات الاختيار للعبد في أفعاله .

١٤ - وفسر ما جاء في الحديث من أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن «بأن المراد به كون القلب تحت قدرة الرحمن» .

١٥ - أخطأ في تفسير آيات في المشيئة ص ٧١ .

١٦ - ذكر كثيراً من الأحاديث ولم يبين درجتها من الصحة ، والضعف ، والمقام مقام الاستدلال في العقيدة ، وبالجمله فالكتاب نافع ، وفيه خير كثير ، ويمكن التعليق عليه في مواضع الخطأ ، أو التنبيه على ذلك في مقدمة له ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه : عبد الرزاق عفيفي.

الفصل السادس

حكيمته في الدعوة إلى الله ومنهجه في التعليم

لقد كان الشيخ عبد الرزاق - رحمه الله - حكيماً في دعوته إلى الله تعالى ، وفي تعليم الناس عمتلاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) فكان يترقب بالجاهل ويتواضع للمتعلم ويلتمس أفضل السبل لتوصيل دعوته ، وقد أثابه الله تعالى على حسن صنيعه فكان لدعوته أبلغ الأثر ولتعليمه أكبر النفع ، ولا غرابة حيثئذ أن يشهد له طلابه بأنهم لم يروا في معلمهم أحسن منه تعليماً .

وقد ذكر شيخنا عبد الله بن قعود - حفظه الله - أنه كان أحد ثمانية طلاب هم الدفعة الأولى بالمعهد العالي للقضاء أول افتتاحه حيث كان الشيخ عبد الرزاق مدير المعهد وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مدرساً فيه ، وهؤلاء الطلاب هم الآن من أعمدة هيئة كبار العلماء .

فيذكر الشيخ ابن قعود أنه بالرغم من سعة علم شيخهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ، فإن معظم استفادتهم وتكوينهم العلمي كان على يد الشيخ عبد الرزاق بسبب أن الشيخ محمد الأمين كان كثير الاستطراد فيخرج كثيراً عن موضوع الدرس إلى أبحاث لغوية ، أو أصولية ، أو غيرها مما يقطع تسلسل المعلومات ، بخلاف الشيخ عبد الرزاق الذي كان يلخص لهم موضوع الدرس في نقاط مرتبة مسلسلة فلا ينتهي الدرس إلا وقد حفظه الطلاب أو كادوا

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

- رحمة الله على الجميع - ويذكر الشيخ ابن قعود حفظه الله أيضاً أنه في بعض الأحيان كان يتغيب بعض المدرسين فيدخل الشيخ عبد الرزاق ويسألهم ما درسكم اليوم : فيقولون : درس كذا في أي علم من العلوم ، فيشرحه الشيخ عبد الرزاق بدون إعداد وشرحاً أفضل من شرح المدرس الأصلي .

وقد سمعت الشيخ عبد الرزاق رحمه الله وقد سأله سائل : بماذا تنصح لطلبة العلم والدعاة؟

فأجاب قائلاً:

« الدعاء يدعون إلى ما تعلموا ، ويبدؤون بالتدريج بالأهم فالأهم ، فالعقيدة قبل الفروع كما فعل الرسل وينتهز الفرص ، كذلك طلبة العلم كما يبدؤون غيرهم بالدعوة إلى التوحيد ، يبدؤون بتعلم التوحيد قبل الفروع . والرسل لم يتعرضوا للفروع في أول الأمر إلا الفروع الشديدة التي تتفشى فيها المخالفة ، فشعيب عليه السلام حذر من نقصان المكيال ، ولوط عليه السلام حذر من الفاحشة ، وهذان الأمران يتصلان بالأخلاق والأخلاق قرينة التوحيد .

وفي الفروع يتدرج ، فالربا لم ينزل تشريعه إلا في آخر التشريع ، وشرب الخمر كان تركه صعباً فتأخرت الدعوة إلى تحريمه .

وفي الدعوة للعقيدة تدرج فالرسول ﷺ لم ينه الصحابة عن الحلف بغير الله إلا مؤخراً إلا من باب الوسائل ، وفي هذه الحالة إذا رأى منكراً لم يأت الوقت لبيان حكمه يسكت ولكن لا يدعو إلى المنكر » أ . هـ .

وقد حدثني الشيخ عبد الرزاق رحمه الله أنه كان يخطب في مسجد أنصار السنة في مصر أيام الملك فاروق عن قصة موسى عليه السلام ، ويحض من خلالها على اتباع داعية الحق ، ويلمح تلميحات يفهمها الحاضرون ، وفي نفس

الوقت لا يمكن أن تؤخذ عليه ، وقد ذكر جماعة من تلاميذ الشيخ مواقف رأوها منه تتجلي فيها حكمته في الدعوة .

فمن ذلك : ما سبق نقله في الفصل الأول عن سيرته بمصر في المرحلة الرابعة بالإسكندرية . ارجع إليها ففيها أمثلة عظيمة على حكمته في الدعوة والتعليم .

وإليك بعض ما كتب في ذلك :

يقول الدكتور - محمد لطفي الصباغ :

وقد حدثني رحمه الله أنه أراد أن يحذر إخوانه في مصر من دجل الدجالين من القصاص والوعاظ الذين يأتون في دروسهم بالأقاصيص الممتعة التي تشد السامعين ، وتمتعهم وتسحوظ على إعجابهم ولا أصل لها ، والعامه هذا شأنهم في أغلب البلاد ، فألقى عليهم درساً ملأه بمثل تلك الأقاصيص الغريبة فأعجبوا بالدرس واستمتعوا فلما رأى ذلك بادياً على وجوههم سألهم : ما رأيكم؟ أهذا الدرس أحسن أم الدروس السابقة؟ قالوا : بل هذا . إنه درس جميل ممتع . فقال لهم : هذا كله غير صحيح . وما كنا عليه في دروسنا السابقة هو الصواب . فأفهمهم بهذه الطريقة العملية أنه ليس عاجزاً عن أن يأتي في درسه بما يستحوظ على إعجابهم ، ولكن الحق هو الذي ينبغي أن يكون رائد الموجه والعالم .

إن العالم ينبغي أن يكون مريباً مرشداً يقول الحق ، ولا يخشى في الله لومة لائم ، لا يداري ولا يتكلف التأويل ليسوغ للناس ما يحبون من الخرافات والأباطيل .

وقد ابتلي المسلمون من زمن بعيد بالقصاص الذين يملؤون مواضعهم

بالأحاديث الموضوعة والواهية ، ويأتون بالقصص الغريبة ولو كانت باطلة ليجعلوا الناس يقبلون عليهم فكان الشيخ رحمه الله يحذر الناس من الوقوع في أحابيلهم .

وكان حكيماً في تصرفاته يفرض احترامه على الآخرين مهما كان رأيهم فيه ، فما كان يقدم على تصرف يُعرضه إلى الحرج أو الانتقاد .

وكان بعيداً عن المراء والجدل الذي لا طائل من ورائه ، ولا يخوض في الموضوعات التي لها حساسية ويتركها للآخرين .

وكانت له آراء خاصة في بعض المسائل العلمية لا يذكرها إلا للخاصة من أصحابه ، ولا يسوؤه أن يكون هناك من يخالفه فيها ، وإذا ذكرت الآراء المخالفة له أمامه لا ينفعل ولا يتشجج لأنها تخالفه بل يقول : لكل رأيه ، وهذا خلق عظيم ما أحوج العلماء إليه .

لماذا نمنع أن يكون للعالم المؤهل للاجتهد والنظر آراء تخالفنا ؟ إن الحق ليس مقصوراً على مذهب معين ، ولا يحتكره ناس معينون ، وقد يدرك المتأخر أمراً لم ينتبه إليه المتقدم .

ويقول الشيخ يوسف المطلق :

وكان يحذر من البدع ودعوته دائماً ترى فيها الحكمة والموعظة الحسنة ، وإذا رأى أحداً متلبساً بمنكر في لباسه أو هيئته قام بنصح عام بالتلميح ، وضرب المثل حتى لا يدرك الحاضرون أنه يعني شخصاً بعينه ، بينما المقصود بالنصيحة يدركها ويخرج شاكراً مستفيداً .

وعرف الشيخ بالحياء والصمت إلا في حقه كان طلابه يهابونه حياء ويقدرونه في أنفسهم .

ويقول الشيخ صفوت نور الدين - رئيس جماعة أنصار السنة بمصر - :

ولقد كان الشيخ - يرحمه الله - مثلاً يحتذى في الفتاوى دقة والتزاماً ، فقد جالسته سائلاً مستفتياً كثيراً في مواسم الحج لأعوام متعددة ، فكان يختار من الألفاظ المعبرة ، ثم يبين التغير في المعنى إذا اختير غير هذا اللفظ ، ولقد كان بالغ العناية باحترام أقوال إخوانه العلماء ، فإذا صدرت الفتوى في مسألة ، وله رأي مخالف ، وسأله أحد عن هذه الفتوى أفتى بقول جماعة العلماء ، ولو لم يكن هو رأيه ، بل وجدته يحبس رأيه عن المستفتين إذا وجد أن هذا الرأي قد يحدث بينهم شقاقاً ، ولا يبرزه إلا لطلبة العلم الذين يعرفون الأدب عند الاختلاف وتوقير العلماء ، وذلك هو شأن السلف الصالح ، كقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) .

ويقول أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري :

وكان رحمه الله منصفاً في جد له العلمي يفرق بين صحة الدعوى ذاتها أو فسادها وبين صحة أو فساد البرهان المستدل به على الدعوى ويرى أن فساد حجة ما لا يعني فساد المدعى ، ولهذا تراه يناقشك في أدلتك أو اعتراضاتك ، ثم يهلهلها مع أنه يوافقك في المدعى .

وتكوينه العلمي يعلم طلابه الحرية الفكرية . ولهذا فهو يرى النقاش في الدرس والأطروحات وسيلة للاستقلال الفكري بأن يكون الطالب قادراً على الاحتجاج والاعتراض . . أما صحة المذهب في ذاته فأمر مردود لاجتهاد طالب العلم خارج أسوار المعهد وفق ما لديه من حصيلة علمية وفطرية فكرية ونزاهة خلقية .

ويقول الشيخ صالح الأطرم :

أما منهجيته فتمتاز بوضوح الكلام وقلته وتكييف المادة بحيث تصل إلى الأذهان من أول وهلة ، بديع في تفكيك عبارة المؤلفين باختلاف المواد وإذا استغربنا ما سمعناه من المعاني التي لا ندرکها بمجرد قراءة الكتاب وسألناه من أين هذا ؟ قال : هذا من كتابكم لم آت بغريب .

وكانت دراسته في الفقه على مذهب مالك ويدرسنا في المقنع على مذهب أحمد بكل سهولة ، وكان للخلاف في الفقه عندنا روعة واستعظام حتى سألناه من أين تأتي بهذا الكلام ؟ فقال : ما قرأت غير كتابكم الذي بين أيديكم وهو المقنع ، ثم أخذ يشرح لنا فقال : التدريس فهم الكتاب ، وأهدافه ، ومنهجيته ، وأصول مذهبه . وضرب لنا مثلاً في القصاص من السكران عند قول المؤلف : «وفي القصاص من السكران روايتان إذا تعمد السكر ، فعند من قال فيه القصاص لاحظ أنه تعمد إزالة عقله ، ومن قال : إنه ليس فيه قصاص ؛ ألحقه بمن زال عقله بعذر ومن هنا نشأ الخلاف » ، ثم قال رحمه الله : هكذا كل خلاف يكون له مأخذان من الأدلة ، والتنفيذ يكون حسب ما مشت عليه دراسة الفقيه في البلد من المذاهب الفقهية .

الفصل السابع

إدراك الشيخ لواقعه

وما فيه من مذاهب واتجاهات

لقد كان الشيخ رحمه الله مدركاً لما يموج به عصره من آراء واتجاهات بما يمكنه من الحكم الدقيق عليها ، وله أسوة في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي كان يعرف من تفاصيل مذاهب خصومه من فلاسفة ، ومتصوفة ، ورافضة وغيرهم أكثر مما يعرفونه هم عن مذاهبهم كما يتضح هذا بجلاء لمن قرأ في كتبه .

فمن ذلك أني سألته عن رأيه في جماعة الإخوان المسلمين ورأيه في اتهام بعض قاداتهم بأنهم كانوا من الماسونية فأجاب :

التشكيك في شخصية البنا والهضيبي غلط فهذا ظن سوء ليس له أساس فهما ضد الماسونية والعيب الموجود في الإخوان أنهم لا يمسون تفاصيل الدين فكل حديثهم عن جمال الإسلام وسماحته ، وهدفهم تجميع الناس على الإسلام لا على الماسونية ، ولا يتصور أنهم يهدون لتوجيه الحركة الإسلامية لأن حسن البنا رحمه الله مات فهل كان يهدف إلى التوجيه بعد مماته ؟ والإخوان هم الذين حاربوا اليهود تطوعاً .

وسألته أيضاً عن رأيه في منهج الدكتور عمر عبد الرحمن وجماعته فأجاب :

منهجه ليس بسليم من ناحية الجرأة أكبر من القوة التي أعدها ، وضررهم أكبر من نفعهم ، وقد ذكر الله قاعدة ﴿ إِنَّمَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (١) فعليهم

بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان ، ولا يجوز لهم تغيير منكرات بحيث يترتب منكر أشد ، الرسول ﷺ لمَ لَمْ يَقم الجهاد في مكة وأخره حتى يذهب إلى المدينة؟ لماذا عاهد جماعة الأنصار في مكة على أن يحموه ، وهاجر إليهم بناءً على هذا العهد؟ هذا كله تمهيد لكسب القوة في التطبيق ، وهاجر ليمنع الإثارة حوله ، وليهدأ الجو حتى تتاح الفرصة للجهاد بالسيف ، فنظام الإسلام أن الدعوة بالتدرج ، والحالة في مصر الآن أردئ من العهد المكي فالتبرج والسفور بالصورة الحالية في مصر، لم يكن في مكة قبل الهجرة ، وكانت دعوة الرسول ﷺ في مكة باللسان لم يستعمل يده حتى خرج من مكة فالدعوة الآن في مصر يجب أن تكون باللسان .

١- يقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

لقد كان الشيخ رحمه الله يعيش عصره ، ويدرك بعمق شراسة الغزو الفكري والاستعماري للمسلمين ، ويعرف التيارات الفكرية ، والسياسية التي تسود العالم وتغزو بلا المسلمين يعرفها تمام المعرفة ، وهذه صفة لم تكن موجودة في كثير من علماء عصره .

وكان بعيد النظر ، عميق الفكر ، له جولات نقدية موجزة يدركها الواعي من جلسائه ، ولا يُذكر في مجلسه أحدٌ بسوء .

وكانت معرفته بالرجال المعاصرين من الأعلام معرفة دقيقة ، وكان حكمه عليهم حكماً سديداً ، يعرف أوضاعهم الاجتماعية وعادات بيئاتهم ومدى تأثيرهم بذلك كله .

٢ - ويقول الدكتور حبيب بن مصطفى زين العابدين - وكيل وزارة الأشغال العامة بالمملكة - .

أكتب اليوم عن بعض جوانب حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي التي عرفتها كتلميذ له ، واكتشفتها من خلال لقاءات علمية عديدة جمعتني به ، لقد كان - يرحمه الله - رحب الصدر ، عميق الفكر ، واسع المدارك ، عالماً بعصره وما يدور فيه ، ولهذا كانت فتاواه وإجاباته عن أسئلة تلامذته أقرب للواقع والعصر الذي نعيشه وكان يستشير عدد من كبار علمائنا الأفاضل ويأخذون برأيه في المسائل المختلفة وخاصة تلك التي تمس التجارب والخبرات ، والمسائل التي تتعلق بما ظهر في عصرنا ، وعالمنا من أمور حديثه .

في جلسة حوار دارت حول تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي بينه وبين عدد من خبراء الاقتصاد الذين ينشدون السعي لتطوير النظام الاقتصادي الإسلامي ، سئل الشيخ عبد الرزاق عفيفي عن إمكانات عديدة تسمح بالتدرج في تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي وعدم التشديد والتضييق أول الأمر .

فأجاب - يرحمه الله - بقوله : يجب ألا نكتفي بالأسئلة النظرية التي ليس لها أي مردود علمي . وأردف قائلاً : لقد درسنا كثيراً من الأمور النظرية ، بل قدمنا فيها الفتوى المناسبة بهدف أن نجد التطبيق العملي لها ، وإذا بها تتعثر لعدم وجود الدعم الكافي لها ، أو أن الكثير تخطاها بفتاوى تجاوزت الحدود الإسلامية المقبولة .

الفصل الثامن

عبادته

يقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

وكان يحج كل عام منذ أن هاجر إلى المملكة ، ويدرس في الحرم ويفتي الناس في شؤون دينهم ولا سيما في أمر المناسك . وله اقتراحات نافعة أخذ ببعضها بالنسبة إلى الضحايا والهدي . وقد حججت معه مرات ، وأشهد أنه كان في المواقف ولا سيما في عرفات كثير التضرع ، يدعو ربه ويجتهد في الدعاء والدموع تنهمر على لحيته يسأل الله المغفرة والرضوان وإصلاح أحوال المسلمين ويطلب في ذلك . وقد حج في هذا الموسم الأخير على الرغم من ضعفه بسبب الشيخوخة وإصابته ببعض الأمراض .

ويقول الشيخ يوسف المطلق :

وبلغني من عبادته أنه كان أشد الناس محافظة على السنة والعمل بها . قلت : ومن ذلك محافظته رحمه الله على صلاة الجماعة في المسجد حتى وهو في أصعب الظروف الصحية ، وقد رأيت رحمه الله وهو يذهب إلى المسجد متكئاً على العصا والجدار تارة ، ومتكئاً على كتف ابنه تارة ثم رأيت ، وهو يذهب إلى المسجد مدفوعاً على العربة بعد أن عاجز عن المشي في آخر عمره ، وكان رحمه الله مبكراً إلى المسجد محافظاً على السنن القبلية والبعدية .

وقد كان رحمه الله محافظاً على الهدي النبوي الظاهر من إعفاء لحيته البيضاء الكثّة وتقصير ثوبه فوق الكعبين .

وكان من عاداته رحمه الله التداوي بالحبة السوداء لما ثبت فيها من الحديث .

الفصل التاسع

كرمه وجوده

من مكارم الأخلاق التي كان يتحلّى بها الشيخ رحمه الله خلق الكرم والجود متمثلاً قوله ﷺ « إن الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجّودة » (١) .

وقد شهد له بذلك كل من عرفه .

١ - فمن مظاهر كرمه أثناء إقامته بمدينة شبن الكوم ما ذكره الشيخ مناع القطان حيث يقول :

استأجر بيتاً لسكناه (وهو عزب) فأسكن معه طلاب بلدته « شنشور - منوفية » .

ثم تزوج وسكن في بيت مستقل ، ولكنه كان يدعو طلابه إلى بيته . ويرعاهم كما يرعى الأب أبناءه .

٢ - ويقول الدكتور محمد لطفي الصباغ :

كان مما يمتاز به سعة صدره ، وبعد نظره ، وزهده في الدنيا ومتاعها ، وحبّه الخير للناس جميعاً ، وبذله جاهه في مساعدة الآخرين .

وكان كريماً كريماً أصلياً لا يتكلف يريد المباهاة والمفاخرة ، بل يقدم ما تيسر وما كان أعده لنفسه ، وكان بذلك قادراً على أن يقيم في كل يوم وليمة ، وكان إذا علم بمجيء عالم يعرفه دعاه إلى الطعام ، وقد حضرت كثيراً من هذه

(١) أخرجه الترمذي [٢٧٩٩] بلفظ (كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود) وأشار إلى ضعفه .

الولائم، وبيته مفتوح كل ليلة للزائرين، وطلاب العلم، والمستفتين، والذين ييغون الشفاعة في أمر من أمورهم.

٣ - ويقول الشيخ عبد الله بن جبرين :

كما أنه يكرم من زاره ويقدم ماحضر بدون تكلف ويجود بما يقدر عليه دون أن يمن بما أعطاه أو يرد من سألته وهكذا دأبه مع العلماء، وطلبة العلم، والأصحاب والزملاء الأقدمين فهو جواد كريم بما اعتاده، ومجيب لمن دعاه بدون تكلف أو تشدد.

٤ - ومن مظاهر كرمه العظيمة أثناء تدريسه بالمعهد العالي للقضاء ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حيث يقول :

ومع أنه اكتفى برويته وبقي في فليلة بحارة شعبية لا تليق بأصغر تلامذته، فإنه لم يدخر من هذا الرويتب شيئاً، فقد كان يوزعه على أسر فقيرة في مصر، وكان له صدقات في رمضان سخية على بعض المستحقين بالمملكة. وعندما كنت بالمعهد العالي للقضاء كان هناك مكافآت للطلاب المغتربين تتأخر عليهم فكان يقرضهم، وكان يتنازل عن حقه لدى هذا ويأخذ بعض حقه من ذاك.

٥ - ومن أبرز مظاهر جوده أنه كان يمتلك داراً بمكة المكرمة فوقفها على دار الحديث الخيرية لتكون له صدقه جارية وفي هذا يقول منسوبو دار الحديث الخيرية في كلمتهم التي نشرت بصحيفة الندوة عدد ١٠٨٨٣ بتاريخ ١٣/٤/١٤١٥ هـ.

ولقد كان رحمه الله حديباً على دار الحديث الخيرية ومنسوبيها، عطوفاً عليهم، قوي الصلة بهم، ولا أدل على ذلك من أنه أوقف داره بمكة المكرمة على هذه الدار، مما يترجم عن عظيم حبه وتقديره لهذه الدار المباركة.

الفصل العاشر

تواضعه

ومن مكارم أخلاقه التواضع عملاً بقوله ﷺ « من تواضع لله رفعه » (١) .
وقوله ﷺ : « يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر يطؤونهم الناس بأقدامهم » (٢) .

١ - يقول الشيخ عبد الله بن حافظ الحكمي :

وكان - رحمه الله - في أخلاقه محل القدوة والأسوة ، شديد التواضع تغلب عليه البساطة في مجلسه إذا ارتاح لمحدثه استرسل في ذكر بعض الأحداث والمواقف ونزل معه على قدره صغيراً كان في سنه أو منزلته ، ولذا كان - رحمه الله - محبوباً من كل من يعرفه ممن عمل معه أو تتلمذ عليه محل الإجلال من الجميع والتقدير .

٢ - ويقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

وعلى الرغم من تلمذتي عليه ما كان يعاملني إلا على أنني زميل له تواضعاً منه وكرماً ، أحسن الله إليه وجزاه عنا الخير .

(١) أخرجه مسلم بلفظ [وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله] رقم [٢٥٨٨] وأحمد في المسند

[٣٨٦ / ٢] والترمذي [٢٠٢٩] .

(٢) أخرجه أحمد [١٧٩ / ٢] عن عبد الله بن عمرو ، والترمذي في السنن [٥٦٥ / ٤] رقم

[٢٤٩٢] .

وكان يعرف للناس أقدارهم ولا سيما إن كانوا غرباء ، وكان متواضعاً يكرم الصبيان والفتيان ، ولا يدعوهم إلا باللقاب التكريم ، ويتودد إليهم . وقد رأيت يوم أن جاء الشيخ حسن حبنكة أحد كبار علماء بلاد الشام لزيارة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم رأيت في قمة التواضع ، إذ كان يؤثر الكثير على الجلوس في المقاعد المتقدمة مع أنه أجدر منهم بهذا التقديم .

٣ - ويقول الشيخ مناع القطان :

أضفى عليه تواضعه حلة من زيادة التقدير والاحترام لدى كل من عرفه .

الفصل الحادي عشر

حلمه وسعة صدره

ومن مكارم أخلاقه الحلم وسعة الصدر والحلم خلق يحبه الله تعالى كما جاء في قوله ﷺ (الأشجع بن عبد القيس): « إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة » (١).

١ - يقول الشيخ عبد الله بن جبرين :

أما أخلاقه فقد عرف منه لين الجانب ، وطلاقة الوجه ، وحسن الملاحظة فهو إمام الزوار ، والتلاميذ ، والزملاء دائماً يظهر الفرح والسرور ، والانبساط في الكلام والإجابة على الأسئلة بدون غضب أو ملل أو تبرم أو رد شديد للسائل فجليسه يلقي منه كل المؤانسة والتبسم بحيث لا يمل جليسه ولا يزال يتلقى عنه أنواعاً من الفوائد ولطائف المعارف وغرائب المسائل .

٢ - ويقول الدكتور محمد لطفي الصباغ :

وكان يتصف بسعة الصدر وحسن المناقشة والحلم وإلانة القول لمن يسأله ويناقشه ، فقد ذكر لي الشيخ ناصر الدين الألباني أنه في أول قدمه جاء فيها المملكة من بضع وأربعين سنة قابل عدداً من المشايخ وذاكرهم في مسألة قررها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي مشكلة في نظره ، وقد أنكرها ، فاشتدوا عليه إلا

(١) أخرجه مسلم ١ / ٤٨ رقم [١٧ ، ١٨] وأبو داود [٣٩٥ / ٥] رقم [٥٢٢٥] وأحمد [٣ / ٢٣] ، والنسائي [٣٠٦ / ٨] .

واحداً وكان هو الشيخ عبد الرزاق عفيفي الذي تلطّف به وناقشه في الموضوع ، وكان الشيخ الألباني يذكر هذه القصة مشيداً بالصفات الكريمة التي تميز بها الشيخ رحمه الله .

٣ - ويقول الشيخ يوسف المطلق :

وكان يخصص وقته بين إجابة السائل شخصياً ، أو تحريرياً ، وما كان يسأم من السائلين بل كان يبذل جهداً حتى يفهم سائله . .

٤ - ويقول الدكتور حبيب مصطفى زين العابدين - وكيل وزارة الأشغال -

وذهبت مرة أستفتي أحد كبار العلماء الأفاضل في مسألة خاصة واستدعت الفتوى أن أراجع العالم الفاضل واستوضح بعض جوانب فتواه ، ولم يزد ذلك على سؤالين أو ثلاثة ، وبُهِتَ عندما هب هذا العالم واقفاً وأقفل الحديث وخرج من المجلس ، ذهبت بعدها مباشرة إلى الشيخ عبد الرزاق عفيفي وهو مريض على فراشه في غرفة نومه فأحسن استقبالي وأحضر لي الشاي وحاورته في مسألتني حتى اتضحت لي الأمور ، وغادرت بيته معجباً بعلمه ورحابة صدره وصبره ، وتمثلت فيه العالم القدوة ، ودعوت الله له دعوات حارة صادرة من أعماق قلبي . . ويكفي الشيخ فضلاً أن يذكر عنه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالملكة ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً أنه مامن طالب درس بالجامعة أو أستاذ عمل بها إلا ويعد من تلامذة الشيخ .

الفصل الثاني عشر

رحمته بطلابه ونصحه لهم

كان الشيخ رحمه الله رحيماً بطلابه مشفقاً عليهم يسعى في مصالحهم ويريد الخير لهم عملاً بقوله ﷺ «الراحمون يرحمهم الله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (١).

وطالب العلم هو وصية رسول الله ﷺ فلذا صار دأب العلماء المخلصين العاملين الاحتفاء بطلابهم والحرص على إفادتهم وتعليمهم مستحضرين قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (٢).

١ - يقول الشيخ مناع القطان :

كان يزن طلابه بميزان دقيق في الجوانب المتعددة ، ولا يخفي حبه لمن يتوسم فيهم الخير . فيعاملهم - وهم بمنزلة أبنائه - معاملة الأخ الأكبر لإخوانه الصغار .

٢ - ويقول الشيخ صالح السدلان :

ولا تكاد تجلس معه قليلاً من الوقت إلا وتخرج بفائدة علمية ، أو أدبية ، أو خلقية .. وأعرفه لا يحب الكلام في أحد كما تميز رحمه الله بوضوح العبارة ، ولم أر مدرساً مثله في إيصال المعلومات وقلة الحشو ..

(١) أخرجه أبو داود [٥/ ٢٣١] ، رقم [٤٩٤١] والترمذي [٤/ ٢٨٥] رقم [١٩٢٣] ، [١٩٢٤] .

(٢) سورة النساء الآية ٩٤ .

ولم يكن يدرس مادة إلا وأكملها وكان رحمه الله من المفيد في التدريس وغير المخوفين في الامتحانات . .

وكان يصنف الطلاب على مستوى الدرجات العلمية ومن شدة دقته في التصحيح لم يكن يساوي بين طالين بدرجة واحدة ، وكان يتميز بالثقة وقوة الإرادة .

٣ - ويقول الشيخ صالح الأطرم :

وقد اشتهر الشيخ عبدالرزاق بحبه للنفع وبذله للنصح ، فهو المستشار الناصح لكل من استشاره من مسؤول أو من سائر الأفراد ، وكان ثاقب النظر عارفاً بطلابه واتجاهاتهم ، من يصلح للقضاء أو للتدريس في حقول التعليم أو في الوظائف الإدارية ، وكان حريصاً على تأهيل من يتولون المسؤوليات من قضاء وتدريس وأعمال إدارية .

ومما أستحضره من نصحه لما اقترح من اقتراح اختبار نصف العام جاءت مشكلة المكفوفين فحل المشكلة بأن يختبروا شفويّاً فكان المكفوفين لم يرغبوا ، فمازاد على كلمة واحدة وهي قوله : إنه أرفق بكم ؛ فليس كل واحد سيجد كاتباً وبعد خروج النتيجة حصل الرضا فأدرك المكفوفون نصيح الشيخ .

ومن نصحه لي شخصياً لما درست السنة الأولى في المعهد العالي للقضاء لم أدخل الاختبار فغلظ علي اللوم فاعتذرت بعدم المذاكرة ، فقال لي : ادخل الاختبار وأجب بما عندك ، فلم أفعل ، ولما بدأت الدراسة في العام الثاني بالمعهد العالي للقضاء أعاد علي النصيح بمواصلة الدراسة فأبيت الرغبة فاستشرت الشيخ عبد الرزاق عمن أذاكر معه ، وذكرت له شخصاً ، فقال : اعزم على مواصلة الدراسة ، وأنا أعرف من يناسبك وتناسبه في المذاكرة ، فحقق ما قال غفر الله له

وجزاه الله عني والإسلام والمسلمين خيراً ، وكان نصحه مع كل واحد ولكني ذكرت نموذجاً مما يتصل بي .

٤ - ويقول الشيخ حسن محمد إسماعيل أحد تلاميذه في المعهد الأزهري بالإسكندرية ١٣٦١ هـ .

وأمسكت بالقلم للكتابة وفكرت من أين أبدأ ، ورأيت أن من الواجب أن أكتب من أول يوم تقابلت فيه مع الشيخ عندما ذهبت إلى المعهد لتقديم أوراقتي وإذا بفضيلة الشيخ يقدم لنا أسئلة شفهية لاستخبار قدراتنا فأثنى على بعضنا ، وقال للمسئول خذ منهم فوراً ولا داعي لأن يعودوا غداً لأن الوقت كان قد انتهى فشكرنا له حسن صنيعه وكيف أنه عاملنا هذه المعاملة الطيبة .

٥ - ويقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حاكياً بعض ذكرياته عندما كان طالباً بالمعهد العالي للقضاء ، والذي كان الشيخ عبد الرزاق مديراً له ، ومدرساً به :

وقد زاملت في هذا المعهد من هو في دور مشايخي ، ومادام التغابن في العلم من باب التنافس المحمود فما غبني إلا جبهات وكتل من العقل البشري جاءت إلى المعهد بعدي وتخرجت قبلي بسنين ، ومنهم من كان أول ممتازاً منذ بدأ إلى انتهى مثل أصحاب المعالي الدكاترة : عبد الله التركي ، وحمود الفايز ، وعبد العزيز الربيعة .

جئت إلى المعهد وكان الشيخ عبد الرزاق يكن لي ذكريات حب - وإعجاب كما يفرح الأب بابنه النجيب ، إلا أنه وجدني على غير عهده ، إذ وجد شيئاً من الأناقة في الملبس والمظهر مع توسع الأدباء والظرفاء فلم يغسل يده مني لأنه يحس عندي عناصر من التأصيل الشرعي ، ولم يفرح بي كما يفرح بنجباء تلامذته

الذين لا يزالون على سمتهم .

وقد فضحتني الصحافة أو فضحت نفسي بها بشيء من الترطيب الفني حيث إنني لم أبال بمشايخي في مقدمتي لكتيبي نظرات لاهية ، وكان إذا رأيوني وأحس بأن الساحة خلية من سامع رمى كليمه من مثل قوله : « يا أبا عبد الرحمن لا تسقط الزنبيل » .

كأنه يريد أننا نريد رفعتك ، وأنت تأبى إلا أن تتدلى .

وعندما كنت طالباً في المعهد كنت أحمل شيئاً من الصلف الأبى والصحفي أمام جهازة العلم ، وأحضر فصول الدراسة للاعتداد بنفسى أكثر من الاستفادة من مشايخي .

وقد نغصت على مشايخي لي من أمثال البجيرى ، والدسوقي إلا أن الشيخ عبد الرزاق لا يترك مجالاً لفضولي مثلي لأنه يأسرني فكراً ووجداناً ولغةً إذا تحدث فأصغي للدرس وأستفيد على الرغم منى ومن سخافاتي أنني أحضر للآية التي سيفسرها من أكثر تفسير لأستدرك عليه شيئاً فاته فإذا شرع بدرسه تبخر كل شيء في جعبتي لأنه يتناول الموضوع تناول خاصة من العلماء جمعوا بين الحفظ والذكر فكانت مادته دسمة ، وكان قديراً على التوصيل لأنه كان جذاباً ومغرياً ، وما سمعت منه قط كلمة مؤذية ولكنه كان يفرض هيبتة واحترام الطلاب له تلقائياً بشكل عجيب .

وانتهيت من المعهد بدرجة مقبول ، وكانت هذه الدرجة إنقاذاً منه لي وقد صرح أمام لجنة المناقشة أن انتشالي تقديرألي وليس لبحثي إذن لم أتل من عبد الرزاق شهادة علمية ، وإنما فزت منه بمنهج تربوي تعليمي كريم ، فعندما تأزمت لشيخى البحري رحمه الله ، وتولى الإشراف على فترة قليلة ريثما

أعادني إلى مشرفي الأول تخلقت منه بخلق علمي ، فكنت أخلص أقوال بعض العلماء بفهمي وأسلوب فيطالبي بالتنصيص ثم يستعيد النص مني مراراً حتى يبين لي أن ما فهمته ولخصته كان فهماً خاطئاً .

وأحياناً أنقل نقلاً عن عالم ثم أحيل إلى أقوال آخرين ظننت أن كلامهم كان واحداً فيطالبي بالتنصيص ثم يظهر لي فروقاً دقيقة يتضح بها أن كلامهم مختلف وليس واحداً . أ . هـ .

الفصل الثالث عشر

زهده وورعه

١ - يقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

وكان الشيخ عبد الرزاق رحمه الله متواضعاً زاهداً في متاع الدنيا ومناصبها ، لا يغشئ منازل الوجهاء والأغنياء إلا إن دعي ، وكان يتعفف إن حضر ولا يقول إلا ما يرضي ضميره ، ولعل زهده هذا هو السبب في عزوفه عن إلقاء المحاضرات وحضورها .

وكان يبذل جاهه في خدمة الناس الصالحين ومعونتهم ، وكان لا يردُّ صاحب حاجةٍ يستطيع أن يقضيها له .

٢ - ويقول الشيخ عبد الله بن حافظ الحكمي :

كان شديد الزهد في أعراض الدنيا يلبس الخشن من الثياب في آخر حياته ويرتاح لذلك ويعلله بأنه يناسب بدنه صحياً .

٣ - ويقول الشيخ يوسف المطلق :

ولقد كان مثلاً للإخلاص والقدوة الحسنة في زهده وورعه .

٤ - ويقول الشيخ مناع القطان :

وقد عاش الفقيد متقشفاً زاهداً بعيداً عن المظاهر العامة بمنأى عن أضواء وسائل الإعلام .

٥ - ويقول الشيخ عبدالله بن عبد المحسن التركي :

إن فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي يتصف بصفات يندر أن تجتمع في شخص : غزارة العلم ، ورجاحة العقل ، والزهد في الدنيا ، ومظاهرها وحب الخير للآخرين ، وبذل جاهه وماله في ذلك .

٦ - ويقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري :

والبرهان على أنه ليس طالب مجد دنيوي أنه ما التمس سبيلاً لازدياد كسب مادي غير رويته تلقاء عمله الوظيفي الذي كرس له كل وقته .

وما أكثر سبل الكسب المادي لو أرادها .

وبعدَ عن الإعلام والإعلاميين بعدد لا هوادة فيه ، وما عرفت من الشيخ عبدالرزاق حياة قط غير حياته بين طلابه في الصف ، أو بين مريديه في بيته يقرأون عليه ويسألونه ، أو في صميم عمله الوظيفي لدى سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم يذاكره في العلم ويستفتيه في واقع الطلبة الذين يرشحون للقضاء والمناصب القيادية وكان رحمه الله عمدة في ترشيح الخريجين وتركيتهم .

ولما أحيل للتقاعد مرت سنون لم يراجع لاستلام استحقاقه ، لأنه وقلة من المشايخ خارج المملكة يتورعون عن التقاعد من دون أن يكتب فتوى في ذلك ، وإنما حمل نفسه على الأشد لأن كثيرين من السلف يتورعون عن بعض المباح ، وباب الزهد واسع عند الأسلاف .

الفصل الرابع عشر

صبره

١ - يقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

وكان صابراً . . . نزلت به كوارث شديدة فلم تضعضه ولم تخرجه عن اتزانهِ وخلقه :

أصيب في عام ١٣٧٦هـ بشلل نصفي وعافاه الله منه ، وأصيب بعدد من الأمراض كان فيها نعم العبد الصابر ، وقتل ولده الكبير أحمد عاصم رحمه الله في حرب ١٩٧٣ م ، التي قامت بين اليهود ومصر ، فتلقى الخبر صابراً محتسباً ، وكان في مجلسه يحمد الله ، ويحدث الحاضرين ، وإذا غلط أحد المعزّين في قول يجاوز به الحدّ الشرعي أنكر عليه ذلك وردّه إلى الحق .

ثم توفي ولده الأصغر عبد الرحمن رحمه الله فكان كذلك في غاية الصبر والرضى بقضاء الله وقدره .

ثم توفي ابنه عبدالله في ٣٠ / ٦ / ١٤٠٣هـ فجأة في جدّة ، فكان أيضاً مثلاً في الصبر والاحتساب والتسليم .

وقد سافرت زوجته مرة إلى مصر وعندما أرادت أن تعود إلى الرياض إلى زوجها وأولادها منعت من العودة مدة طويلة ، لمضايقة الشيخ وإيذائه ، فصبر وصابر حتى أذن الله بالفرج وعادت إلى بيتها .

٢ - ويقول الشيخ محمد سعد السعيد - إمام جامع سلطنة بالرياض :

وقد أصيب في عام ١٣٧٦ هـ بشلل نصفي وشفاه الله منه ، ثم أصيب مرة أخرى بشلل نصفي عام ١٤١٣ هـ تقريباً وشفاه الله منه ، وقد أجري له قبل خمس سنوات تقريباً عملية في البروستات وعملية في العين بسبب انفصال في الشبكية .

ومنذ فترة طويلة وهو مبتلى بأمراض عدة كالتهاب المسالك البولية ، وتعطل إحدى الكليتين ، وضعف الأخرى ، والضغط ، والسكر ، ومع ذلك نراه صابراً محتسباً ، ولم يثنه ذلك عن طلب العلم ، وتعليمه ، والعناية به ، وإفادة الناس وتوجيههم وإرشادهم إلى آخر أيام حياته .

٣ - ويقول الدكتور صالح بن سعود آل علي :

وقبل وفاته رحمه الله كان مبتلى ابتلاه الله سبحانه بمصائب ولكنه كان الصابر المحتسب إضافة إلى الأمراض التي عرضت له في العقد الأخير من عمره أصيب بثلاثة من أبنائه ، وهم في ريعان الشباب : عبدالرحمن الذي كان يلازمه في شيخوخته كظله يخدمه ويساعده إذ به يفاجأ بوفاته بسبب انفجار أسطوانة غاز . وعبد الله بسكتة قلبية ومن قبلهما أحمد أكبر أبنائه الذي جاءه نعيه قتيلاً في حرب الدبابات مع إسرائيل في سيناء عام ٧٣ م .

ومما يلفت النظر في جلد هذا الشيخ وصبره أنه لما جاء خبر وفاة ابنه أحمد وهو مدير ومحاضر في المعهد العالي للقضاء لم يتوقف عن برنامجه اليومي ، فقد جاء إلى طلابه في مرحلة الماجستير - وكنت واحداً منهم - وألقى المحاضرة كالعهد به دون أثر أو تلثم ، وكانت بعد العصر إلى المغرب ، وكان الطلاب كعادتهم بعد أن ينتهي من المحاضرة يوجهون الأسئلة واحد تلو الآخر ، وإذ به

يجيب عنها دون أن يظهر عليه ما يلفت النظر . وبعد انتهاء المحاضرة خرج من القاعة ونحن وراءه ، وإذا بنا نحن الطلاب نفاجأ بطابور من الأساتذة وطلاب آخرين يقابلونه ويقبلونه معزين بوفاة ابنه . ولا تسأل عن ذهولنا نحن ليس من الوفاة ، ولكن لأن الشيخ لم يترك المحاضرة لابل لأنه لم يخبرنا ، ولم يظهر عليه أي أثر للصدمة . فأقبلنا عليه مع غيرنا مواسين ومعزين فرحمه الله وغفر له .

الفصل الخامس عشر

مزاحه

كان الشيخ رحمه الله يمزح ولا يقول إلا صدقاً كما كان هدي النبي ﷺ ، فكان يحب التعبير الطريف الصادق ، وكثيراً ما يروي بعض المواقف التي يتعجب لها مما مر به في عمره الطويل المبارك فمن ذلك أنه حدثني أن أحد زملائه المدرسين في المعهد كان كثير المزاح فجاء يوماً وقال لهم لقد جئت اليوم على سيارة فيها (ألف تيسر) فتعجبوا من ذلك إلى أن تبين أنه يقصد (الفتيسر) وهو العصا التي تنقل الحركة من السرعة الأولى إلى الرابعة أو الخامسة بالسيارات .

وسئل الشيخ رحمه الله عن رجل رضع من امرأته بعد زواجه عدداً من الرضعات فقال لا تحرم عليه ، ولو تغذى على لبنها إلى أن يموت لأنه ليس في الحولين .

وسئل عن امرأة مسنة بقي من عدة وفاة زوجها خمسة أيام وتريد أن تخرج للحج فقال لا يجوز ولو كان عمرها عمر نوح عليه السلام .
يقول الدكتور حمد الجنيد :

كما كانت له نكتة حلوة طريفة يعرفها كل من عاشه مع صراحة تامة ببراءة وظهر .

ويقول الشيخ عبدالله الحكمي :

وكان - رحمه الله - يقول في وصف تغير العصر وانقلاب المفاهيم «بعض

الناس الآن كنبت البصل رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى .

وسمعت منه في كلام في عدم الجهل بما يحل ويحرم وأن الإنسان يعرف ذلك غالباً من نفسه قال : « حتى الحيوان قد يدرك ذلك ألا ترى الهرة إذا ناولتها قطعة اللحم أكلتها وهي بجوارك آمنة ، وإذا غافلتك وخطفتها من غير رضئ منك هربت بها بعيداً عنك » .

ويقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

وكان ذا روح خفيفة قلما يخلو مجلسه من إلقاء نكتة مهذبة واقعية تنشط السامع وتسره ، وتؤدي غرضاً توجيهاً .

ويقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان :

وقد أعطاه الله القدرة على إيصال المعلومات إلى أذهان الطلاب بطريقة سهلة جذابة مع جدية حازمة ، وظرافة مليحة وحفظ للوقت ، وقد تأثر بهذه الطريقة كل من تتلمذ عليه فصاروا يتميزون عن غيرهم من المدرسين .

الفصل السادس عشر

إعراضه عن اللغو

١ - يقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

كانت حياته حافلة بالجد النافع من الأعمال ، فلم يكن يشغل الشيخ عن العلم والعبادة ولقاء الناس وتعليمهم شيء مما يشغل الآخرين ، فلم يكن الشيخ يسمع الإذاعة ولم يكن يرى التلفاز ولم يكن يعنى بقراءة الجرائد ، بل كان ينفق وقته كله في قراءة القرآن ومطالعة مسائل العلم . ونحسب أنه كان ممن طال عمره وحسن عمله ولا نزكي على الله أحداً .

٢ - ويقول الشيخ عبد الله الحكمي :

وكان يكره الجدل والمراء وقل أن يسمح لمحدثه بالاستمرار في ذلك أو ينساق له .

٣ - ويقول الشيخ عبد الله العجلان :

وكان يرحمه الله إذا نقد أحداً أو موقفاً أجمل في الكلام وقد يكتفي بإظهار عدم الرضا بنبرة أو كلمة مجملة أو إشارة ، وإذا أثنى على شخص أو موقف فصل فيه وحدد وأبان ، وإذا تكلم استرسل في كلامه سواء كان في المحاضرة أو إلقاء الدروس أو كان في الحديث العام حتى يستطيع السريع في الكتابة أن يكتب كل كلامه إذ أنه في الكلام كأنه يُملئ .

الفصل السابع عشر

هيئته واحترام الناس له

١ - يقول الشيخ عبد الله العجلان :

وكان كثير الصمت يفرض احترامه على جلسيه كثير التأمل شديد الملاحظة دقيق الفهم نافذ الفراسة ، ويلاحظ أن أسلوبه في الحديث والصمت مختلف باختلاف المجالس والحضور في كل جلسة ، وحسب الموضوعات التي يتبادلها الحضور بالبحث إلى أخبار وتحليلات علمية إلى موضوعات اجتماعية إلى أخبار وتحليلات وغيرها ، فهو ينطلق في الحديث في المسائل العلمية وفي تحليل بعض الظواهر الاجتماعية ، وهو يمسك عن الحديث إن كان الحديث في أمور الناس ، ودنياهم العامة والقضايا التي ليس له فيها دخل أو تأثير ، فكان مثالا في علمه وأدبه وأخلاقه وقدوة في تصرفاته ، ورعاً زاهداً متواضعاً يندر أن يوجد في الناس مثله .

٢ - ويقول الشيخ مناع القطان :

يهاب الطلاب شخصيته ، وينصتون لسماع درسه ، ويحرصون على الاستفادة منه .

الفصل الثامن عشر

تلاميذه وأثره فيهم

يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء :

إن شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي - يرحمه الله - شخصية علمية فذة هو شيخ المدرسين ، وقدوة العلماء السلفيين في هذا الوقت ، فله الفضل بعد الله على كل متعلمي هذا الجيل ممن تخرجوا في الدراسات الشرعية في التفسير ، والحديث ، والعقيدة ، والأصول . فقد درّس في كل مراحل التعليم الثانوي والعالي ، والتخصصي . وكانت طريقته في التدريس طريقة فذة نادرة ، سهلة جذابة مع جدية حازمة وظرافة مليحة وحفظ للوقت ، وقد تأثر بهذه الطريقة كل من تتلمذ عليه فصاروا يتميزون عن غيرهم من المدرسين ، ولقد أفنى عمره المبارك في التدريس ، والإفتاء ، وعضوية هيئة كبار العلماء والدعوة إلى الله ، إذ لا يقتصر نشاطه على التدريس المنهجي ، بل كان يدرس في المسجد الحرام في أوقات المواسم وفي غيره من المساجد ويحضر دروسه الجُم الغفير من الناس ، وكان يشارك بإلقاء المحاضرات ، والندوات في مختلف الأماكن ، وكان يشرف على الرسائل العلمية في الماجستير ، والدكتوراه ، ويشارك في مناقشتها ، وهكذا كان كل وقته يصرفه في نشر العلم والإفادة - حتى في آخر أيامه وهو يعاني من المرض - كان يستقبل الزائرين ويجيب عن تساؤلاتهم ويرد على أسئلة المستفتين عن طريق الهاتف .

ويقول الشيخ عبد الله بن جبرين:

وقد تتلمذ عليه أكابر العلماء في هذه المملكة ، واعترفوا بفضل علمه ،
وافتحروا بالانتماء إلى تعليمه في أغلب المراحل ، كما انتفع الكثير بالفوائد التي
تلقوها عنه في دروسه في المسجد وغيره .

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي :

ولا أبالغ إذا قلت : إن غالب منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية من طلابه أو طلاب طلابه ، بل إن هذا الوصف ينطبق على غالب
العلماء في المملكة سواء أكانوا في القضاء أم التدريس أم الإفتاء والدعوة .

ويقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري :

فكان في هذه المملكة أستاذ جيل بحق تتلمذ عليه أبناء ما بين السبعين إلى
الثلاثين ، ولا يزال تلامذته مربين للأجيال أهل منابر وحلقات وتدریس
وتأليف .

ويقول الشيخ عبد الله العجلان :

ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن معظم علماء المملكة اليوم هم إما من طلابه أو
من استفادوا منه بوجه من وجوه الاستفادة وكلهم يحفظ له حقه ، وجهوده ،
وتعتبر وفاته خسارة عظيمة إذ إنه من كبار حملة ميراث النبوة في هذه المملكة
ومن دعاة الهدى وأئمة التوجيه الصائب .

ويقول الشيخ يوسف المطلق :

وإننا وطلاب الذين منهم الوزير ، والقاضي ، والداعية ، والأستاذ ،
والإداري لا نقدر على مكافأته إلا بخالص الدعاء الصالح . فبارك الله في ذريته

وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء والإحسان .

ويقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

صحبتة ما يزيد عن اثنين وثلاثين عاماً ، ما تركتُ مجلسه في أسبوع إلا أن يكون أحدنا مسافراً ، وقلما سفراتنا تطول . وقد جاورته سنين عديدة فكان نعم الأستاذ والجار . لقد تعلمت منه في هذه الصحبة أموراً كثيرة : منها ما يتعلق بالناحية العلمية ، ومنها ما يتعلق بالناحية السلوكية ، ومنها ما يتعلق بالناحية الشخصية . . . لقد كنت أُلجأ إليه في كلِّ أمرٍ من هذه الأمور ، وكان يمدُّني بالرأي السديد ، والتوجيه القويم . لقد أكرمته الله بالعقل المسدّد ، والعلم الواسع ، والرأي المحكم .

ويقول الشيخ صالح بن سعود آل علي :

وقد شرفت بأن أكون أحد تلاميذه في كلية الشريعة ، ثم في المعهد العالي للقضاء ، وخبرته من قرب ، ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجَمِّ والفقه في الدين والتحلي بمبادئ هذا الدين من تواضع ، وتقوى ، وزهد ، وورع ، وصبر وحب لهذه الأمة ، وحرص على أن تظل كما هو مؤمل منها منارة هدى ومصدر إشعاع وموئل عز الإسلام والمسلمين .

ويقول الشيخ صفوت نور الدين :

ولقد كان الشيخ - يرحمه الله تعالى - وفي كبر سنه ، منظماً في علمه محافظاً على وقته بين الدرس والتدريس ، ومراجعة الرسائل العلمية ، وإعداد الأبحاث ، وتسطير الفتاوى ، لا تراه أبداً إلا في عمل مثمر نافع ، ولقد نفع الله بجهده فصار تلامذته من كبار العلماء والمعاشين له من الفقهاء ، فلقد كان الشيخ

محمد علي عبد الرحيم - يرحمه الله - وهو أسن منه يراه شيخاً له وأستاذاً معلماً .

ويقول الشيخ زهير الشاويش :

كان من تلامذته الدكتور عبد العزيز كامل ، والأستاذ عبد الرحمن الباني والدكتور محمد الصباغ ، والأخ مناع القطان وغيرهم ، ومجموعة من الإخوان الذين أخذوا فضائل كل جماعة وابتعدوا عن الغرور والتنطع والشذوذ والتفرد .

ويقول الشيخ مناع القطان :

وفي رحلته العلمية كانت عنايته الفائقة بتربية تلاميذه على العقيدة السلفية ، ونبذ البدع والخرافات والأخذ بيدهم إلى هدي الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة ، فاحتضن نخبة متميزة وتعهدها منذ الطفولة بالرعاية ، واصطحبها معه حتى نمت وشبت عن الطوق ، ونهجت نهجه ولعلني كنت على رأس هذه النخبة وأحب تلاميذه إليه - ولا أزكي على الله أحداً .

ومن القرية التي تعهدني بها منذ الطفولة انتقلت معه طالباً في معهد شبين الكوم الديني ، أتلقى من فيض علمه على مقعد الدرس ، وأزوره في بيته ، فيختار ما يشاء من الكتب لأقرأ عليه بعض الموضوعات التي يريدّها ويقف عند كل فقرة شارحاً ومبيناً .

الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي :

لقد عرفته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته منذ ستة وثلاثين عاماً ، وتوطدت صلتني به في أثناء طلب العلم ، والدراسة في كلية العلوم الشرعية في الرياض ، ثم في المعهد العالي للقضاء ، ثم في حلقات المساجد والمحاضرات في

الجامعات ، ومناقشة الرسائل الجامعية ، وازدادت معرفتي به حينما لازمته فترة إعداد بحثي في الماجستير ، حيث كان مشرفاً عليه ، فكان نعم الموجه والناصح ، يبذل وقته وجهده ويحرص على إفادة طالب العلم .

يقول الشيخ صالح السدلان :

إن كان لي من كلمة في أخص مشايخي الشيخ عبدالرزاق عفيفي فهي أنه قد درسني كثيراً في عدد من مراحل البكالوريوس في الحديث وأصول الدين ، وقام بتدريسي في المعهد العالي للقضاء لمادة أصول التفسير ودرسني الفقه في السنة الثانية بمعهد القضاء واعتبره كما يقول المثل : « قلبه فوق لسانه » فهو لا يتكلم إلا بعد معرفته ما يقول ، ويعتبر من العلماء الأوائل .

ويقول الشيخ عبد الله العجلان :

لقد عرفت هذا الرجل أستاذاً في علوم الشريعة ، واستمعت لدروسه ، وتلقيت عنه في فترات مختلفة ، فأدركت مكانته العلمية وصدق لهجته ، وسداد توجيهه وجاورته في السكن فكان خير جار ، ورافقه في السفر فكان نعم الرفيق والمؤانس ، وجالسته فرأيت فيه حسن الأدب وصواب الرأي .

ويقول الشيخ سعود الفينسان :

كان لي الشرف بأن قام الشيخ بالإشراف على رسالة الدكتوراه حيث استفدت منه في أثناء جلسات عدة معه من خلال ما لديه من معلومات وملاحظات ما لم أستفده في سني دراستي الجامعية كلها وما دونها وما بعدها ، وقد كان للشيخ فضل في توحيد وتأسيس منهج الدراسات العليا في الجامعة وبالأخص في تخصصي التفسير وأصول الفقه ، وكان من المقربين والمحبوبين

جداً من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إلى آخر لحظة في حياته .

ومما جاء في جريدة المسلمون بتاريخ ١٤/٤/١٤١٥ هـ :

والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي يعتبر شيخاً لجل كبار علماء المملكة كالشيخ عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ عبد الله بن غديان ، والشيخ صالح اللحيدان ، والشيخ صالح الفوزان ، والشيخ عبد الله بن حسن بن قعود ، والشيخ إبراهيم آل الشيخ ، والشيخ عبد الله بن جبرين ، والشيخ صالح الأطرم ، والشيخ الدكتور عبد الله التركي ، والشيخ صالح السدلان ، والشيخ راشد بن خنين ، والشيخ علي الرومي ، والشيخ عبدالعزيز بن عبد المنعم ، والشيخ سعود الفنينان ، والشيخ حمود بن عقلا ، والشيخ مناع القطان ، وغيرهم كثيرون .

١٧- ومن تلاميذ الشيخ عبد الرزاق أيضاً فضيلة الشيخ عبدالرحمن السديس إمام وخطيب الحرم المكي ، الذي درس على الشيخ في الجامعة ، وكان الشيخ عبد الرزاق مشرفاً على رسالته في الماجستير .

وقد ألقى الشيخ السديس محاضرة في مدينة جدة في رثاء الشيخ عبد الرزاق عقب وفاته رحمه الله .

الفصل التاسع عشر

مؤلفاته وموقفه من التأليف

لقد كان للشيخ رحمه الله موقف من تأليف الكتب في هذا العصر لا يوافقه عليه أغلب العلماء ، فقد كان يرى أن تصانيف السلف فيها الكفاية ، وأنه لا حاجة للمزيد عليها ، وأن الأولي أن تنصرف الهمة إلى دراسة كتب السلف ، وتدريسها بدلاً من الانشغال عنها بمؤلفات المعاصرين ، ولعل عذر الشيخ في ذلك أن أكثر المؤلفات في هذا العصر قليلة القيمة لانعدو أن تكون تكراراً للكلام السابقين ، وليت هذا التكرار يسلم من التشويه ، والتحريف ، لكن لا ريب أنه ظهر في هذا العصر من المؤلفات العظيمة ما كانت المكتبة الإسلامية تفتقد إليه ، منه ما هو أبحاث في مسائل عصرية تحتاج إلى تخريجها على أشباهها ونظائرها في كتب الفقه الإسلامي ، ومنها ما هو اختصار ، أو تهذيب لكتاب من كتب السلف يسر تحصيل الفائدة منه عند أكبر عدد ، ومنه ما هو شرح يحل غوامض كتب السلف التي يتعذر على أكثر المبتدئين فهم عباراتها ، ومنها أعمال موسوعية تجمع شتات ما كتبه عالم في مكان واحد ، أو تجمع شتات ما كتب عن مسألة يشور حولها الجدل في مكان واحد ، ومنها ما هو تكميل لعمل بدأه أحد السلف ولم يكمله لعذر ما ، إلى غير من فوائد التصنيف وهي كثيرة جداً ، ولكن على كل حال فهذه كانت وجهة نظر الشيخ ، وقد أخبرني الشيخ أنه لا يحب كتابة كلامه ، وأنه استغنى عن كثير من كتبه ، وأنه لا يكتب عليها من الهوامش إلا القليل ، وكان يقول لي : صاحب الكتاب خير من صاحب الكتب ، وكثرة الكتب عند

الرجل علامة على جهله يقصد أن الذي يدرس كتاباً موسعاً في الفقه مثلاً ويظل دائماً يكرر قراءته ودراسته وتدريسه حتى يحفظه خير من الذي يشتت نفسه في كتب كثيرة لا يتقن شيئاً منها والله أعلم بالصواب .

يقول الشيخ عبدالله بن جبرين :

أما التأليف فلم يكن يرغب فيه ، ولا يجب الكتابة في أي فن من الفنون ، بل يرى أن هذه الكتب والمؤلفات الحديثة لافائدة فيها ، فيكتفي بما كتبه وجمعه العلماء السابقون حيث إنهم تطرقوا إلى كل فن وأوضحوا ما يحتاج إلى توضيح ، فمن جاء بعدهم لا يستطيع أن يضيف إلى علومهم زيادة ، وأن المتأخرين إنما توسعوا في الكلام بما لا فائدة فيه وكان ينهي عن الانشغال بكتب المعاصرين التي كتبوها في الأصول ، أو التفسير ، أو الأدب ، والفقه ، ونحو ذلك ، حيث إنهم لا يزيدون على من سبقهم ومع ذلك فقد أشرف على رسالتي في أخبار الأحاد التي قدمتها لنيل درجة الماجستير ، وعلى رسالة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وغيرهما ، وكان يولي التلميذ توجيهات ، ودلالة علي المواضيع ، وأماكن البحث ، ونحو ذلك مما يدل على قدرته على الكتابة لو أراد ذلك فهو من حملة العلوم المتعددة ، وأي فن يتطرق إليه يوسعه بحثاً فرحمه الله وأكرم مثواه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

ويقول الشيخ مناع القطان :

تميز الفقيد بتأصيل المسائل العلمية وتحليل فروعها ، وتحرير مواطن الخلاف فيها ، والترجيح السديد بين الآراء المتعددة ، ولم يكن يميل إلى تأليف الكتب مع غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، ويفضل أداء العلم تدريساً وبحثاً ، وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء كثيراً من الأبحاث التي يرجع إليها طلبة

العلم وينهلون من معينها العذب .

له من المؤلفات : مذكرة في التوحيد ، وتحقيق وتعليق على كتاب الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ، وتعليق على الجزء المقرر في التفسير من الجلالين لطلاب المعاهد العلمية .

ويقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

والعلماء نوعان : علماء ين عزلون عن الناس ، ويتفرغون لكتابة الكتب والمصنفات ، وعلماء يعنون ببناء النفوس ، وتوجيه العامة وإرشادهم ، وبالإجابة عن أسئلتهم وحل مشكلاتهم ، وقد كان فقيدنا العظيم من النوع الثاني ، وقد انتفع بعلمه وتوجيهه خلق كثير ، وهناك عدد من مشايخنا كانوا من النوع الثاني وهم جبال من العلم ، وكذلك في العصور السابقة كان أكثر العلماء من هذا القبيل ، وأحسب أن فقيدنا كان يحمله على ترك التأليف عامل آخر وهو زهده في الشهرة والسمعة والمناصب .

وكان إذا رأى كتاباً خفيفاً لأحد المحدثين ليس فيه أصالة ولا دقة ولا استيفاء قال : يا ليت ما ألف ! ويا ليتة اقتصر على الانتفاع بما كتب الأئمة .

ويقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري :

والشيخ في جبلته يؤمن بتخريج الطلاب ، وتسهيل العلم الذي ورثناه عن الأسلاف دون حاجة إلى مزيد من التأليف .

ولهذا نفع الله بدروسه وتلاميذه فكانت له في وسطنا العلمي بالسعودية بصمة متميزة تجمع بين المعقول والمنقول رحم الله الفقيد وجمعنا به في دار كرامته .

ويقول الشيخ زهير الشاويش :

الشيخ والتأليف : كان رحمه الله يرى أن في ثروتنا العلمية التي تركها لنا الأجداد رحمهم الله ، ما يكفي وإذا كان ولا بد من مؤلف فيكون لسد الحاجات الطارئة علينا من أمور استجدت .

وقال لي مرة : يا زهير إن حُسْن إخراج الكتب وتحقيقها وحسن عرضها أفضل من التأليف .

ولذلك صرف جهوده إلى وضع المناهج للجامعات ، والمعاهد ، ورسم الخطط لها من غير أن يؤلف كتباً .

وقام على تحقيق كتاب « إحكام الأحكام - للآمدي » .

وبحكم تدريسه الطويل كان عنده أمال : في التفسير ، والحديث ، وأصول الفقه . . ما لو جمع لكان كتباً نافعة .

وفي تعليقه على رسائل الدكتوراه التي أشرف عليها ، ولعلها بلغت المئات : العلم الغزير النافع .

ويقول الشيخ عبد الله العجلان :

وكان يخبر عن نفسه في أكثر من مناسبة بأنه في الفترة الأخيرة ما كان يعتني باقتناء الكتب الكثيرة في بيته ، وأنه يكتفي بانتقاء عدد محدد من الكتب المتقاة في كل فن من الفنون يرجع إليها عند الحاجة ، ويؤكد بأنه لا يوجد لديه مكتبة بالمعنى المتعارف عليه بين طلاب العلم .

وكان له رأي في التأليف يذكره عندما يقال له : لِمَ لَمْ تُؤَلِّف في العلم الفلاني من علوم الشريعة ، فيقول : نحن لسنا في حاجة إلى التأليف بقدر ما نحن في

حاجة إلى الاطلاع على المؤلفات التي تزرع بها المكتبات ، وأن كثيراً من التأليف الحديثة في علوم الشريعة ، واللغة العربية ماهي إلا معلومات معادة وفي المكتبة ما هو أصل منها .

ويقول الشيخ حمد الجنيديل :

وعندي من إملائه ما يزيد عن مائة ورقة من التفسير كتبها بقلممي في أثناء تدريسه لنا في المعهد العالي للقضاء اعتبرها أنفس مالدي في مكتبتي الخاصة . ولعل الله أن يسهل لنا إخراجها وطبعها .

قلت : ومما بقي من آثار الشيخ :

- ١ - تعليقات على تفسير الجلالين من أول سورة غافر إلى آخره .
- ٢ - وتعليقات على العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٣ - وعلى التدمرية أيضاً لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٤ - وعلى الرسالة التبوكية للإمام ابن القيم .
- ٥ - وله حواشر نفيسة على ألفية العراقي في المصطلح .
- ٦ - وله بحث كبير في نحو ١٥٠ صفحة عن البورصة كان قد قدمه لهيئة كبار العلماء .
- ٧ - وله مذكرة في التوحيد (طبعت) .
- ٨ - وله تعليقات مطبوعة على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز .
- ٩ - وله مقدمة وتعليقات على كتاب الأحكام للآمدي .
- ١٠ - وله رسالة شبهات حول السنة .

١١ - وله رسالة في الحكم بغير ما أنزل الله ، وقد طبعت الآن بدار الفضيلة بالإضافة إلى فتاويه الخاصة المتناثرة عند تلاميذه ومحبيه وهذه الأشياء تحت الطبع بدار الفضيلة للنشر وفقهم الله .

وقد علمت أن دار الفضيلة للنشر بالرياض جمعت مؤلفات الشيخ ونسخت أشرطة التسجيل المحفوظة بصوته ، ولديهم كتب للشيخ ، وفتاوى ورسائل جاهزة للطبع الآن .

ويضاف إلى هذا كله كما أسلفنا أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله كان واحداً من أربعة علماء أعلام هم أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث ، والإفتاء اشتركوا في إصدار آلاف الفتاوى وعشرات الأبحاث القيمة التي لا تقدر لنفاستها بثمان .

الفصل العشرون

أسرته وأولاده

يقول الشيخ محمد لطفي الصباغ :

وقد تزوج سيدة فاضلة من أسرة كريمة من الإسكندرية هي أسرة سالم ، وقد أنجب منها عدداً من البنين والبنات وهم المهندس الزراعي أحمد عاصم رحمه الله ، والأستاذ محمد نبيل حفظه الله ^(١) والأستاذ محمود حفظه الله ، والأستاذ عبد الله رحمه الله ، والأستاذ عبدالرحمن رحمه الله وأما البنات فثلاث وقد أكرمهن الله بأصهار صالحين بررة .

وكان يهتم بتربية أولاده ، فكانوا مثلاً في الاستقامة والبر ، ولقد كان الأستاذ محمود منقطعاً لخدمة والده وضيوفه ، فكان هو الذي يصحبه إلى الصلاة ؛ ذلك لأن الشيخ في آخر حياته كان لا يقوى على المشي ، فكان يستخدم كرسيّاً طبيّاً ، وما كان الشيخ رحمه الله يترك صلاة الجماعة في المسجد في وقت من الأوقات الخمسة ، وكان الأستاذ محمود أحسن الله إليه يجلس معه يقوم بخدمة والده وتقديم الضيافة للضيوف وتنفيذ أوامر الشيخ . وكان يلزمه إذا مرض لا يتركه .

وقال الشيخ عبد الله بن جبرين :

كان من زملائه الشيخ عبدالله بن يابس الذي أصله من بلاد القويعية ، وقد

(١) يعمل الأستاذ محمد مراقباً مالياً للإدارات المالية وشؤون الموظفين بالخطوط السعودية حالياً .

كان بينهما من المحبة ، والصحبة ، وقوة الأخوة ما لا يوجد مثله إلا نادراً ، وكان
زواجهما متقارباً في مصر من زوجتين صالحتين كالأختين ، وقد استضاف الشيخ
عبدالله عند مجيئه من مصر لأول مرة ، واستزاره الشيخ عبد الله إلى بلاده ، ونال
هناك حفاوة وإكراماً من قبيلة الشيخ عبد الله ، ولم يزالوا يودون الشيخ
عبدالرزاق ويتصلون به حتى توفي رحمه الله .

الفصل الحادي والعشرون

حفظ الله تعالى

عليه حواسه إلى آخر عمره

١ - قال الشيخ عبد الله الحكمي :

وإن كانت وفاته - رحمه الله - بعد أن جاوز التسعين عاماً فقد كان رغم ما توالى عليه في السنين الأخيرة من العلل والأمراض مع كبر سنه تام الحواس سليم الإدراك ، لم يتغير في علمه وقد يسر الله له الحج عام ١٤١٤ هـ آخر موسم قبل وفاته بصحبة سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فكانت حجة وداع من خير ما ختم به أعماله .

٢ - وجاء في جريدة الإمامة بتاريخ ١٤١٥/٥/٢١ هـ :

كان مثالاً للأمانة والإخلاص لله ، والأمانة والإخلاص في حياته وعمله حتى أنه كان يذهب إلى عمله في آخر حياته ، وحتى في بعض الأيام التي لا يستطيع الذهاب إلى عمله بسبب سوء حالته الصحية كانت تأتي له أوراق الفتاوى إلى بيته ليحجب عليها .

٣ - وقال الشيخ عبد الله بن جبرين :

أما تدريسه فقد أفنى حياته في وظيفة التدريس في مصر ، ثم في المملكة ، في دار التوحيد بالطائف ، ثم في معهد الرياض العلمي ، ثم في كلية الشريعة

وكلية اللغة العربية بالرياض ، ثم في معهد القضاء العالي مديراً ومدرساً حتى أحيل للتقاعد ، ثم عمل متعاقداً في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ببقية حياته حتى وافاه الأجل وهو على رأس العمل في هذه الرئاسة .

٤ - وقال الشيخ مناع القطان :

بقي أن نضيف أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي بقي عضواً في هيئة كبار العلماء حتى أعفي لحالته الصحية التي فرضها كبر سنه قبل نحو عامين ، أما اللجنة الدائمة للإفتاء فلم يزل يشارك فيها منذ أقيمت بالرياض حتى وفاته يرحمه الله ، بل لقد كان يباشر عمله مفتياً ومجيباً عن مسائل العامة إلى مكتبه بإدارة البحوث العلمية والإفتاء مدفوعاً بالعربة لصعوبة المشي عليه .

الفصل الثاني والعشرون

حسن خاتمه ووصف جنازته

جاء في جريدة المسلمون بتاريخ ٤/٤/١٤١٥ هـ :

وكان الشيخ عفيفي - يرحمه الله تعالى - قد أدخل المستشفى العسكري بالرياض الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الموافق ١٦/٣/١٤١٥ هـ في قسم العناية المركزة ، ثم أخرج من ذلك القسم في يوم الأحد ٢١/٣/١٤١٥ هـ وهو يعاني من ألم شديد في الكبد ، وضعف في الكلى ، ووجود سوائل في الرئتين وهبوط في ضربات القلب ، وظل بالمستشفى حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم الخميس ٢٥/٣/١٤١٥ هـ في حوالي الساعة السابعة صباحاً ، وكان يرحمه الله - قبل وفاته - كما يروى ابنه محمد - في كامل وعيه وفي حالة ذكر لله عز وجل حتى ازداد ضيق نفسه ، وهبط الضغط لتخرج روحه إلى بارئها ، وقد صلي على جنازته عقب صلاة الجمعة ٢٦/٣/١٤١٥ هـ في جامع الإمام تركي بن عبد الله (الجامع الكبير) بالرياض ، وقد صلى عليه جمع غفير من الناس ، ويقول الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ، والشيخ محمد السعيد : إنه كان يوماً عظيماً مشهوداً امتلأ فيه الجامع الكبير إلى آخره ، وهي من المرات القلائل التي يمتلأ فيها الجامع ، وقد ازدحمت المواقف والشوارع المؤدية إلى المقبرة بالسيارات خصوصاً بعدما انطلق الناس بسياراتهم ، ومشياً على الأقدام مشيعين له ، وحضر دفنه بمقبرة العود بالرياض عدد هائل من البشر غالبيتهم من المشايخ والعلماء ، وطلبة العلم وتلاميذ الفقيد يغمرهم الحزن على فراقه داعين له بالمغفرة والرحمة ..

وهذا الحزن من الناس ، والجمع الغفير من المشيعين يدل بوضوح على ما للشيخ من مكانة وقدر في نفوس الناس وتلامذته الذين لا يحصون لكون الشيخ درس في أماكن كثيرة ومتعددة طوال ثلاثين عاماً قضاها في التدريس بالملكة ، وبرغم أن الشيخ تلقى تعليمه بعيداً في الأزهر بالقاهرة ، إلا أنه سرعان ما نال مكانته ، وقدره بين علماء المملكة بعد أن جاء به الملك عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - مع علماء آخرين من داخل المملكة - وخارجها - لينفذ من خلالها سياسته الصارمة في محاربة الجهل واقتلاع جذوره ، ونشر العلم في ربوع المملكة ، وخاصة العلم الشرعي ، وما زالت هذه المكانة تتعاضد حتى انتهت بالشيخ عبدالرزاق عفيفي عضواً في هيئة كبار العلماء ، ونائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

ويقول الشيخ عبدالله العجلان :

ولا غرابة في أن يتوافد أبناء عاصمة المملكة إلى المسجد الجامع الكبير في مدينة الرياض من كل حذب وصب وأن تكتظ بهم شوارع العاصمة ، وأن يضيق بكثرة المصلين المسجد على سعته وساحاته على امتدادها ، والشوارع المحيطة به على طولها .

وأن يمشي أبناء مدينة الرياض في تشييع جنازته زرافات ، ووحداً ، شيوخاً ، وشباباً حتى ضاقت بهم شوارع العاصمة على سعته ، وغصت المقبرة بالمشيعين والطرقات المؤدية إليها كل منهم يريد أن يلقي على هذا الفقيد نظرة أخيرة ويقول له وداعاً أيها الإمام وموعداً معكم في الجنة إن شاء الله .

إن هذا المشهد العظيم الذي عاشته عاصمة المملكة في توديعها هذا العالم يدل على وعي هذه الأمة ، وتقديرها للمخلصين من رجالها ، والعلماء العاملين

بعلمهم من أبنائها .

ويقول الشيخ صالح السدلان (بجريدة عكاظ ٣/٢٧) :

وكان محبوبه كثيرين ولم تكن تتصور أن يكون هذا الحضور بهذا الحجم الكبير ومن كافة الفئات في جنازته . . أسأل الله له الرحمة وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان .

ويقول الشيخ محمد سعد السعيد في مقالة بجريدة الجزيرة :

أدخل المستشفى العسكري بالرياض الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم الثلاثاء الموافق ١٦ / ٣ / ١٤١٥ هـ في قسم العناية المركزة ، ثم أخرج من ذلك القسم في يوم الأحد ٣١ / ٣ / ١٤١٥ هـ وهو يعاني من ألم شديد في الكبد ، وضعف في الكلى ، ووجود سائل في الرئتين ، وهبوط في ضربات القلب ، وظل بالمستشفى حتى وافاه الأجل المحتوم في يوم الخميس ٢٥ / ٣ / ١٤١٥ هـ في حوالي الساعة السابعة صباحاً ثم صلى على جنازته عقب صلاة الجمعة ٢٦ / ٣ / ١٤١٥ هـ في الجامع الكبير بالرياض وقد صلى عليه خلق كثير لا يحصى وقد ازدحمت المواقع ، وكذلك الشوارع المؤدية إلى المقبرة بالسيارات خصوصاً بعد ما انطلق الناس بسياراتهم للمقبرة ومن المشيعين من ذهب إلى المقبرة مشياً على الأقدام خوفاً من الزحام ، حيث حضر دفنه بمقبرة العود بالرياض عدد هائل من البشر غالبيتهم من المشايخ ، والعلماء وطلبة العلم ، وتلامذة الفقيد يغمرهم الحزن على فراقه داعين له بالمغفرة والرحمة .

وهذا الجمع الغفير من مشيعيه يدل دلالة واضحة على محبتهم له ، وإن العالم الإسلامي فعلاً قد فقد عالماً جليلاً وشيخاً فاضلاً ، وعلماء من أعلام الأمة ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ورحمة وغفر له ، وأسكنه فسيح جناته ،

وجمعنا به في دار كرامته ، ومستقر رحمته ، وجبر الله مصيبتنا ومصيبة أهله فيه ، ورزقنا وإياهم الصبر والسلوان ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

وجاء في مجلة الفرقان :

هذا وقد شهدت الرياض يوم دفنه الجمعة ٢٦ ربيع الأول يوماً متميزاً حيث وفد الآلاف من طلبة ، ومحبي الشيخ لمواراته الثرى ، وقد امتلأت بهم الطرقات والمقبرة ، والله نسأل أن يسكن شيخنا الفردوس الأعلى ، وأن يجعل قبره روضه من رياض الجنة ، وأن يجمعنا معه في الجنة مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

قلت : وقد شهدت الصلاة على الشيخ رحمه الله بالجامع الكبير بمدينة الرياض ، وكان إمام الناس في الصلاة عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ إمام الجامع الكبير ، ثم شهدت جنازته ، ودفنه رحمه الله ، فكانت كما وصفها الواصفون الذين نقلت كلامهم ، وهذا الجمع الغفير من العلامات التي يرجئ بها للفقيد حسن الخاتمة قال الإمام أحمد رحمه الله : « بيننا وبينهم أيام الجناز » .

الفصل الثالث والعشرون

تفجع المسلمين عليه وتألّمهم لفقده

لقد كانت وفاة الشيخ عبد الرزاق رحمه الله فجيحة كبيرة تألم لها المسلمون في أرجاء العالم الإسلامي وإليك بعض ماكتب في ذلك .

يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان :

والآن قد لقي ربه من ذا سيسد ثلّمته :

سيدكرني قومي إذا جد جدّهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

إن مصابنا فيه كبير ، وواجبنا أن نقول ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ^(١) رحم الله شيخنا أبا أحمد ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أولاده وأهله الصبر واحتساب الأجر .

ويقول الدكتور محمد لطفي الصباغ :

فُجع العالم الإسلامي بوفاة العالم العامل ، والعلامة الداعية إلى الله على بصيرة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، وذلك في صباح يوم الخميس الواقع في ٢٥ / ربيع الأول سنة ١٤١٥ هـ (الموافق ١ / ٩ / ١٩٩٤ م) ودفن في الرياض بعد صلاة الجمعة .

بلغني الخبر المؤلم وأنا في عمّان ، فالمني ذاك الخبر إيلاًماً شديداً ، وشعرت بعظم الكارثة على وجه أكبر مما كنت أتوقع .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦ .

يا الله !! مات العالم الذي قل نظيره في العلماء . . لقد أذهلني الخبر حقاً .

أشهد إني لقد جزعتُ لذلك النبأ جزعاً لم أجزعه إلا يوم وفاة والدي رحمه الله والشيخ عبدالرزاق عفيفي كان لي بمثابة الوالد . . ثم تماسكت وتصبرت وتذكرت الآيات القرآنية التي تقرر أن الموت سبيل كل حي ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١) ، وأن الأجل إذا جاء لا يؤخر ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٢) ، ومرت بخاطري كلمة عمر بن عبد العزيز :

(ما الجزعُ ممَّا لا بدَّ منه ؟ وما الطمع فيما لا يرجي ؟ وما الحيلة فيما سيزول ؟ وإنما الشيء من أصله ، فقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ؟ إنما النَّاسُ في الدنيا أغراضٌ تتضي فيهم المنيا ، وهم فيها نهبٌ للمصائب ، مع كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص) .

فاسترجعت قائلاً : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ، وأكرم نزهه ، وعوضه الجنة وعوض المسلمين خيراً .

وجاء في جريدة الرياض بتاريخ الثلاثاء غرة ربيع الآخر ١٤١٥ هـ ما نصه :

خادم الحرمين ، وسمو ولي العهد ، وسمو النائب الثاني يغزون الشيخ ابن باز في وفاة الشيخ عبدالرزاق عفيفي

تلقي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود برقية من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء هذا نصها :

(١) سورة الزمر الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٤ .

حضرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، وفقه الله لما فيه رضاه ونصر به دينه أمين .

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد

ففي صباح يوم الخميس الموافق ٢٥ / ٣ / ١٤١٥ هـ توفي صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي : عضو مجلس هيئة كبار العلماء ، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، عن عمر جاوز التسعين - رحمه الله رحمة واسعة - فأقول أحسن الله عزاءكم فيه ، وجبر مصيبتكم ، وأصلح ذريته ، وكان - رحمه الله - من خيرة العلماء عقيدة ، وعلماً ، ودعوة ، وتعليماً مضى عليه في ذلك ما يقارب خمسين عاماً ضاعف الله حسناته وخلفه على المسلمين بأحسن الخلف وفسح في أجلكم على خير عمل وبارك في أوقاتكم ، وأعمالكم إنه جواد كريم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته / . .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء

وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

وجاء في جريدة الرياض أيضاً ما نصه :

وقد وجه الملك المفدى يحفظه الله البرقية الجوابية التالية لسماحته .

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث

العلمية والإفتاء - حفظه الله -

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد

فقد كدرنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي عضو هيئة كبار العلماء ونائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، وإننا إذ نعرب لسماحتكم عن تعازينا ومواساتنا ونأمل إبلاغ ذلك لأسرته وذويه لنسأل الله جل وعلا أن يتغمده بواسع رحمته ، ومغفرته ، ويسكنه فسيح جنته ، وأن يعوض المسلمين عنه خيراً والحمد لله على قضائه وقدره . . إنا لله وإنا إليه راجعون . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته / . .

فهد بن عبد العزيز

ويقول الشيخ عبد الله العجلان :

ولقد وقع نبأ وفاته رحمه الله على نفوس أبنائه ومحبيه وعارفي فضله ، وما أكثرهم بل على الأمة كلها موقعاً عظيماً فيه بعظم الخسارة ، وفداحة الخطب ، وشدة المصاب لكن الكل وهم مؤمنون بالله وراضون بقضائه وقدره ، يعلمون أن الموت حق ، وأنه مصير كل حي قالوا بصوت واحد ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ودعوا الله بصادق الدعاء وخالص الرجاء بأن يسكنه فسيح جناته ، ويغفر له ، ويعفو عنه ، وأن يعوض الله هذه الأمة فيه خيراً .

ويقول الشيخ صالح بن سعود آل علي - عضو مجلس الشورى - :

ومن أجل هذا أصيب الوسط العلمي ، والعام من علماء ، ومتعلمين بالذهول يوم الخميس ٢٥ / ٣ / ١٤١٥ هـ عندما فاضت روح علم من أعلام هذه البلاد وواحد من أكبر علمائها ألا وهو فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي عليه من الله الرحمة والرضوان .

أصيب الناس بالحزن والأسى لفقد هذا العالم الذي كان - يرحمه الله -
واحداً قل من يناظره في الشريعة وعلومها .

وجاء في جريدة الندوة بتاريخ ١٣ / ٤ / ١٤١٥ هـ على لسان منسوبي دار
الحديث الخيرية بمكة المكرمة قولهم :

وقد تلقت مدرسة دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة ممثلة في جميع منسوبيها .
نبأ وفاة الشيخ عبدالرزاق عفيفي بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره .

وقد آلمنا فراقه وعز علينا رحيله ، ولكن تلك سنة الله في خلقه ﴿ فَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (١) .

الفصل الرابع والعشرون

ما رُثِيَ به الفقيد رحمه الله من الشعر

عقب وفاة الشيخ رحمه الله رثاه بعض الشعراء منهم العبد الفقير مؤلف الكتاب هاجت نفسي تأثراً لوفاته فرثيته بقصيدة عينية من البحر الطويل رغم كوني مقلداً من الشعر جداً .

ومنهم الأستاذ محمد بن سعد المشعان الذي رثى الشيخ رحمه الله بقصيدة همزية بارعة من البحر الطويل أيضاً ، وقد نشرت بجريدة الرياض العدد ٩٥٧٣ بتاريخ ١٤١٥/٤/٤ هـ .

مرثية الفقيد العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - المتوفى يوم الخميس ١٤١٥/٣/٢٥ هـ عن اثنين وتسعين عاماً .

رثاه بها تلميذه أبو خالد وليد بن إدريس بن عبدالعزيز منيسي - المدرس بالرياض - .

هوئى نجمٌ عبدٍ في الأنام فأفجعوا	وذا الخطبُ جلُّ والمُصابُ مروّعٌ
فلله نَعشٌ شَيَّعوهُ عَشِيَّةً	به الحلمُ والعلمُ الذي كان يُتَّبَعُ
فيا عبدَ رزاقٍ البرايا تركتنا	ومنا قلوبٌ للفراقِ تُصَدِّعُ
فتسعون عاماً قد قضيت مجيدةً	بمصرٍ ونجدٍ فالبلاءُ مُوزَّعُ
وفي أزهرٍ حزت العلوم بِعرشٍ مَدُّ	هَبِ المالكينَ الكرامَ تَرَبَّعُ

لقد كنت رداءً للفقير^(١) بمصرنا وقد كتما حرباً على من تبدعوا
فكم قد نصرتم سنةً لنبينا وفي أزم من عز النصير المشجع
فظلتم بأرض مصر نوراً فقمتم بنشر الفنون بين قوم تطلعوا
مع النفر الألى إليهم يشار بال بنان بنيتهم ومعاهد ترفع
مع ابن حميد والأمين وحبرنا وأعنى ابن بازٍ عطركم يتضوع^(٢)
وفي هيئة الكبار صلتم وجلتم وفي لجنة الفتوى قلوب وأضلع
عزاً أهل مصر فيكم أن تركتم وعبيد العزيز حبر برما المفزع^(٣)
وأما بنجد كم شهاب أفضتم عليهم سيوبكم فأرووا وأرتعوا
وتلميذك المحزون يأسى لفقدكم وكم من محب قلبه يتوجع

-
- (١) إشارة إلى دور الشيخ عبد الرزاق في مناصرة دعوة الشيخ حامد الفقير ، وتأسيس جماعة أنصار السنة بمصر ، والتي كانت امتداداً لدعوة الشيخ ابن عبد الوهاب .
- (٢) إشارة إلى دور الشيخ عبد الرزاق في نشأة المعاهد الشرعية ، والمعهد العالي للقضاء ، ومع أقرانه الشيخ عبدالله بن حميد ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، والشيخ ابن باز .
- (٣) إشارة إلى أجل تلامذته بمصر العلامة الشيخ عبدالعزيز علي البرماوي أحد علماء الأزهر ، وأنصار السنة بالأسكندرية ، وكان حياً آنذاك رحمه الله .

شعر الأستاذ / محمد بن سعد المشعان

إلى روح فقيد العلم الشرعي الشيخ الجليل / عبدالرزاق عفيفي رحمه الله
رحمة واسعة .

وقفتُ لكي أرثي « العفيفي » فَصَدَنِي
وَجُومٌ - وَقَدْ حَلَّ النَّوَى - وَبُكَاءُ
وقمتُ أُعزِّي فيه من رام علمه
فقالوا : وهل يُسليك عنه « عزاء » ؟
فَعُدْتُ أَناجِي ذكريات ترَحَّلَتْ
وقد ضَمَنِي و « الشيخ » ثم لقاء
وأبصرت فيها الشيخ يرقى بعلمه
وعانيت فيها الشيخ وهو بهاء
وناجيتُ فيها الشيخ فازورَ طيفُهُ
وما في أزوار الطيف منه جفاءُ
لقد سار في درب الشريعة يافعا
يطير به عزمٌ له وإباءُ
وأنفقَ في بسط الشريعة عُمُره
يسير به خوفٌ له ورجاءُ

(ثمانون) ^(١) عاماً والحياة مصاعد

وللشيخ فيها منهجٌ وسناءٌ
إذا المحفلُ الراقي تناظر جمعهُ

رأيتَ مقالَ الشيخ فيه سخاءٌ
شواهدُ الآياتُ جلَّ دليلُها

وحشدُ أحاديثٍ لهنَّ صفاءٌ
يسرُّ بل بالإقناع كلَّ مقالِ

فيُصغي له الكتابُ والخطباءُ
إلى عرصاتِ الخلد يا وافر النُّهى

لعلَّكَ عند الله حيث تشاءُ
وإنَّ قصَّيَدي حينَ يندى بذكرِكم

حريٌّ بأنَّ يندى به الشُّعراءُ

(١) قلت هكذا ذكر الشاعر (ثمانون) وحيث إن الشيخ رحمه الله توفي وعمره اثنان وتسعون عاماً
فينبغي تعديل البيت هكذا (فتسعون) عاماً علماً بأن وزن البيت لا يختل بهذا (وليد).

خاتمة

والى هنا توقف القلم ، وهذا الذي ذكرته ليس إلا غيضاً من فيض شمائله وقطرة من بحر محاسنه ، ولا يستطيع مثلي أن يحيط بمناقب الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله ، أو أن يفيه حقه ، ولا أملك إزاء هذا إلا أن أدعوه أن يتقبل الله منه أحسن ما عمل ، وأن يتجاوز له عن سيئاته ، وأن يسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يلحقنا به في الصالحين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من جمع هذه الترجمة بمدينة الرياض

يوم الاثنين الخامس عشر من ذي القعدة

سنة سبع عشرة وأربعمئة وألف للهجرة للهجرة النبوية

على صاحبها صلوات الله وتسليمه

أبو خالد وليد بن إدريس بن عبدالعزيز

ابن منيسي السلمي الإسكندري الحنبلي

— عفا الله عنه —

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

أولاً

فتاوى العقيدة

س ١: سئل الشيخ: بعض الناس ينكرون على من قال : «جل من لا يسهو» فهل هذه العبارة خطأ؟

فقال الشيخ رحمه الله : « لا ، بل هي عبارة صحيحة فيها إثبات السهو لغير الله وتنزيه الله تعالى عن السهو وفيها إشارة إلى أن الإنسان معذور في سهوه سواء كان نبياً أو ولياً أو صالحاً من الصالحين » .

س ٢: سألت الشيخ عن وجه الجمع بين الأحاديث التي فيها تسمية يد الله تعالى الأخرى شمالاً وحديث كلنا يدي ربي يمين مباركة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « حديث كلنا يدي ربي يمين من باب التغليب لنفي الضعف عن يده تعالى الأخرى ؛ لأن عادة بني آدم أن تكون يده اليمنى أقوى من يده الشمال والله تعالى منزّه عن ذلك وفي مثل هذه الأحاديث التي تحتاج إلى الجمع خاصة في العقائد يرجع إلى كتاب تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة ، وكذلك من الكتب القيّمة في هذا الموضوع كتاب «مشكلات الحديث» لعبد الله القصيمي وكان تأليفه لهذا الكتاب قبل مرقه وتلاعبه بالدين .

س ٣: سألت الشيخ: عن الفرق بين إرادة الله تعالى وأمره ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إرادة الله تعالى قد تكون على عكس أمره فهو سبحانه أمر أبا جهل بالإيمان مع عدم إرادته كوناً أن يؤمن .

فيفرق بين أمره تعالى الشرعي وبين إرادته الكونية بالمحبة فإنه سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بما يحب وقد يريد كوناً خلافه .

س ٤: سئل الشيخ: عن بعض عبارات الإمام ابن قدامة في لمعة الاعتقاد التي يفهم منها التفويض ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « مذهب السلف هو التفويض في كيفية الصفات

لا في المعنى وقد غلط ابن قدامة في لمعة الاعتقاد ، وقال : بالتفويض ولكن الحنابلة يتعصبون للحنابلة ولذلك يتعصب بعض المشايخ في الدفاع عن ابن قدامة ، ولكن الصحيح أن ابن قدامة مفوض .

س ٥ : سئل الشيخ: عن تعلق قدرة الله تعالى بالمستحيل والواجب؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل ولكن تتعلق بالممكن فقط ، ولا تتعلق بالواجب العقلي وتعلق القدرة بالواجب إما بإبقائه وإما بإفائه فإذا تعلق بإبقائه فلا أثر للقدرة فهو تحصيل حاصل وكذلك إبقاء المستحيل عقلاً على العدم كالشريك للبارئ غير ممكن الوجود وإن تعلق بإفائه الواجب أو إيجاد المستحيل ترتب عليها قلب الحقائق .

س ٦ : سئل الشيخ: عن تقسيم الأشاعرة لصفات الله تعالى ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « صفات السلب عند الأشاعرة (خمسة) :

١ - القدم .

٢ - البقاء .

٣ - المخالفة للحوادث .

٤ - القيام بالنفس .

٥ - الوجدانية .

صفات المعاني عند الأشعرية (سبعة) ، وهي :

١ - القدرة .

٢ - الإرادة .

٣ - العلم .

٤ - الحياة .

٥ - السمع .

٦ - البصر .

٧ - الكلام .

الصفات المعنوية وتسمى صفات الأحوال (سبعة) : كونه قادراً ، كونه مريداً بزيادة كونه على كل واحدة ، والصحيح عند الأشعرية نفي السبعة المعنوية ويقولون : الحق أن الحال محال .

وزاد الماتريدية صفة من صفات المعاني فصارت ثمانية ، وهي صفة التكوين (راجع آخر الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية) .

صفة نفسية : هي الوجود (صفة واحدة) .

س٧ : سئل الشيخ : عن معنى «حجابه النور» ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « بصر الإنسان لا يقوى على رؤية نور الحجاب الذي يحجب ذات الله تعالى عن الرؤية فنور الحجاب لا تدرك كلفيته إلا عند رؤيته تعالى في الآخرة .

س٨ : سئل الشيخ : عن قدم الله تعالى ورجله هل هما صفتان أو صفة واحدة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « قدم الله تعالى هي رجله صفة واحدة وهما روايتان في الحديث .

ومن قال كيف تحيط النار برجله أو قدمه تعالى فنقول : هذا بحث في الكيفية ومذهب السلف تفويض الكيفية ، وعندما يضع الجبار قدمه يتزوي بعض النار عن بعض فإذا تضامتا ملأها ما قد ألقى فيها .

س ٩: سئل الشيخ: عن المشيئة هل هي كونية فقط أو هي كونية وشرعية كالإرادة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : «الإرادة بمعنى المحبة شرعية وبمعنى المشيئة كونية ، فالمشيئة هي الإرادة الكونية لا غير فالإرادة أعم من المشيئة .

س ١٠: سئل الشيخ: عن صفة المكر والمخادعة والاستهزاء ونحوها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « قوله تعالى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) ، وقوله : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّاقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾^(٥) ، وبالفعل أقدم هؤلاء وهؤلاء ثم بعد ذلك صار المسلمون يرون أنهم ضعف الكفار كما في آل عمران : ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾^(٦) هذا تفسير للمكر والمخادعة وتفسير آخر هو انطفاء نورهم على الصراط في سورة الحديد : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٧) أي تركهم ونخذلهم لا بمعنى ذهاب الشيء من الذاكرة حاشا لله .

الصفات السابقة يسميها العلماء صفات خبرية يصح أن نستعمل تركيبها مشابهاً لتركيب القرآن ؛ أي مصاحباً للمكر من المخلوق .

فنقول : الله ماکر بالماكرين ، ومستهزئ بالمستهزئين ، ومخادع من يخادعه ، ولا يصح أن نقول : يا ماکر - حاشا لله - . والصفات السابقة نوع من الصفات الفعلية إلا أنها لا بد من اقترانها بالسياق الوارد .

والمكر نوعان حسن وسيئ ، والمنسوب لله هو المكر الحسن .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٥ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٧٩ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٢ .

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٤٤ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٣ .

(٧) سورة التوبة ، الآية : ٦٧ .

س ١١ : سئل الشيخ: عن صفات الذات وصفات الفعل؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « صفات المعاني داخلية في صفات الذات سلط كلمة مشيئة (إذا شاء قدر) لا يصح فهي صفة ذات (إذا شاء خلق) يصح فهي صفة فعل تقول شاء أن يحيي فلاناً أو ينجيهِ أو يميتهُ لكن لا يصح شاء الله أن يكون عالماً أو قادراً .

س ١٢ : سئل الشيخ: هل الكفار يرون الله في المحشر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم ، الناس كلهم في الموقف يرون الله تعالى ، لكن الكفار لا يتنعمون بالرؤية حتى أطيب عباد الله يكونون في بلاء .
أما الرؤية التي فيها نعمة فهي في الجنة .

والرؤية في المحشر ليست خاصة بالمنافقين بل تعم أنواع الكفار .

س ١٣ : سئل الشيخ: هل اللقاء بمعنى الرؤية؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « اللقاء ليس بمعنى الرؤية واستدلال من استدل بقوله : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ ﴾ ^(١) على الرؤية لا يصح ؛ لأنه استدلال بما لا دليل فيه .

س ١٤ : سئل الشيخ: ما أثر الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الأسماء والصفات لها أثر عظيم في حياة الفرد ، فمعرفة الفرد أن الله تعالى رحمن يبعث في قلبه الرجاء ، وإذا ذكر القهار يبعث الخوف من الله تعالى ، والقرآن مليء بصفات الله تعالى .

س ١٥ : سئل الشيخ: بعض الناس ينسبون إلى السلف القول بالتفويض . فما ردكم؟

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٤ .

فقال الشيخ - رحمه الله - : « التفويض ليس هو اعتقاد السلف ومن نسب إلى السلف التفويض فقد أخطأ ، فالتفويض عند السلف في الكيفية ، كيف مجهول ، ما هو الاستواء ؟ مجهول ، فالكلام عن كيفية الرؤية خطأ .

س ١٦ : سئل الشيخ: هل الكفار يرون الله تعالى في المحشر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الكفار يكشف لهم عن الله تعالى وعن ساقه سبحانه وتعالى ، فيرون الله تعالى في الموقف ، لكن لا يتمكنون من السجود له سبحانه وتعالى .

س ١٧ : سئل الشيخ: ما المقصود بقرب الله تعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « قرب الله تعالى من عباده قرب ذاتي بغير حلول ولا امتزاج ، هكذا قال ابن تيمية وابن القيم ، لا أوضح من هذا الذي قالاه .

س ١٨ : سئل الشيخ: ما معنى قوله ﷺ : «وأنت الباطن»؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « تفسير : «وأنت الباطن فليس دونك شيء» يعني : بطنَ الأمور وعلم حقيقتها فلا يخفي عليه شيء .

س ١٩ : سئل الشيخ: ما معنى : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، يفيد قرب العبد من الرب أي العبد في هذه الحالة أقرب منه في حالة الركوع .

س ٢٠ : سئل الشيخ: ما الفرق بين التشبيه والتمثيل والتكييف في صفات الله تعالى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الأحسن لك أن تقرأها في كتاب العقيدة الواسطية وشروحها .

س ٢١: سئل الشيخ: هل يجوز وصف الله تعالى بأنه في جهة أو له حدٌّ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « وصف الله تعالى بالجسم ، والحيز ، والجهة ، والحد ألفاظ مجملة إذا أراد بها معنى صحيحاً قررناها وقلنا التعبير خطأ ، وإذا ذكر معنى فاسد أنكرنا عليه وقد ذكرته في شرح التدمرية .

س ٢٢: سئل الشيخ: ما الفرق بين التشبيه والتمثيل؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « أول العقيدة الواسطية تصريح شيخ الإسلام بنفي التشبيه . . ولم يكن له كفواً أحد عامة وأقرأ تعليق الشيخ ابن عثيمين على العقيدة الواسطية في الفرق بين التشبيه والتمثيل .

س ٢٣: سئل الشيخ: ما هي قبلة الدعاء؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « السماء هي قبلة الدعاء ، ورفع اليد إلى السماء من أدلة أهل السنة على علو الله تعالى ، حتى البهائم إذا أصيبت ترفع رأسها إلى السماء ، والكعبة قبلة للدعاء أيضاً كما أنها قبلة الصلاة .

س ٢٤: سئل الشيخ: ما الدليل على إثبات صفة العينين لله تعالى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « صفة العينين ثابتة لله تعالى كما يليق بكماله ، ولا يوجد واحد من الأولين من الصحابة نفى عن الله تعالى صفة العينين ، ويدل على إثباتها حديث الدجال ، فقال ﷺ : «إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»^(١) . وهذا منطوق صريح وليس مفهوماً .

س ٢٥: سئل الشيخ: هل صفات الفعل تقوم بذات الله سبحانه؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « صفات الخالق تقوم بذاته كما يليق به ، وصفات المخلوق تقوم بذاته كما يليق به وبفقره ، والصفات الحادثة التي

(١) أخرجه البخاري [١٤٨/٩] ، ومسلم [٢٢٤٧/٤] رقم ١٦٩ .

تجدد من آن لآخر كالرزق ، والإحياء ، والإماتة تقوم بذات الله لكن المخلوقات الحادثة أنا وأنت وبقية الأعيان لا تقوم بذات الله تعالى - حاشا لله - .

وهذا المذهب ليس مذهب شيخ الإسلام وحده بل هو مذهب جماعات من الأولين قبل أن يخلق شيخ الإسلام وأبوه وجده .

س ٢٦: سئل الشيخ: عن حديث « خلق الله آدم على صورته » ؟ (١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : « أي على صورة الرحمن كما ثبت في الرواية الأخرى (١) خلافاً للألباني ولنسيب الرفاعي والصورة لله تعالى ثابتة في الصحيحين أنه تعالى يأتي على صورته وعلى غيره صورته .

س ٢٧: سئل الشيخ: ما الفرق بين الأزلي والقديم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الأزلي : الذي لا أول له ، أما القديم : فقد تكون صفة مدح ، وقد تكون صفة ذم ، وفي القرآن الكريم : ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (٢) . والقديم : ليس من صفات الله ، بل هو من صفات سلطانه ؛ لأن سلطانه يتجدد وهو قديم .

س ٢٨: سئل الشيخ: هل المَنَّان من أسماء الله تعالى ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « قال عند من يجوز اشتقاق الأسماء لله من صفاته هو اسم لله ، وعند من لا يجوز الاشتقاق لا يجوز تسمية الله تعالى به ، ولكن هو صفة لأنه ليست كل صفات الله أسماء له .

س ٢٩: سئل الشيخ: ما علاقة الأسماء بالصفات ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « كل أسماء الله تعالى عدا لفظ الجلالة تتضمن وصف الله تعالى بما تضمنته الأسماء من الصفات ، فكل أسماء الله تعالى

(١) أخرجه البخاري [٦٢٢٧] ، ومسلم [٢٨٤١] .

(٢) سورة يس ، الآية : ٣٩ .

صفات له ولا ينعكس فمن أسماء الله ما هو مشتق على وزن اسم الفاعل ، وهو يتضمن ذاتاً وصفة قامت بالذات .

س ٣٠ : سئل الشيخ: هل لفظ الجلالة جامد أم مشتق من الإلهه أو الوله؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « جامد لأنه لو كان مشتقاً من الإلهه لكان بمعنى الإله يطلق على الآلهه الباطلة ، لكن لفظ الجلالة (الله) علم على ذاته سبحانه لا يشاركه فيه غيره .

س ٣١ : سئل الشيخ: عن معنى دلالة أسماء الله تعالى على معناها مطابقة وتضمناً والتزاماً ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « دلالة اللفظ على كل معناه مطابقة كدلالة السفينة على الخشب والمسامير ودلالة اللفظ على بعض معناه تضمن كدلالة السفينة على الخشب فقط ، ودلالة اللفظ على معنى خارج لكنه لازم دلالة التزام كدلالة السفينة على الحمولة أو السير فوق الماء ، ويرجع في هذا إلى أنواع الدلالات في كتب المنطق وإلى متن السُّلَم ، وإلى كتب الشيخ السعدي - رحمه الله - .

س ٣٢ : سئل الشيخ: عن قيام صفات الله تعالى بذاته؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « صفات الله تعالى قائمة بالذات ملازمة لها ، وليست هناك ذات مجردة عن الصفات ، والمعتزلة هم الذين هم الذين يقولون الذات قائمة مجردة عن الصفات ، فصفات الله تعالى ليست هي الذات ، وليست هي غير الذات .

س ٣٣ : سئل الشيخ: ما معنى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (١) ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « أول الآية ألم تر أن الله يعلم ، وآخرها إن الله بكل شيء عليم ، ووسطها النجوى ، أي هو أعلم بها وهذا كله يبين أن المراد معية العلم والإحاطة .

س ٣٤ : سئل الشيخ : ما الفرق بين العبارة والحكاية ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « عندي أن العبارة ، والحكاية شيء واحد ، ومن أراد التفرقة بينهما فعليه أن يظهر الفرق ، وقد أخطأ الأشعري وابن كُلاب في قولهما أن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله النفسي القديم .

س ٣٥ : سئل الشيخ : رجل يقول : إن كلام الله تعالى يسمع يوم القيامة من كل جهة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هذا خوض في الكيفية ، ونحن نؤمن بصفات الله ونفوض كيفيتها إليه .

س ٣٦ : سئل الشيخ : ما أرجح الأقوال في مسألة نزول الرب سبحانه وتعالى هل يخلو منه العرش أو لا يخلو أو نتوقف ؟

وهل الراجح هو ما اختاره شيخ الإسلام أنه سبحانه ينزل ولا يخلو منه العرش ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الصحيح أن نتوقف فنؤمن أنه على عرشه ، ونؤمن أنه ينزل ، ولا نقول يخلو أو لا يخلو ؛ لأنه خوض في الكيفية .

س ٣٧ : سئل الشيخ : عن توضيح قول شارح الطحاوية ما ملخصه أن العلم الإلهي يصح فيه قياس الأولى سواء أكان تمثيلاً أو شمولياً ، ولا يصح فيه قياس المساوي أو الأدنى سواء كان تمثيلاً أو شمولاً ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « القياس التمثيلي هو القياس الفقهي المعروف .

والقياس الشمولي هو : القياس المنطقي ، والقياس أحد الأبواب الكبرى في علم المنطق ، ويحتاج إلى عام كامل ليشرح بالتفصيل ، ولكن خلاصة الكلام في القياس الشمولي أنه يتركب من مقدمتين صغرى ، وكبرى وله ثلاثة حدود :

١ - مبتدأ الصغرى .

٢ - وخبر الكبرى .

٣ - والحد الأوسط هو خبر الصغرى وهو أيضاً مبتدأ الكبرى .

٤ - والمبتدأ يسمى موضوعاً والخبر يسمى محمولاً مثل يوضح ذلك :

(الإنسان حادث)

(وكل حادث لا بد له من مُحدث)

لفظ (الإنسان)

الحد الأول / مبتدأ الصغرى / موضوع

ولفظ (كل حادث)

الحد الأوسط / مبتدأ الكبرى / موضوع

ولاحظ أن موضوع الكبرى عام ليدخل فيه موضوع الصغرى .

ففي القياس الشمولي لا بد أن تدخل المقدمة الصغرى في المقدمة الكبرى .

فلذلك سمي شمولياً لأن الكبرى تشمل الصغرى .

س ٣٨ : سئل الشيخ: هل يجوز الإخبار عن الله تعالى بأنه (واجب الوجود)؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « ذكرت في مذكرة لي مقدمة في الصفات طبعها

زهير الشاويش لكلية اللغة العربية بعنوان «مذكرة التوحيد» فيها الكلام عن الحكم

العادي، والحكم العقلي، والحكم الفقهي، وتكلمت فيها عن تقسيم الحكم العقلي إلى مستحيل، وجائز، وواجب.

فالمستحيل هو ما لا يتصور وجوده ويصح الإخبار عن الله تعالى بأنه واجب الوجود، وهذا من باب الإخبار لا من باب الصفة.

س ٣٩: سئل الشيخ: عن وسائل الشرك هل تعتبر شركاً أصغر أم تعتبر محرمة فقط؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « كل وسيلة تؤدي إلى الشرك فهي من الشرك الأصغر بالإضافة إلى تحريمها، فمن ذلك عبادة الله تعالى عند قبر الرجل الصالح إذا كان متعقداً أن هذا المكان فيه بركة تؤثر في قبول الدعاء والعبادة، فهذا شرك أصغر، وكذلك التوسل البدعي يعتبر من الشرك الأصغر.

س ٤٠: سئل الشيخ: هل يثاب المرء على ترك الحرام؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الثواب يحتاج إلى شيئين هما : الإخلاص (النية)، وموافقة العمل لمطلوب الشرع ﴿أحسن عملاً﴾ أخلصه وأصوبه، النية وإصابة الحق ولو باجتهاد، والمباح لا أجر في فعله، ولا إثم في تركه، ولكن بالنية يثاب أو يأثم والترك في الأصل سلب لا يحتاج إلى نية، ولكن إذا نوى به كف النفس عن الحرام فهو فعل يثاب عليه.

س ٤١: سئل الشيخ: ما الفرق بين اليقين والصدق والإخلاص، وبين القبول والانقياد؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « اليقين الطمأنينة - القبول قبول الله للعبادة وقبول العبد الدين وهو الانقياد وكلاهما شرط.

س ٤٢: سئل الشيخ: هل لفظة (لعمري)، (لعمرك) من باب القسم؟ وإذا كان كذلك: فهل هو قسم ممنوع أم مباح؟ وما معنى: «أفلح وأبيه إن

صدق؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « كانوا في الجاهلية يحلفون بأبائهم ثم نسخ ، وقوله : (لعمري) قسم لغوي يقصد به التوكيد وهو مباح ، لأن القسم الشرعي يكون بالواو ، والتاء ، والباء ، ولا يدخل فيه القسم باللام .

س ٤٣ : سئل الشيخ: كفر الجهل والتكذيب هل هما قسمان أم قسم ؟ وهل هو خاص باليهود والنصارى ، أم يدخل فيه من كان مسلماً؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هو نوع واحد إذا كان التكذيب عن جهل فيُعرفُ بالدين ، فإذا استمر على التكذيب بعد العلم كان كافراً .

س ٤٤ : سئل الشيخ: ما الفرق بين توحيد المراد (الإخلاص) وتوحيد الإرادة (الصدق)؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « المراد اسم مفعول ، والإرادة مصدر ، والمراد هو الله ، وعليه أن يريد الله وحده ، وإذا أراد الله ببعض إرادته فهذا نقص في صدقه .

س ٤٥ : سئل الشيخ: عن التوسل البدعي هل هو شرك؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هو وسيلة إلى الشرك ومن قال إنه شرك فهو مخطئ ، وهذه المسألة عقائدية وليست من مسائل الفروع الفقهية .

س ٤٦ : سئل الشيخ: عن رجل دفن في مسجد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يجب إخراج المدفون من المسجد ما دام دفن بعد بناء المسجد ولو كان عظماً .

س ٤٧ : سئل الشيخ: عن حديث الضرير الذي رد الله عليه بصره بعد أن جاء إلى

النبي ﷺ فأمره أن يقول: «اللهم شفعه فيّ وشفعني فيه»^(١)؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : «اقرأ الحديث: «اللهم شفعه فيّ» فلم يقل بشفاعة رسولك بل توجه إلى الله تعالى والرسول ﷺ حيّ، ووصى الرجل أن يساعده على نفسه (نفس الرجل) مثلما تطلب من أي حي أن يدعو لك.

س ٤٨: سئل الشيخ: ما حكم التحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : «بقدر الإمكان لا يتحاكم إليها، أما إذا كان لا يمكن أن يستخلص حقه إلا عن طريقها فلا حرج عليه.

س ٤٩: سئل الشيخ: ما الفرق بين الفسق الأكبر، والكفر الأكبر؟ وما الفرق بين الفسق الأصغر، والكفر الأصغر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : «الفسق الأكبر هو الكفر الأكبر، والفسق الأصغر هو الكفر الأصغر.

س ٥٠: سئل الشيخ: هل يُغلب المسلم جانب الخوف على الرجاء أو العكس؟ فقال الشيخ - رحمه الله - : «كلّ حسب عمله، فمن كان مسيئاً قلنا له غلب جانب الخوف، ومن كان محسنًا قلنا له: غلب جانب الرجاء.

س ٥١: سئل الشيخ: ما حكم تعليق تيممة من القرآن على الجدار أو السيارة؟ فقال الشيخ - رحمه الله - : «لا يجوز؛ لأن تعليق آية الكرسي أو غيرها من القرآن على الجدار أو في السيارة امتهان لها.

س ٥٢: سئل الشيخ: ما حكم العزائم بالقرآن، وهي كتابة آيات بالزيت أو الزعفران في طبق وخلط المكتوب بالماء وشربه؟

(١) أخرجه أحمد [١٣٨/٤]، والترمذي [٣٥٩٥]، وابن ماجه [١٣٨٥]، والحاكم [٣١٣/١]، وقال الترمذي: [حسن غريب]، روى ابن ماجه عقبه: (قال أبو إسحاق: حديث صحيح)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع [١٢٧٩].

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يجوز كتابة القرآن بهذا وشرب المكتوب .

س ٥٣ : سئل الشيخ : ما حكم القراءة على ماء أو طعام وشربه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يجوز القراءة على أي شيء حسب رغبته ،
يقرأ القرآن على المريض أو على الماء والطعام .

س ٥٤ : سئل الشيخ : عن رأيه في شيخ الإسلام إسماعيل الهروي ودفاع الإمام ابن القيم عنه في مدارج السالكين ؟ وعن رأيه في تقسيم الهروي التوحيد إلى ثلاثة أقسام توحيد العامة ، والخاصة ، وخاصة الخاصة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « أما إسماعيل الهروي في ذاته فأمره إلى الله تعالى ، وهو أعلم به . وأما دفاع ابن القيم : فإن الإمام ابن القيم أيضاً قد ردَّ عليه في عدد من المواضع ، وأقرأ تعليقات الشيخ حامد الفقي على الكتاب ، مع العلم بأن أصحاب المطبعة قد طلبوا من الشيخ حامد ألا يعلق على الكتاب . وقد تسبب هذا في منع الشيخ حامد من الإسهاب في الرد .

وأما تقسيم الهروي التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، فهو تقسيم باطل فهو يجعل الأنبياء عليهم السلام من العامة ، ويجعل ابن عربي وأمثاله من خاصة الخاصة .

س ٥٥ : سئل الشيخ : هل يمكن ظهور الملك بصورته لغير الرسل ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لم يثبت . ومن ادَّعى عليه الإثبات ، لكن ثبت في الأحاديث أن الملك أتى لثلاثة : أقرع ، وأعمى ، وأبرص لكل واحد في صورته .

س ٥٦ : سئل الشيخ : عن نبوة الخضر ولقمان وذوي القرنين ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الخضر نبيُّ بنص القرآن ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ﴾

أمرى ﴿١﴾ .

وقال ابن عاشر :

لقمانُ اسكندرُ ليسا أنبياءَ في أرجح الأقوال لكن أوليا

قال الشيخ : ولكن الصحيح أن الإسكندر ليس هو ذا القرنين .

س ٥٧ : سئل الشيخ: عن صحف إبراهيم وموسى : هل هما شيء واحد؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هما مختلفان فيهما شرائع إبراهيم ، وشرائع

موسى عليهما السلام ، وصحف موسى جزء من أجزاء التوراة والألواح .

س ٥٨ : سئل الشيخ: هل التوراة والإنجيل كلام الله .

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم التوراة والإنجيل اللذان لم يحرفا كلام الله

بدليل قوله تعالى : ﴿ أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ ﴾ (٢) .

س ٥٩ : سئل الشيخ: ما معنى حديث احتجاج آدم وموسى (٣) ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « معناه : رفع اللوم عن العصاة إذا تابوا وهذا ما

ذكره ابن قتيبة وابن تيمية - رحمهما الله - .

س ٦٠ : سئل الشيخ: ذكر شارح الطحاوية أن الله تعالى لو أراد كوناً إيمان جميع

الناس لكان في ذلك مفسدة فما هذه المفسدة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « المفسدة العظمى التي كانت ستحدث لو أراد

الله كوناً إيمان جميع الناس هي انتفاء الابتلاء ، وانتفاء الفائدة من التكليف

(١) سورة الكهف ، الآية ٨٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٧٥ .

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير [] ، وذكره السيوطي في الجامع [٦٨ / ٢] رقم [٤٨٠٩]

وصححه ، ووافقه الألباني في صحيح الجامع [١ / ٦٨٦] رقم [٣٦٨٥] .

الشرعية ، ولما شرع الله تعالى شرعاً ولما أرسل رسلاً ؛ لأنه لا حاجة إذن إلى إرسال الرسل ، ولا تَنْتَفِي تقسيم الناس إلى أهل جنة وأهل نار .

س ٦١ : سئل الشيخ: عن معنى قوله ﷺ : «السعيد من سعد في بطن أمه» .

فقال الشيخ - رحمه الله - : « معناه من كتبه الملك الذي يرسل لكتابة أربع كلمات بعد تمام الشهر الرابع للحمل في رحم أمه بعد استكمال الأطوار الثلاثة : نطفة ثم علقه ثم مضغة فمن كتبه الملك سعيداً فهو السعيد .

س ٦٢ : سئل الشيخ: عن مذهب المعتزلة في الإيجاب على الله تعالى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « كل ممكن لا يجب عليه تعالى فعله بل إن شاء فعله وإن شاء تركه هذا عند الأشاعرة .

أما المعتزلة : فيوجبون عليه تعالى فعل (الأصلح) إذا كان الصلاح شيئاً ويوجبون عليه تعالى فعل (الصلاح) إذا كان شيئاً واحداً .

س ٦٣ : سئل الشيخ: عن معنى الكسب؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الكسب عند الأشعرية مقارنة القدرة للمقدور وعند الماتريدي : هو العزم المصمم الذي يقع منه الفعل .

س ٦٤ : سئل الشيخ: عن مشيئة الرب سبحانه ومشيئة العبد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لله سبحانه وتعالى مشيئة ، وللعبد مشيئة ، ومشيئة العبد متوقفة على مشيئة الله . قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) .

س ٦٥ : سئل الشيخ: عن مسألة التحسين والتقبيح العقلي؟

(١) سورة التكوين ، الآية : ٢٩ .

فقال الشيخ - رحمه الله - : « ارجع إلى تعليلي على الأحكام للآمدي حول مسألة التحسين والتقييح ، الجزء الأول المقدمات الكلامية .

س ٦٦ : سئل الشيخ: عن موقف الخوارج من الحدود هل يطلونها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « عندهم أن السارق والزاني حده القتل ولا يشترطون السيف بل يقتلونه بالسم أو بغيره ، ولا يقطعون يده أو يرقمون الزاني ؛ لأنه عندهم من باب تداخل الحدود فيعطونه الحد الأعلى وهو القتل .

س ٦٧ : سئل الشيخ: ما معنى خلود القاتل الوارد في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (١) .

فقال الشيخ - رحمه الله - : « خلود القاتل إذا كان غير مستحل فمعناه عند السلف طول المدة ، وإذا كان مستحلاً فهو على حقيقته ، وقد فصل ابن القيم في مدارج السالكين وذكر أن قاتل العمد يتعلق به ثلاثة حقوق :

حق للقتيل يقاوم القاتل بالحسنات والسيئات يوم القيامة .

وحق ولي الدم القصاص .

وحق الله تعالى يسقط بالتوبة . وذكر الأدلة في آخر الجزء الأول .

س ٦٨ : سئل الشيخ: هل الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة فيما وافقوا فيه أهل السنة لا على العموم .

س ٦٩ : سئل الشيخ: هل الفرق التي قال فيها ﷺ : « كلها في النار » كافرة ؟ أم غير

كافرة (١) ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « فيها رأيان ذكرهما شيخ الإسلام في الفتاوى .

س ٧٠ : سئل الشيخ : عن دعوة العوام للتوحيد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « كونه لا يعلم العوام التوحيد غلط فقد مكث عليه السلام يدعو إلى التوحيد في مكة ، حتى الصلاة عماد الدين فرضت قبل الهجرة بثلاث سنين فكان عليه السلام يعلم التوحيد (للأمة) هكذا سماهم الله .

س ٧١ : سئل الشيخ : عن قول الإمام محمد عبد الوهاب في كشف الشبهات في حديث ذات أنواط (٢) « فلم يعذرهم بالجهالة » ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « بعد البيان قامت الحجة فلا يعذرون . أما قبل البيان فيعذرون بجهلهم وقول ابن عبد الوهاب لم يعذرهم بالجهالة ، أي لم يكن الجهل عذراً يمنع من التغليظ والإنكار عليهم ، حيث غضب النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر لكن لم يكفرهم .

س ٧٢ : سئل الشيخ : هل الساحر كافر ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الصحيح كفر الساحر كفرأ يخرج من الملة .

س ٧٣ : سئل الشيخ : ما حكم من سب صحابياً ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « تفصيل القول في حكم من طعن في الصحابة أو سب صحابياً أن الطعن في الصحابة جملة كفر ، لكن سب صحابي بعينه كبيرة من الكبائر .

(١) أخرجه أبو داود [٢/ ٥٠٣ ، ٥٠٤] ، والدارمي [٢/ ٢٤١] ، وأحمد [٤/ ١٢] ، وصححه

الشيخ الألباني في الصحيحة [٢٠٤] .

(٢) رواه الترمذي في الجامع [٢١٨١] وقال : حسن صحيح ، وأحمد في المسند [٥/ ٢١٨] ، وأبو

يعلى [١٤٤١] ، وابن أبي شيبه [١٥/ ١٠١] ، والنسائي كما في تحفة الأشراف [١١/ ١١٢] .

س ٧٤: سئل الشيخ: هل العلم المشترط في شروط (لا إله إلا الله) هو العلم الإجمالي بأنه لا يستحق العبادة إلا الله؟ أم لا بد من العلم التفصيلي بأن الذبح عبادة والنذر عبادة.. وهكذا؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « العلم المشترط هو العلم الإجمالي لا التفصيلي ما هو بلازم أن يكون فيلسوفاً؛ بدليل حديث معاذ وسجوده للرسول ﷺ ، وقصة ذات أنواط (١) .

فالجهل بتفاصيل العبادة لا يمنع الحكم للشخص بالإسلام .

س ٧٥: سئل الشيخ: سألته عن رأيه في قول الصنعاني في تطهير الاعتقاد (هم كفار أصليون) حيث اعترض عليه بعض العلماء كالشيخ بشير الهسواني صاحب (صيانة الإنسان) وقال (هم مرتدون)؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هم مرتدون عن الإسلام إذا أقيمت عليهم الحجة ، وإلا فهم معذورون بجهلهم كجماعة الأنواط ، أما من انتسب إلى الإسلام ثم بدت منه أفعال كفرية وأقيمت عليه الحجة فهو مرتد يقتل بالسيف .

س ٧٦: سئل الشيخ: عن الكافر الأصلي إذا تلفظ أمامنا بالشهادتين ولا ندري هل يعلم معناهما أم لا؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يحكم له بالإسلام بالظاهر حتى يبدو أنه جاهل فيُعلم معنى الشهادتين الصحيح ؛ إن استقام ، فالحمد لله . وإن لم يستقم فهو مرتد لا كافر أصلي .

س ٧٧: سئل الشيخ: هل يلزم إقامة الحجة على تارك الصلاة حتى يحكم بكفره؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يحتاج إلى إقامة الحجة ، فإن مات قبلها عومل

(١) سبق التخريج .

معاملة الكفار .

س ٧٨ : سئل الشيخ: الإيمان الركن هل يزيد وينقص كالإيمان الواجب والمستحب؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم بدليل عموم قوله تعالى : ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١) . وقوله : ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا﴾^(٢) .

وهذا يعم جميع أقسام الإيمان .

س ٧٩ : سئل الشيخ: ما حكم المستهزئ بالدين أو ساب الدين أو الرسول ﷺ أو القرآن العظيم هل يكفر ولو كان جاهلاً؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هذا الباب كغيره من أبواب الكفر يُعَلَّم ويؤدب فإن عُلِّم وعانِد بعد التعليم والبيان كفر . وإذا قيل : لا يعذر بالجهل ، فمعناه يعلم ويؤدب وليس معناه يكفر .

س ٨٠ : سئل الشيخ: ما حكم من قال : القرآن مخلوق؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هذا كفر أكبر ولكن قائله يعلم ولا يكفر بعينه إلا إذا علم وأصرَّ بعد إقامة الحجة .

س ٨١ : سئل الشيخ: عن مسألة فناء النار؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « ما لي رأي في المسألة ، اقرأ لابن تيمية وابن القيم . واقرأ للصنعاني في الرد عليهما .

وأنا لا أقول بفناء النار ولا بعدم فنائها .

أنا ما اخترت رأياً إلى الآن لأنه ليست هناك نتيجة عملية تترتب على

(٢) سورة الفتح ، الآية : ٤ .

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢٤ .

الخلافاً ، والواقع أن القول بفناء النار متصل بابن تيمية خلافاً لمن نفي نسبة هذا القول له .

س ٨٢ : سئل الشيخ: هل تكفي إحدى الشهادات للحكم للشخص بالإسلام؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « شهادة (أن محمداً رسول الله) تستلزم شهادة (ألا إله إلا الله) ولا عكس ، ومع هذا فإظهار أي شعيرة من شعائر الإسلام تكفي لمعاملته معاملة المسلمين .

س ٨٥ : سئل الشيخ: عن خروج جماعة التبليغ لتذكير الناس بعظمة الله ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الواقع أنهم مبتدعة ومُحرِّفون وأصحاب طرق قادية وغيرهم ، وخروجهم ليس في سبيل الله ، ولكنه في سبيل إلياس ، هم لا يدعون إلى الكتاب والسنة ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلاديش أما الخروج بقصد الدعوة إلى الإسلام فهو جهاد في سبيل الله وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ ، وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم ، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا هم في مصر ، وإسرائيل ، وأمريكا ، والسعودية . وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس .

س ٨٦ : سئل الشيخ: عن رجل قيل له : فملك هذا محرم . فقال : أنا أعرف أنه حرام ولكن سأفعله ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا كان مضطراً إلى فعله فهو معذور وإلا فهو مستهتر وهي معصية كبرى قد تصل إلى درجة الكفر . والعياذ بالله .

س ٨٧ : سئل الشيخ: ما الفرق بين قتال المرتدين وقتال تاركي الشرائع ؟ وقاتل التار يتبع أي القسمين؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : مانعوا الشرائع لغير جحود يقاتلون حتى يؤدوها

ولا يكفرون بالرغم من قتالهم ، والذي يحكم بغير ما أنزل الله كافر مرتد يقاتل قتال كفار الذي لا يكفر هو الفقيه الذي يحكم في مسألة يظن أنها من الدين والحق بخلافه فلا يكفر . أما الذي يحكم بما يعلم أنه ليس من الدين فهذا كافر ، الذي يبيح فوائد البنوك يُناقش ويبين له فإذا أقيمت عليه الحجة فإنه يقتل قتل المرتد . ولا أذكر الآن إلى أي القسمين ينتمي قتال التتار .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أُسَلِّمُ إِلَيْهِ الْفِرْدَوْسَ

ثَانِيًا

فتاوى الفقه

أولاً: فتاوى الطهارة

س ١: سئل الشيخ: عن التسوك باليد اليمنى أو اليسرى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « بأيهما شاء لا فضيلة لأحدهما .

س ٢: سئل الشيخ: عن زيادة مسلم بن إبراهيم «وسواكه»؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لو ثبتت فيحتمل أن يكون المراد التيمن في الجهة أي يبدأ بالجهة اليمنى .

س ٣: سئل الشيخ: هل يصح الوضوء بدون غسل الكف مع غسل اليدين إلى المرفقين؟ أم يكفي غسلهما في أول الوضوء؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يعمهما من أطراف الأصابع وإلا كان ناقصاً ركناً .

س ٤: سئل الشيخ: هل يمسح على الخف الأيسر اليد اليمنى أم باليسرى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يمسح على الخف الأيسر باليسرى وعلى الأيمن باليمنى ، أو على كل منهما بيديه جميعاً .

س ٥: سئل الشيخ: هل يجزئ غسل الجنابة عن غسل الجمعة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم يجزئ حتى على القول بوجوب غسل الجمعة ؛ لأن الحكمة من غسل الجمعة النظافة وهي العلة .

س ٦: سئل الشيخ: ما الفرق بين غسل المرأة للجنابة وللحيض؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا فرق بينهما إلا في حك الدم في الحيض ولا فرق في فك الضفائر إذا منعت وصول الماء فكتها في الغسلين وإذا لم يمنع أبقتها .

س ٧: سئل الشيخ: عن طريقة التخلص من الشعر والأظافر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا أصل للمنقول عن أحمد أنه يدفعه بل لا بأس بالقائه في أي مكان .

س ٨ : سئل الشيخ : حكم تقصير المرأة شعر رأسها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يجوز ، لأنه تشبه بالإفرنج . قاله في المغني في سنن الفطرة .

س ٩ : سئل الشيخ : هل على من وطئ زوجته وهي حائض كفارة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « حديث الصدقة بدينار ، أو نصف دينار على من وطئ زوجته حائضاً فيه مطعن ، وهو قول أحمد عملاً بالموقوف فالحنابلة يعملون بالموقوف ، أما عند مالك فلا كفارة عليه » .

س ١٠ : سئل الشيخ : هل يصح التيمم بالتراب الذي في السجاد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا لم يجد ماءً للتيمم ضرب السجاد فإذا خرج منه تراب تيمم به ، وإلا لم يصح . وكذلك الجدار لا يصح التيمم عليه إلا إذا كان عليه غبار ولكن إذا كان الإنسان يحتاج إلى تيمم يجمع تراباً في إناء ويتيمم عليه » .

س ١١ : سئل الشيخ : عن أحكام الم سح على الجوربين والنعلين ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا توضأ ثم لبس جورباً وفوقه نعل له أن يمسه على النعل فإذا خلع النعل انتقض وضوؤه ولزمه خلع الجورب .

إذا كان ماسحاً على الجورب وأدخله في النعل لا يصح له المسح على النعل بل لا بد من خلعه ومسح الجورب » .

س ١٢ : سئل الشيخ : هل يلزم تحريك الخاتم في الوضوء ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « ما نقل أن النبي ﷺ حرك الخاتم في الوضوء ولكن يحركه إذا كان ضيقاً ولكنه ﷺ ما لبس الخاتم زينة ، ولكن ليختم كتبه إلى الملوك بها ؛ لأنهم لا يقبلون الكتاب إلا مختوماً .

س ١٣ : سئل الشيخ : حديث من غسل ميتاً فليغتسل ومن حملة فليتوضأ ؟ (١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : « فيه مقال : ومن الناس من قال بالوجوب ، ومنهم من قال بالاستحباب .

والصحيح أنه لا يلزمه الوضوء والغسل إذا شارك في حمل الميت .

س ١٤ : سئل الشيخ : ما حكم مس الحائض للمصحف وهي ترتدي قفازاً ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يجوز » .

س ١٥ : سئل الشيخ : هل يعتبر البياض الذي في جانبي الصفحة وغلاف المصحف من القرآن ، لا يجوز مسه للمحدث أم القرآن هو المكتوب فقط ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « غلاف المصحف منه والبياض في جانبي المصحف منه ، فلا يجوز مسه .

س ١٦ : سئل الشيخ : هل يلزم نزع اللصق الطبي في الوضوء والغسل ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « اللصق الطبي على حسب الضرر إذا كان يضر نزع أبقاه واغتسل في وجوده .

س ١٧ : سئل الشيخ : عمن لبس الفوقاني أم التحتاني ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا لبس الفوقاني على طهارة ولو ممسوح فيها على التحتاني فله أن يمسح على الفوقاني .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند [٤٣٣/٢] ، وأبو داود [٣١٦٢] ، والترمذي [١٨٥/١] ، وابن

ماجه [١٤٦٣] ، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٦٤٠٢] .

س١٨: سئل الشيخ: ورد في زيادة لأبي داود على حديث عائشة الذي في الصحيحين كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله زاد وسواكه ، وذهب شيخ الإسلام تبعاً للإمام أحمد أنه يستاك بشماله ؛ لأنه من باب إزالة الوسخ فما قولكم في ذلك؟ (١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا عبرة بقول أحد في مخالفة النص . والحديث يدل على استحباب التسوك باليمين ويشمل هذا أمرين :

استعمال اليد اليمنى ، والبدء بالجهة اليمنى من الفم . وإلحاق السواك بباب التنظيف والتطهر في الوضوء ، والذي يشرع فيه التيمن أولى من إحلاقه بالاستنجاء والاستجمار الذي يشرع فيه التياسر .

س١٩: سئل الشيخ: تعلمون ما ورد من النصوص في مشروعية المسح على العمامة. فهل يعتبر الشماغ الحالي في حكمها في المسح ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الذي أظنه أنه لا يلحق بالعمامة ولا يصح المسح عليه .

س٢٠: سئل الشيخ: تعلمون ما ورد في المسح على القلنسوة فهل إذا كان يلبس قلنسوة تحت الشماغ أو الفترة يمسخ عليه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يمسخ على القلنسوة .

س٢١: سئل الشيخ: عن الزرع الذي يسقى بماء نجس هل له حكم الجلالة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الزرع الذي ينبت على نجاسة طاهر بالاستحالة ولا تقاس عليه الجلالة .

س ٢٢: سئل الشيخ: عن دم السقط؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « دم السقط دم نفاس ولو بعد شهرين من الحمل .

س ٢٣: سئل الشيخ: حكم الرطوبات التي تخرج من فرج المرأة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لها حكم البول في النجاسة ولكن إذا استمرت كانت كمن به سلس البول .

ثانيا : فتاوى الأذان

س ١ : سئل الشيخ: عن تأذين أذنين للجمعة أحدهما قبل دخول الوقت ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هذه سنة الخلفاء الراشدين وفعله عثمان رضي الله عنه ولم يُنكر عليه وإن كنت أرى أن أذان الجمعة أذان واحد وهو الأذان بين يدي الإمام كما يرى أنصار السنة بمصر فقلت له : ألم يطله علي رضي الله عنه؟ قال : لا . لم يطله علي رضي الله عنه بل استمر عليه العمل بعد عثمان رضي الله عنه .

س ٢ : سئل الشيخ: الأذان خارج المسجد؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « المهم الإسماع ، فأيهما كان أبلغ في الإسماع كان أولى وإذا استويا فلا مزية للتأذين خارج المسجد ومثله مثل من يلتفت يمينا وشمالاً عند الحيعلتين فيخفض صوته لابتعاده عن (الميك) بينما السماعات فوق المنارة توزع الصوت يمينا وشمالاً ، فإذا زالت العلة زالت المشروعية كما يستفاد ذلك من قصة اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في صلاة العصر في بني قريظة .

س ٣ : سئل الشيخ: متى يقوم الناس إلى الصلاة عند سماع الإقامة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « كلٌ بحسبه يقوم الثقيل أولاً بمجرد سماعها والخفيف بعد ذلك .

ثالثاً : فتاوى الصلاة

س ١: سئل الشيخ: عن الجمع بين الصلاتين في المطر ، هل يشترط أن يكون المطر كثيراً؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يشرع الجمع بين الصلاتين الظهر والعصر تقدماً أو تأخيراً والمغرب مع العشاء تقدماً أو تأخيراً في المطر الذي يبل الثياب ويحتاج الإنسان معه إلى استعمال المظلة وتصير الأرض زلقة يصعب السير فوقها .

أما المطر اليسير الذي تصير الأرض معه كأنها مرشوشة فلا يجمع فيه .

س ٢: سئل الشيخ: هل يتابع المسبوق الإمام إذا زاد ركعة خامسة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا زاد الإمام خامسة لا يقوم المأموم وراءه ، وإذا قام وراءه عالماً أنها خامسة تبطل صلاته فإن كان جاهلاً يُعَلِّمُ وتصح صلاته ولا يصح للمأموم أن يسلم قبل الإمام إلا في صلاة الخوف . أما المسبوق فإن كان عالماً أنها زائدة لا يتابع فيها الإمام ولا يقضي ما عليه حتى يسلم الإمام ، وإذا لم يعلم وصلها معه يحسبها ركعة ويكمل .

س ٣: سئل الشيخ: هل يصح أن يصلي المأموم المغرب خلف إمام يصلي العشاء؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يشترط اتحاد الهيئة في اقتداء المأموم فيصح أن يصلي الظهر خلف من يصلي العصر ولكن لا يصح أن يصلي المغرب خلف من يصلي العشاء ، وإذا لم تعلم أنها العشاء فلك أن تنوي الانفصال إذا علمت في أثناء الصلاة كانفصال المأموم خلف معاذ ولم ينكر عليه النبي ﷺ .

س ٤: سئل الشيخ: عن ائتمام المسافر بالقيم .

فقال الشيخ - رحمه الله - : صلى الصحابة المسافرون أربعاً خلف من يصلي أربعاً كما في صلاة ابن مسعود خلف عثمان خلفاً لابن حزم القائل : إن المسافر يجلس في الركعة الثانية ويترك الإمام يتم الأربع ثم يسلم بسلامه وهو ضد عمل الصحابة .

ويقول ابن حزم : إذا دخل المسافر في الثالثة أو الرابعة صلى ركعتين وسلم وحجة ابن حزم هي فرضية القصر وبطلان صلاة المسافر إذا أتم .

س ٥ : سئل الشيخ : عن الاحتباء في خطبة الجمعة هل يدخل فيها إمساك رجل واحدة بيديه؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الحبوّة يوم الجمعة إذا أمسك رجلاً واحدة بيديه فهي حبوّة أيضاً ، منهي عنها لأن العلة أنه يخشى خروج ريح أو نوم .

س ٦ : سئل الشيخ : عن معنى كف الثوب ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : كف الثوب ضمه إلى بعضه حتى يتمكن من السجود لا حرج فيه ولكن المنهي عنه : تشمير الكم حتى لا يتسخ من غبار الأرض إذا كان مستمراً قبل الصلاة لا حرج عليه الحرج أن يكف خصيصاً لأجل الصلاة .

س ٧ : سئل الشيخ : عن من لم يدرك الركعة الثانية يوم الجمعة وإنما أدرك الإمام قبل السلام؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : من لم يدرك الركعة الثانية في الجمعة يصلي أربعاً ظهراً .

س ٨ : سئل الشيخ : هل يصلي تحية المسجد إذا دخل أثناء أذان الجمعة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا دخل أثناء أذان الجمعة يصلي تحية المسجد ،

ولا ينتظر حتى يفرغ المؤذن .

س ٩: سئل الشيخ: عن رجل بلده مصر وهو يعمل في السعودية فهل يقصر إذا زار مصر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا أقام المسافر أكثر من أربعة أيام يتم ، وإذا سافر من السعودية إلى مصر يتم من حين يصل إلى بلده .

س ١٠: سئل الشيخ: هل يصح أن يصلي ركعتين استخارة عن أمرين مختلفين؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يصلي ركعتين للاستخارة عن شيء معين ثم يصلي استخارة عن الأمر الآخر ، وهذا مع الاستشارة أيضاً ولا تجزي ركعتان عن أمرين مختلفين أو أمر مخير فيه .

س ١١: سئل الشيخ: هل يشرع تكرار الاستخارة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يشرع تكرار الاستخارة إذا لم ينشرح صدره لأحد الأمرين من أول مرة .

س ١٢: سئل الشيخ: هل يشرع رفع اليدين في تكبيرات العيدين والجنائز؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تكبيرات صلاة العيد لا يشرع فيها رفع اليدين ولا الجنائز ، وأنا لا أرفع يدي والموقوف على ابن عمر لا يكفي ولا يشرع بينها ذكر أو دعاء .

س ١٣: سئل الشيخ: حكم الخروج لصلاة العيد في مسيرات؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الخروج للعيد في مسيرات منظمة مشروع إذا كان على وجه التعليم وإشعار الناس بالصلاة في الخلاء .

س ١٤: سئل الشيخ: التكبير الجماعي في صلاة العيد؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تكبير الإنسان من البيت إلى المصلى وفي المصلى جهرًا مشروع كل شخص يجهر بالتكبير لحاله بحيث يرتج المكان بالتكبير بحيث يصير عَجًا .

أما اتفاقهم بحيث يبدأون وينتهون معاً فهذا التكبير الجماعي لم يرد فيه شيء وهو غير مشروع .

س ١٥ : سئل الشيخ: عن إقامة الصلاة في الميكروفون أفضل أم بدونه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الإقامة في الميكروفون ؛ لأن بعض الناس يكون غافلاً فتحركه الإقامة .

س ١٦ : سئل الشيخ: وضع المصلي نعله أمامه واتخاذه إياها سترة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يصلح النعل سترة . أما إذا خشي عليها السرقة فوضعها أمامه ، فلا بأس .

س ١٧ : سئل الشيخ: عن تحريك الأصبع بين السجدين؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هو قول الشيخ ابن عثيمين ولا دليل علي ذلك والأحاديث الواردة تحمل على التشهد .

س ١٨ : سئل الشيخ: معنى الحديث « كان النبي ﷺ إذا سجد يرُصُّ عقيبهِ » (١) هل يشترط أن يتلامسا ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا . بل معناه يجعلهما قريبين من بعضهما ولا يشترط أن يتلامسا .

س ١٩ : سئل الشيخ: عن تحريك الأصبع في التشهد هل يحرك أم يكتفى بالإشارة بدون تحريك؟

(١) الطحاوي وابن خزيمة [٦٥٤] ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

فقال الشيخ - رحمه الله - : « كلاهما سنة عن النبي ﷺ والأفضل التحريك .

س ٢٠ : سئل الشيخ : عن حكم رسم خطوط بالمساجد لتستوي الصفوف عليها؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا كان الناس غشماً لا تستقيم صفوفهم إلا بذلك فلا بأس فقلت له بعض المساجد يكون بناؤها منحرفاً عن القبلة ولا تستقيم إلا برسم خطوط فقال : لا بأس بذلك إن شاء الله .

س ٢١ : سئل الشيخ : عن بناء البيوت فوق المساجد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لقد صدرت عن اللجنة فتوى خلاصتها إذا كان البيت سابقاً وطراً المسجد أسفله فلا بأس . أما إذا كان المسجد سابقاً فلا يبنى فوقه إلا بشرط خلو البناء فوقه من دورات المياه أو يكون منفعة عامة كمدرسة .

س ٢٢ : سئل الشيخ : حكم تقدم المسبوقين أو تأخرهم قليلاً بعد تسليم الإمام لثلاث يحسب الداخل أن الجماعة ما زالت قائمة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا كان لأجل أن يوسع لنفسه لضيق المكان فما هناك بأس وهو جائز . أما إذا كان لدفع الإيهام فليس مطلوباً شرعاً ، وهناك من هو جالس لم يقم وبعد قليل تختلف هيئتهم .

س ٢٣ : سئل الشيخ : وقت القيلولة قبل الظهر أو بعده في المنقول من السنة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « قد يكون قبل أن يصلوا الظهر ثم يصلون إذا خفت الحرارة . وقوله ﷺ : «أبردوا بالظهر» معناه أنه يقيّل من قبل ، فإذا نام بعد الصلاة فلا تعتبر قيلولة .

س ٢٤ : سئل الشيخ : عن تحية المسجد هل هي سنة أم واجبة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تحية المسجد سنة ليست بواجبة .

س ٢٥: سئل الشيخ: هل يَأثم بتركها؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تارك السنة المؤكدة عند المالكية يَأثم .

س ٢٦: سئل الشيخ: ما حكم من تعمّد ترك واجب في الصلاة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : من ترك واجباً متعمداً في الصلاة بطلت صلاته .

س ٢٧: سئل الشيخ: إذا خرج من المسجد لحاجة يسيرة ثم رجع . هل تلزمه تحية المسجد؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : من خرج من المسجد لحاجة يسيرة ولم يطل الفاصل ثم عاد إلى المسجد كمن خرج ليكلم إنساناً بالخارج ، أو يشرب ماءً بالخارج لا تلزمه تحية المسجد حتى عند القائلين بالوجوب .

س ٢٨: سئل الشيخ: هل تجزئ السنة القبلية عن تحية المسجد؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجزئ الجمع بين تحية المسجد وسنة قبلية وكذلك دخول العمرة في الحج .

س ٢٩: سئل الشيخ: ما حكم من قام من الركعة الثانية إلى الثالثة بدون جلوس للتشهد ثم تذكر فرجع وجلس؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا قام المصلي من الركعة الثانية إلى الثالثة بدون أن يجلس للتشهد ثم عاد إلى الجلوس فبعض العلماء يبطل صلاته ؛ لأنه انتقل من فريضة إلى سنة (عند المالكية والشافعية) أو واجب عند الحنفية والحنابلة .

س ٣٠: سئل الشيخ: ما حكم كف الشماع عن الأرض عند السجود؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : كف الشماع عن الأرض عند السجود وهو للمرأة كذلك لا تضع دبوساً في شعرها منهى عنه كالشعر في الحديث لا يكفت

شعراً ولا ثوباً. إذا كان بقصد ألا يتسخ لا يجوز . أما إذا رفعه قبل الصلاة بقصد ألا يشغل ، فهو كفت غير ممنوع .

س ٣١: سئل الشيخ: في بعض المدارس يأمر المدرسون الطلاب بصلاة الراتبة بعد صلاة الظهر فهل يجوز ذلك ؟ وإذا امتنع طالب عن صلاتها ليصلها في البيت أو لأنه لا يريد صلاتها فهل يصح معاقبته ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : له أن يأمر بأداء الراتبة من باب النصيحة فإذا لم يستجب الطالب فليس له معاقبته .

س ٣٢: سئل الشيخ: قراءة بعض سورة السجدة وبعض الإنسان أو السجدة على ركعتين؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « خلاف السنة » .

س ٣٣: سئل الشيخ: عن حكم قلب الغرة في صلاة الاستسقاء ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : في الاستسقاء إذا لم يكن معه رداء قلب الكوت وإن لم يكن معه قلب الغرة ، ولا يصح أن يقلب الطاقية ، ولكن الغرة تقوم مقام الرداء وهذه هيئة مستحبة غير واجبة .

س ٣٤: سئل الشيخ: ماذا يقول الإمام عند الجمع لصلاة الكسوف ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : في الكسوف يقول الصلاة جامعة ، أو الصلاة جامعة ، وجهان صحيحان لغة ، ولكن رواية بالرفع .

س ٣٥: سئل الشيخ: عن حكم تنفل المأموم في مكانه؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تنفل المأموم في مكانه بالمسجد بعد صلاة الفريضة لا حرج فيه . أما الإمام فالأفضل أن يتحول عن مكانه .

س ٣٦: سئل الشيخ: عن حكم صلاة الطلاب جماعة في المدرسة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : صلاة الطلاب في المدرسة غلط لا يجوز ولكن يتعين الذهاب إلى المسجد للصلاة هناك .

س ٣٧: سئل الشيخ: عندما يصلي الطلاب في المدرسة يخصص الصف الأول لفصول معينة فما حكم ذلك ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تخصيص الصف الأول في المسجد لفصل معين لا يجوز ، بل الصف الأول لمن سبق وكذا من سبق له التقدم في الصف ، وإن لم يكن داخلياً في توطين البعير .

س ٣٨: سئل الشيخ: هل تسقط الجماعة عن المسجون؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : المقيم إقامة جبرية كالسجين تسقط عنه الجماعة في المسجد ، ولكن يصلون جماعة في السجن .

س ٣٩: سئل الشيخ: لا أدرك قراءة الفاتحة خلف الإمام ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « دبر حالك وأسرع في القراءة وبعد ذلك لا يصلي خلفه ويعيد الصلاة إذا لم يدرك الفاتحة في كل الركعات . أما إذا فاتته الفاتحة في ركعة واحدة أعاد ركعة فقط .

ومن أدرك الركوع لا يدرك الركعة وهو رأي قليل من أهل العلم ولي مقال قديم في أول عدد من مجلة الهدى النبوي . قلت فيه : الفاتحة لا تسقط في حق من أدرك الإمام راعياً وأنا شخصياً إذا رأيت الإمام راعياً أظن واقفاً ولا أركع حتى يرفع الإمام خروجاً من الخلاف .

وفي حديث أبي بكر : « ولا تعد » أي عذره فيما مضى لكن بعد ذلك لا يعود

إلى احتساب الركعة ركعة وهو رأي ابن حزم وظاهر كلام البخاري ، وفي فتوى اللجنة باحتساب الركعة لم أوقع معهم لاختلافي معهم فيها .

س ٤٠ : سئل الشيخ: مسجد السترة فيه قدام الصف الأول بمسافة وإذا صلى إلى الجدار أو العمود تحية المسجد فاتته إدراك الصف الأول فهل يركض له في الصلاة بلا سترة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يجوز له أن يصلي إلى غير سترة ولو فاتته الصف الأول .

س ٤١ : سئل الشيخ: ما حكم السترة في الصلاة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « واجبة » .

س ٤٢ : سئل الشيخ: ما تأويل فضيلتكم لحديث « صلى النبي ﷺ بمنى إلى غير جدار »؟^(١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا أعرف أنه صلى إلى غير سترة ويحتمل أن يكون قد صلى إلى سترة غير الجدار .

س ٤٣ : سئل الشيخ: في رواية للحديث السابق أوردها الهيثمي في مجمع الزوائد « صلى إلى غير شيء » ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يبحث عن سندها فإذا صحت كانت قرينة تصرف الأوامر بالسترة إلى الندب .

س ٤٤ : سئل الشيخ: مريض ترك الصلاة جهلاً . ما حكمه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « عليه القضاء » .

س ٤٥ : سئل الشيخ: ما حكم الصلاة خلف إمام يتوسل بالصالحين أو يشرب الدخان ؟

(١) رواه البخاري ، كتاب الصلاة [٤٩٣] .

فقال الشيخ - رحمه الله - : « من يتوسل بالصالحين لا تصح إمامته ؛ لأنه ممنوع من جهة العقيدة . أما شارب الدخان فتصح إمامته .

س ٤٦ : سئل الشيخ: ما حكم الصلاة على من مات تاركاً الصلاة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : على المسلمين ترك الصلاة عليه ؛ لأنه كافر ولو ترك فريضة واحدة عمداً .

س ٤٧ : سئل الشيخ: إذا كان أبوه لا يصلي ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا كان أبوه وأمه لا يصليان يدعوهما ويبرهما ودعوتهما للإسلام هي أحسن ما يفعله تجاههما .

س ٤٨ : سئل الشيخ: إذا أقيمت الصلاة وهو يصلي نافلة هل يسلم منها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « صلاته تنتقطع بذاتها ولا يحتاج إلى تسليم .

س ٤٩ : سئل الشيخ: سواء أكان في أول صلاته أو في آخرها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم يخرج من النافلة ويصلي المكتوبة حتى لو بقي منها قليل ؛ لأن صلاته بطلت بذاتها ليس هو الذي يبطلها .

س ٥٠ : سئل الشيخ: ما حكم حلق تلاوة القرآن بعد صلاة فجر يوم الجمعة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا لم يكونوا يخصصون يوم الجمعة ولكنها

دائمة في جميع أيام الأسبوع فهي مشروعة .

رابعاً: فتاوى الصيام

س ١: سئل الشيخ: عن رأيه في مسألة لكل بلد رؤيتهم أم تصوم البلد برؤية غيرها من البلدان ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إنه يرجح أن لكل بلد رؤيتهم .

س ٢: سئل الشيخ: إذا كان مفتي البلد يعمل بالحساب ولم يأخذ بالرؤية ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « تفطرون سراً وتصلون العيد مع الناس في اليوم التالي درءاً للفتنة .

س ٣: سئل الشيخ: صوم الحامل والمرضع ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : عليها القضاء فقط ، سواء كان خوفها على نفسها ، أو على ولدها ولا تلزمها الفدية والدليل عموم القرآن ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ ^(١) وهو أحد الأقوال الثلاثة وهذا مرض وهي نكرة عقب شرط فتعم كل مريض .

س ٤: سئل الشيخ: ما حكم الأكل أثناء الأذان للفجر في رمضان ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يشرع للصائم أن يأكل حتى يفرغ المؤذن من أذان الفجر لأن الفجر لا يتبين إلا بعد الأذان بشرط ألا يمطط في أذانه بل يؤذن أذاناً معتدلاً .

س ٥: سئل الشيخ: إذا فاته صوم الست من شوال لعذر . هل يقضيها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يقضيها حتى ولو كان لعذر ؛ لأنها مقيدة بكونها في شوال حتى أن بعض العلماء شدد واشترط اتصالها بمتابعة بعد العيد . والصحيح أنه يصح جعلها غير متصلة بالعيد .

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٤ .

س٦: سئل الشيخ: عن المسافر بالطائرة إذا غربت الشمس في الأرض فلما ارتفعت الطائرة رأى الشمس لم تغرب؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا غابت الشمس في الأرض يفطر فإذا ارتفعت الطائرة فرأى الشمس استمر على فطره .

أما إذا ارتفعت الطائرة قبل الغروب يستمر صائماً حتى تغيب الشمس في الطائرة ، كلام القرافي غير صحيح ؛ لأن الذي في المنارة تكليفه هو نفس تكليف من في الأرض فيصلّي إذا غربت الشمس في الأرض .

س٧: سئل الشيخ: ما معنى صفدت الشياطين ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هي تصفد أي بالأعمال الصالحة أما من عمل أعمالاً ردية فقد حل قيدها وفتح باب وسواسها على نفسه فينفك قيد شياطينه بذلك .

خامسا : فتاوى الاعتكاف

س ١ : سئل الشيخ: عن الاعتكاف على سطح المسجد أو منارته؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يصح الاعتكاف فيه وفي المنارة إذا كان بابها يفتح على داخل المسجد .

سادسا : فتاوى الزكاة

س ١ : سئل الشيخ : عن طريقة حساب الحول في رواتب الموظفين ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : في الزكاة : النماء ناتج عن أصل المال فحوله حول أصله وإذا كان مستقلاً وناشئاً من جديد كراتب الموظف فله حول جديد من تاريخ تملكه .

س ٢ : سئل الشيخ : هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقوداً ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : زكاة الفطر تخرج من أقوات البلد خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، ومن خالف القول بهذا فهو مخطئ في نظري .

س ٣ : سئل الشيخ : الحليب المجفف في زكاة الفطر ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يصلح في زكاة الفطر ؛ لأنه يصلح قوتاً والحليب هو أصل الأقط لكنهما ليسا واحداً .

س ٤ : سئل الشيخ : إذا جمعت صدقات لفقراء معينين ثم اغتني هؤلاء الفقراء قبل أن تصلهم الصدقة فهل يصلح تحويلها إلى فقراء آخرين ؟ وهل يمكن نقلها إلى بلد أخرى فيها فقراء محتاجون ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يصلح نقلها إلا بإذن من دفعها ويصرفها في وجوه البر كمسجد وغيره إذا لم يقف على إذنه .

س ٥ : سئل الشيخ : هل يجوز إقامة مشروع بأموال الزكاة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز إقامة مشروع بأموال الزكاة .

س ٦ : سئل الشيخ : إذا كان له زرع وعليه ديون ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : زكاة الزروع تجب في المحصول الذي حصده سواء كان عليه دين أم لا .

س٧ : سئل الشيخ : هل يجوز إخراج الزكاة بدون تقدير ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجوز إخراج ما يتيقن به أنه أدى الواجب وزيادة .

س٨ : سئل الشيخ : حكم تارك الزكاة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا تركها كسلاً وكذا ولو ترك الصوم والحج كسلاً فهو فاسق ويحاربون حتى يؤدوا الزكاة .

س٩ : سئل الشيخ : إذا كان لديه أرض يفتتها ثم نوى بيعها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إذا حال عليها حول من تاريخ طرؤ نية البيع فعليه زكاتها زكاة عروض التجارة .

س١٠ : سئل الشيخ : متى ترك الزكاة متعمداً ثم تاب زكّى عن الأعوام السابقة ولو استغفرت المال كله ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : نعم .

سابعا : فتاوى الحج

س ١ : سئل الشيخ: عن وجوب الحج على الفور أو التراخي ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الصحيح : وجوب الحج على المستطيع على الفور .

س ٢ : سئل الشيخ: امرأة لبست القفازين في الإحرام جهلاً بالحكم ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا شيء عليها وهي معذورة بجهلها .

س ٣ : سئل الشيخ: رجل نسي أن يحلق رأسه ولبس اغيظ ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يحلق رأسه وهو لا لبس المخيط ؛ لأنه لبسه ناسياً فيعفى عنه كالرجل المتضمن بالخلوق .

س ٤ : سئل الشيخ: الميقات في العمرة إذا كان سيمر به إلى بلد أخرى كجدة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يحرم من الميقات ويمكث بجدة ولو عشرين يوماً محرماً ، وإذا كان قصده الأول زيارة أهله بجدة والعمرة تبع جاز له أن يتجاوز الميقات حلالاً ويمكث بجدة كعمل الصحابة يوم الحديبية بقي الصحابة محرمين .

س ٥ : سئل الشيخ: إذا اعتمر في أشهر الحج ثم ذهب إلى أمريكا ورجع قبل الحج

يلزمه أن يدخل مكة محرماً وتكفيه العمرة السابقة وحجه تمتع ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم » .

س ٦ : سئل الشيخ: الشخص الذي له مصلحة بمكة وليس مريداً للنسك؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « له أن يدخل مكة بغير إحرام حتى ولو يوم

عرفات وله أن يتجاوز الميقات بغير إحرام .

س٧: سئل الشيخ: حكم استعمال الصابون ذي الرائحة للمحرم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا ينبغي . والأحوط أن عليه فدية .

س٨: سئل الشيخ: سفر المرأة بدون محرم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا تسافر المرأة بدون محرم ولو في الطائرة إلا أن بعض الفقهاء من المالكية ، والشافعية يقولون الرفقة المأمونة تقوم مقام المحرم ، وأنا أحياناً أقول بهذا ، ومعنى الرفقة المأمونة أنها تأمن من شرهم ، وإذا أرادها أحد بسوء فهم أهل قوة وشهامة يدافعون عنها .

رجل وزوجته أو أخته ، ومعهما زوجة رجل مقيم هنا قد تكون رفقة مأمونة .

س٩: سئل الشيخ: عن رمي الجمرات في المرمى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : في رمي الجمرات يكفي غلبة الظن أنه أصاب المرمى ولا يشترط اليقين .

س١٠: سئل الشيخ: عن المبيت بمنى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : المبيت بمنى قيل إنه واجب فيلزم تاركه دم وقيل سنة فلا يلزم تاركه شيء ومن قال بالوجوب يكفيه أكثر الليلتين . أما إذا بات ليلة واحدة أو أقل من نصف الليل فعليه دم .

س١١: سئل الشيخ: عن جواز السفر بدون محرم إذا كان السفر بالطائرة وتستغرق ساعتين أو أكثر قليلاً من القاهرة إلى الرياض مثلاً؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجوز إذا كانت الرفقة مأمونة ، وهو مذهب المالكية والشافعية ، ويوصلها أحد محارمها للمطار هناك ، ويتنظرها محرم لها

بالمطار .

س ١٢ : سئل الشيخ: هل هذا السفر في حكم السفر القصير ؛ لأنه لا يستغرق يوماً وليلة والنبي ﷺ أباح للمرأة السفر القصير بلا محرم ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : بلى هو كذلك .

س ١٣ : سئل الشيخ: شخص أحرم لطفله من الميقات ثم لم يؤد له مناسك العمرة فلم يطف به ولم يسع ولم يحلق أو يقصر وعاد إلى بلده . فماذا عليه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « عليه أن يعود به إلى مكة فيعيد العمرة إن كانت عمرة أو يعيد الحج إن كان حجاً ، ولا دم عليه ما دام يجهل الحكم .

س ١٤ : سئل الشيخ: ما حكم السعي في الحج ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « ركن » .

س ١٥ : سئل الشيخ: هل يعتبر الزحام في الرمي في هذا الزمن عذراً للمرأة يجوز لها أن تنيب من يرمي عنها ؟ وأيهما أفضل أن تنيب من يرمي عنها نهاراً ، أو ترمي بنفسها ليلاً ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم » يعتبر عذراً لما في مزاحمتها الرجال من انتهاك لحرمتها ، وهي مخيرة بين أن تنيب من يرمي عنها نهاراً أو ترمي هي بنفسها ليلاً .

س ١٦ : سئل الشيخ: شخص جامع امرأته بعد تحلله من إحرامه بالعمرة وقبل تحللها بقص شعرها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « هي تبطل عمرتها ، وعليها دم . وإن كانت عمرة الإسلام الأولى فعليها القضاء .

س ١٧: سئل الشيخ: إذا ازدحم الناس فلم يقف بعضهم بعرفة أو المزدلفة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : من لم يقف بمزدلفة عليه فدية ترك واجب ، وأما من لم يقف بعرفة حتى طلع عليه الفجر فلا حج عليه ، ولو اجتمع الناس كلهم ووقفوا بعرفة فإنها ستسعهم .

س ١٨: سئل الشيخ: ما حكم مكث المرأة في بلدة ما بدون محرم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يجوز مكثها بدون محرم ؛ لأن ذلك ليس سفراً . أما السفر فلها أن تسافر مع محرم أو جمع مأمون من الناس .

س ١٩: سئل الشيخ: امرأة أحرمت وعندما وصلت مكة حاضت؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « إن بقيت على إحرامها حتى أدت نسكها فلا شيء عليها . أما إذا خرجت عن إحرامها فعليها دم .

س ٢٠: سئل الشيخ: هل يوجد وداع للعمرة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يشرع ؛ لأنه ليس من نسك العمرة ولم يثبت عن النبي ﷺ وإنما هو مشروع بمفرده وواجب في ذاته عند الحج .

قلت له : وحديث « واصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك » ^(١) قال : هذا في النسك . قلت له : وحديث « ليكن آخر عهدكم بالبيت الطواف » ^(٢) قال : قاله في الحج ، وفيه فتوى .

س ٢١: سئل الشيخ: إذا كانت عنده شاه أعدها كأضحية فمرضت . هل يجوز تحويل نيته؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يصح له ذلك وهو معذور ويضحي بدلها .

(١) البخاري كتاب الحج [١٥٣٦] ، ومسلم كتاب الحج [١١٨٠] .

(٢) أخرجه مسلم [١٣٢٨] من حديث ابن عباس وأخرجه البخاري [١٧٥٥] ، ومسلم [١٣٢٧] عن ابن عباس قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفِّفَ عن الحائض .

ثامننا : فتاوى البيوع

س ١ : سئل الشيخ: عن حكم بيع الماء ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا حاز الماء بتعبه ووضعه في قربة فله بيعه . وكذلك حافر البئر له بيعه . أما الماء النابع بنفسه فهو غير مملوك لأحد ولا يحل بيعه كماء العيون والمطر ، وكذلك الكلاً إذا استنبتته إنسان فهو ملك له لكن الكلاً الذي نبت بنفسه في البرية وكون الناس شركاء في النار يفيد أن البترول ؛ لأنه قابل للاشتعال ملك للناس جميعاً ويتولى تنظيمه ولي الأمر وهو خارج بنفسه ولذلك يصنعون له شيء يمنعه من التدفق ، ولذلك لا زكاة فيه ؛ لأنه ملك للأمة جميعاً فهو كمال بيت المال لا زكاة فيه .

س ٢ : سئل الشيخ: عن دفع رiales في البنك وأخذ شيك يرسل بالبريد ليصرف من بلد أخرى بعملة أخرى كالجنيه بما يعادل قيمة الriales المدفوعة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « في التحويل يعتبر الشيك قبضاً فيصح » .

س ٣ : سئل الشيخ: مبادلة الriales الورقية بالريالات الحديدية مع التفاضل عشرة من تلك بتسع من هذه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز ؛ لأنه فيها ربا كلها رiales .

س ٤ : سئل الشيخ: ما حكم الأرباح من البنوك الربوية ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا وضع مال في بنك ربوي يأخذ رأس ماله والأرباح ينفقها في مصارف الصدقة ووجوه الخير .

س ٥ : سئل الشيخ: الشراء بالتقسيط ممن يعرض للسلعة سعرين نقداً وتقسيطاً؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجوز إن لم يتفرقوا من المجلس ، وإلا قد اتفقوا على أحد الأمرين ، والشيخ ناصر يمنعه ويقول : هما بيعان في بيعة وليس كذلك

هذا اسمه عرضان وليس بيعين .

س٦: سئل الشيخ: عن حد الرشوة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : دفع مال لاستخلاص حقك ليس محرماً ، ولا يدخل في اللعن .

س٧: سئل الشيخ: فقه حديث لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : سنده ضعيف والمرأة مالكة لمالها لا يحجر عليها إلا إذا كان فيها سفاهة فيحجر عليها وهو صريح القرآن ﴿فَإِنْ طَبُنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (١) أي إذا أعطت زوجها أو صديقاتها أو أقاربها فلهم أكله هنيئاً مريئاً .

س٨: سئل الشيخ: عن البيع في المسجد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يصح مجرد عرض سلعة أو تعاقد على بيع أو إجارة في المسجد حتى لو كان البيع يتم خارجه .

س٩: سئل الشيخ: البيع والشراء في المقابر ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « مباح » .

مالك إلى بلدك وتشتري أغراضك من هناك .

س١٠: سئل الشيخ: ما حكم من يعمل حارساً أو فرأشاً في مؤسسة ربوية؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يجوز أن يقدم الشاي أو القهوة لمن يكتب

الربا ولا يجوز أن يعمل لديها أي عمل حتى ولو أدى ذلك إلى أن يعمل حملاً في السوق سواء كانت هذه المؤسسة ربوية تبع للحكومة أو للجن أو الإنس كله سواء . قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢) والذي يحمل

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤ .

الورق المكتوب فيه الربا من مكتب إلى مكتب مثل كاتب الربا وحاسبه .

س ١١ : سئل الشيخ: إذا حولت الحكومة راتبك على بنك ربوي؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا بأس أن تستلم هذا المبلغ من البنك الربوي ؛ لأن هذا المبلغ رات راتب على عملك والبنك هذا عمله ولا مانع من ذلك .

س ١٢ : سئل الشيخ: تحويل المال في البنوك ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « تحويل المال في البنوك بمعنى أنك تدفع هنا ريبالات وتستلمها دولارات أو جنيهات في مصر أو أمريكا فهذا جائز وهم ينزلون الشيك الذي تأخذه منزلة القبض فأنت قبضت العوض عن المال الذي دفعته .

س ١٣ : سئل الشيخ: هل دفع الرشوة جائز ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « دفع الرشوة جائز للتخلص من الضرر بشرط أن تأمن من حدوث ضرر أشد كأن يسجنوك لكن إذا أمنت من حدوث ضرر أشد جاز لك دفع الرشوة لاستخلاص حقك .

س ١٤ : سئل الشيخ: إذا قال تاجر في مصر لشخص يعمل هنا وأنت نازل احمل لي هذا الجهاز لأنك ستعفى من الجمرتك لأنه جهاز واحد وأعطيك مبلغاً من المال مقابل حملك إياه وتسبيك في إعفائي من الجمرتك؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يجوز هذا ولكن يجوز أن يحمل له من باب الإحسان بدون أجر .

س ١٥ : سئل الشيخ: هل يجوز للمستأجر إذا خرج قبل انقضاء المدة أن يؤجر السكن لآخر ينتفع به ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « يجوز أن يؤجرها لمثله بحيث لا يفسد في الشقة ولو بأكثر وإذا أجزها لمثله لا يشترط إذن المالك .

س ١٦ : سئل الشيخ: حكم من اقترض مبلغاً من المال بالجنية أن يرده بالريال؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « الأصل أنه يرده مصرياً فإن لم يتمكن رده بصرفه من عملة أخرى ومعنى لم يتمكن أن العملة انقرضت أو بطل التعامل بها .

س ١٧ : سئل الشيخ: رجلان وأمهما في منزل كان قد استأجره أبوهما المتوفى فاتفق أحدهما مع الآخر أن يدفع له مبلغاً من المال مقابل أن يخرج من السكن ويبحث عن مسكن آخر بدون علم المالك ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا كان بنية خلو الرجل فلا يجوز ، وإذا كان نظير انتفاع أحد الشريكين بحصة الآخر في الإيجار يجوز .

س ١٨ : سئل الشيخ: إذا اختلط مال شخص بمال آخر وديعة عنده ليعمل فيه ويربح ولم يدركم الربح ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هذا غلط في العمل في مال المسلمين إذا كان يغلط في حساب الربح ، ولكن إذا كان مال شخص استسمحه ، وإذا كان مال المسلمين اجتهد في التصديق به على أكثر التقديرين للربح ، ويكتفى لنفسه بأقل تقدير .

س ١٩ : سئل الشيخ: حكم السلم في العمارات يصف البناء الذي سوف يبنيه ويتقاضى جزءاً من ثمن البناء ليستعين بالمبلغ على بدء العمل وبعد انتهاء المبنى سلمه للمشتري واستلم بقية ثمنه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجوز هذا ولا حرج فيه وعامة بيع الشقق في مصر كذلك ، ولا بأس .

س ٢٠ : سئل الشيخ: بيع سيارة بالتقسيط ويشترط إذا لم يسدد الأقساط وأراد إعادة

السيارة يقطع جزءاً من الثمن مقابل انتفاعه باستعمال السيارة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هذا غلط يسترد مبلغه كاملاً ويجوز للبائع أن يأخذ رهنًا إذا تأخر المشتري باع المرهون واسترد الثمن .

س ٢١ : سئل الشيخ: عن الشروط الجزائية ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تجوز في حالات خاصة كعقد المفاوضة إذا تأخر في تسليم الشقة أو عند التعاقد مع المدرسين أو الموظفين يجوز مجازاتهم بخضم أو إلغاء العقد عند المخالفات .

س ٢٢ : سئل الشيخ: محل بيع قطع الغيار يبيع العامل فيه القطعة رخيصة لصديقه ولا يتقاضى الأجر على التركيب ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يجوز إلا بإذن صاحب العمل » .

أما إذا لم يتقاض الأجر على التركيب بعد نهاية الدوام فلا حرج . أما أثناء الدوام فلا إذا كان متعاقدًا مع صاحب العمل على يركب والأجر لصاحب العمل .

س ٢٣ : سئل الشيخ: عن رجل من البدو اغتصب إبلاً وعندما حضرته الوفاة أوصى ابنه أن يردها وابنه لا يعرف أصحابها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يقوم بضمن الإبل الآن أي يوم الرد لا يوم الاغتصاب ويتصدق على الفقراء ومصالح المسلمين .

س ٢٤ : سئل الشيخ: عن المساهمات في الشركات والبنوك؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : المساهمات كلها محل ريبة لا يساهم الإنسان في أي شركة من الشركات إلا على طريقة المضاربة بنسبة من الربح .

وموضوع المساهمات في الشركات والبنوك سيبحث إن شاء الله في هيئة

كبار العلماء .

س ٢٥ : سئل الشيخ: ما حكم مبادلة ذهب عيار ١٨ بذهب عيار ٢١ ، أو ٢٤ علماً بأنه قد يخلط الذهب بنحاس أو فضة بنسب متفاوتة في هذه العيارات؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « ما دام يبادل ذهباً بذهب فلا بد من تساوي الوزن . فمثلاً عشرة جرامات من عيار ١٨ بمثلها عشرة جرامات من عيار ٢١ ولو تفاوتت نسبة ما خلط به .

س ٢٦ : سئل الشيخ: بائع الجملة هل يجوز أن يبيع لبعض الناس بسعر ولبعضهم بسعر آخر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « نعم » يجوز .

س ٢٧ : سئل الشيخ: بعض البنوك يعلن عن نفسه أنه بنك إسلامي ولا يتعامل بالربا فهل يكفي هذا للإيداع فيه أم لا بد من البحث والتأكد من صحة ذلك؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا بد من التأكد والبحث عن كون البنك لا يتعامل بالربا » .

س ٢٨ : سئل الشيخ: هل يجوز ترك المال في بنك ربوي كوديعة بدون فوائد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز وضع المال في بنك يتعامل بالربا لا وديعة ولا غيرها .

س ٢٩ : سئل الشيخ: هل يجوز بيع حق استعمال الهاتف والذي حصل عليه من الحكومة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز ولو بما كلفه من مال ؛ لأن هذا الحق ملك الدولة .

س ٣٠ : سئل الشيخ: عن حكم بيع عقود العمل؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « لا يجوز » ولا يشتري عقد عمل ولو كان محتاجاً ومن تركه لله عوضه الله .

س ٣١ : سئل الشيخ: عن حكم التورق (وهو شراء سلعة بالتقسيط وبيعها نقداً بأقل لغير من اشتراها منه)؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : التورق جائز .

س ٣٢ : سئل الشيخ: عن حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا تعين هو لتعليم القرآن كان واجباً عليه ولم يجز له أخذ الأجرة على واجب . أما إذا لم يجب عليه بعينه تعليم القرآن يجوز أن يأخذ أجرة في حدود ما يكفيه من النفقات . أما إذا لم يكن محتاجاً فلا يجوز أخذ الأجرة .

س ٣٣ : سئل الشيخ: بعضهم يتورع عن تجارة الذهب لكثرة المخالفات فيها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هذا غلط بل يتاجر بالوجه الشرعي من غير ربا .

س ٣٤ : سئل الشيخ: حكم أخذ الذهب بدون دفع قيمته ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا كان قيمته نقوداً لا يجوز . أما إذا أخذ ذهباً مقابل برٍّ أو قماش فيجوز الأجل .

س ٣٥ : سئل الشيخ: (خلو الرجل) وتقبيل المحلات ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : « خلو الرجل لا يجوز .

وتقبيل المحلات يجوز .

س ٣٦ : سئل الشيخ: ما حكم البيع والشراء من الكفار ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : كان النبي ﷺ يسوى بينهم ، وبين المسلمين في البيع والشراء ، وكان يشتري من اليهود مثل ما يشتري من المسلمين .

س٣٧: سئل الشيخ: عن أخذ الأجر على الطاعة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : أخذ الأجر الديني على الطاعة لا يقدر في الإخلاص ولكن ينقص الأجر ، وهذا منصوص عليه في الجهاد إذا استعجل الغنيمة ، فإذا كان الدافع له على الطاعة هو وجه الله أو الأمران معاً فهو مخلص . أما إذا كان مقصده المال فقط بحيث إذا نقص منه شيء من المال يترك هذه الطاعة فلا ثواب له . لكن إذا كان معذوراً فلا إثم عليه . إذا امتنع من فعل الطاعة لأنهم لم يعطوه أجرته المالية . ولا يتوقف أجره الأخروي على كون أجره الديني كبيراً أو صغيراً بل يتوقف على مدى حاجة الناس إليه وعلى من ينشر الخير بينهم من مبتدعة أو جهلة ، وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً﴾ (١) الآية . . فيها عدم استواء الأجر بحسب وقت الإنفاق .

س٣٨: سئل الشيخ: عن الشروط في العقود اشتراط إكمال المرأة تعليمها في عقد الزواج واشتراط عدم التدريس دروساً خاصة بعد الدوام في المدارس؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هو ملزم بالوفاء ؛ لحديث أحق الشروط وأن توفوا به ما استحللتم به الفروج ما لم يطرأ ما يمنع من الوفاء بالشرط فيعذر .

اشتراط عدم التدريس خارج الدوام شرط ملزم ولو لغير طلابه سداً للذرائع وكذلك اشتراط ألا يعمل تاجراً مثلاً وطاعة ول بالامر فيما نصحه من النظام ملزمة كقوانين المرور ؛ إذ ليس فيها نص بخصوصها ولهم وضع جزاءات بشرط أن تكون عادية . وإذا كان عارفاً فعليه دين في ذمته مثلاً المبلغ الذي تقاضاه . أما إذا كان جاهلاً بالحكم فلا شيء عليه وهو معذور فيما سبق .

تاسعا فتاوى النكاح

س ١: سئل الشيخ: هل يجوز الزواج بالكتابية؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : السورة التي فيها إباحة الزواج بالكتابية هي سورة المائدة ، هي نفس السورة التي فيها أن النصارى كفروا لقولهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ خلافاً لعمر رضي الله عنه لذا لم يطاوعه الصحابة .

س ٢: سئل الشيخ: عن الزواج من النصارى؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : المذاهب الثلاثة عند النصارى واليهود يباح الزواج من نسائهم سواء عدلوا إلى الأسوأ ، أو الأحسن مادامت تنتسب إلى النصرانية أو اليهودية .

س ٣: سئل الشيخ: الذهب الذي يعطيه الزوج لامرأته؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الذهب الذي أعطاه الزوج لامرأته يكون من حقها . وإذا لم يكن هناك اتفاق فعليه مهرٌ غير الذهب ويعتبر الذهب هدية .

س ٤: سئل الشيخ: ما حكم الزواج بزوجة ثانية؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : حكم الزواج بثانية يختلف من شخص لآخر كل إنسان أدرى بحاله .

س ٥: سئل الشيخ: رجل رضع من زوجته؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجوز لأن لبنها حلال وله أن يتغذى عليها إلى أن يموت ولا يترتب عليه تحريم ؛ لأنه ليس في الحولين .

س ٦: سئل الشيخ: الرضعات التي تحرم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : كل رضعة مصة تعتبر رضعة ولو كانت في مجلس واحد ولو مص مصة ثم انفصل عن الثدي بسبب برغوت قرصه فهي واحدة ولا يشترط كون الرضعات مشبعات ومصة اللبن إذا دخلت الأمعاء فقد فتقتها .

عاشرا: فتاوى الطلاق

س ١: سئل الشيخ: عن الرجل إذا قال لزوجته : إذا فعلت كذا فأنت عليّ كأمي وأختي ففعلت هذا الشيء ناسية ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : عليه كفارة يمين . أما إذا لم تكن ناسية فهوظهار ؛ لأن الناس معذورون ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ .

س ٢: سئل الشيخ: عن كفارة الظهار؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : كفارة الظهار إذا كان عاجزاً عن الصيام ثلاثون صاعاً من طعام أو يحضر ستين مسكيناً ويطعمهم أو يذهب بهم إلى مطعم ويطلب لهم طعاماً من جنس ما يأكله .

س ٣: سئل الشيخ: عن انفصال الخاطب عن مخطوبته ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا قدر الانفصال بين الخاطب والمخطوبة إذا كان من جهته ما له شيء مما أعطاه ، ولو كان لعيب فيها ظهر له . أما إذا كان من جهتها هي فيرجع ويأخذ ما أعطاه .

س ٤: سئل الشيخ: عن امرأة زوجها تارك للصلاة وشارب للخمر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لها أن تطلب الطلاق ؛ لأن ترك الصلاة ولو كسلاً كفر على الصحيح والسكّر قد أن يقتلها أو يقتل ولدها .

أما بالنسبة للمهر فإن كانت هي طالبة الطلاق واعتبره القاضي خلعاً فأراها تفتدي نفسها بمبلغ من المال تدفعه له وإذا ألزمه القاضي بتطليقها أخذت مهرها كاملاً وعليه النفقة والسكنى مدة العدة ، والحضانة حق لها أن تحتضن ولدها سبع سنين وقد تصل إلى تسع إذا رأى القاضي ذلك .

حادي عشر : فتاوى التفسير

س ١ : سئل الشيخ: عن تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؟ (١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : أي توفقيها ولو حرف امتناع لامتناع أي امتنع إيتاء الله كل نفس هداية التوفيق لامتناع مشيئته ، ذلك فالمراد بالهداية التي لم يشأ الله أن يؤتيها لكل النفوس هي هداية التوفيق والإسعاد وليست هداية التبیین والإرشاد .

س ٢ : سئل الشيخ: عن قوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؟ (٢)

فقال الشيخ - رحمه الله - : هو يخلف العباد ولا يخلقه أحد ، وقوله ﴿خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ بعضهم يخلف بعضاً .

س ٣ : سئل الشيخ: عن معنى ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا...﴾؟ (٣)

فقال الشيخ - رحمه الله - : جلد الإنسان الذي يطيع الله تعالى يموت ويتجدد جلوداً غيره بخلايا أخرى في أثناء حياة الإنسان فكذلك العصاة ويبدلهم الله تعالى جلوداً من هذا النوع ولو لم يعصوا الله تعالى فيها ثم إن الخوض في ذلك تدخل في شأن الله تعالى لا يجوز وسوء أدب من العبد أن يتدخل في شأن الله الخاص به .

س ٤ : سئل الشيخ: في تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ (٤)

فقال الشيخ - رحمه الله - : خلق الإبل غريب ومأخوذ منها طريقة بناء المساجد على صورة القبة بلا أعمدة كجامع السلطان حسن بمصر والمقصود بالنظر

(١) سورة السجدة ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٦ .

(٤) سورة الغاشية ، الآية : ١٧ .

وهو وسيلة إلى الفكر كبقية أبواب الحس الحواس الخمسة .

س ٥: سئل الشيخ: عن الفرق بين الكفر والفسوق والعصيان في قوله تعالى: ﴿وَكُفِّرْ بَيْنَكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾؟^(١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : الإنسان مفطور على الخير بحيث إنه إذا لم تؤثر فيه البيئة اختار الخير لحديث : «كل مولود يولد على الفطرة»^(٢) وحديث : «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم»^(٣) وهو شامل لفطرته على الخير في الجسم والخلق والعقيدة ولا يعارض قوله تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٥) ؛ لأن هذا طارئ بدليل قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٦) .

س ٦: سئل الشيخ: عن معنى حديث : «أبى الله أن يجعل لقاتل مؤمن توبة»؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : دلَّ القرآن على أن للقاتل توبة في سورة الفرقان . قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾^(٧) إلى قوله : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ...﴾^(٨) الآيات .

ولكن حق المقتول لا يسقط إلا بعفوه أو أخذه بحقه يوم القيامة من حسنات القاتل . أما حق الله فتنفع فيه التوبة وحق أولياء الدم تنفع فيه الدية .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٧ .

(٢) أخرجه البخاري [٢٩٠ / ٣] رقم (١٣٨٥) ، ومسلم [٢٦٥٨] .

(٣) أخرجه مسلم [٢٨٦٥] ، وأحمد [١٦٢ / ٤] .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ٥٣ .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

(٦) سورة التين ، الآيتان : ٤ ، ٥ .

(٧) سورة الفرقان ، الآية : ٦٨ .

(٨) سورة الفرقان ، الآية : ٧٠ .

س٧: سئل الشيخ: عن معنى الآية: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾؟ (١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : هو الطفل غير المميز الذي لا يعرف الحسن من القبيح ، ولا يعرف ما تعاب به المرأة وما يستحسن منها وهو غالباً سن السابعة .

س٨: سئل الشيخ: عن الاستئذان المذكور في سورة النور ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الاستئذان المذكور في سورة النور للمحارم وللأجنبي من باب أولى ؛ لأنه أفحش .

(١) سورة النور ، الآية : ٣١ .

ثاني عشر : فتاوى الحجاب واللباس

س ١ : سئل الشيخ: عورة المرأة المسلمة على المسلمة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : عورة المرأة المسلمة ما بين السرة والركبة مع العلم أن في المسألة أقوالاً أخرى ويصح للمسلمة أن ترضع أمام المسلمة الأخرى [الحجاب] .

س ٢ : سئل الشيخ: عن عورة الأمة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : عورة الأمة من السرة إلى الركبة سواء كانت للخدمة أم ربة سرير للتسري وهذا ظاهر الآية في سورة الأحزاب وهو مذهب المالكية .

س ٣ : سئل الشيخ: هل يصح أن تتزين المرأة بكامل زينتها وهي مغطاة بجلباب سابغ وتحتة كحل وخضاب وحلي وكله مستور؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا حرج في ذلك بل هي متزينة لزوجها وللنساء وليست متزينة للرجال الأجانب ما دام لا يبدو منها شيء فلا حرج .
أما إذا كان الجلباب زينة في نفسه لكونه لامعاً ولافتاً للنظر فهذا يحرم .

س ٤ : سئل الشيخ: ما تكشفه المرأة محارمها ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجوز للمرأة أن تكشف لمحارمها ما يبدو عند الخدمة كالرأس والعنق واليدين والقدمين .

س ٥ : سئل الشيخ: عن صفة العمامة النبوية ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : صفة العمامة النبوية لفافة تلف حول الرأس (والغتر أو الشماع) هو الخمار وكانت تلبسه النساء وليست واردة في السنة بل هي من باب العادات . أما العمامة فهي الواردة في السنة .

س ٦ : سئل الشيخ: عن لبس المرأة البنطلون ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا لبست المرأة البنطلون وفوقه ملابس سابغة فلا تشبه فيه بالرجال ما دامت تلبسه أسفل ، ولكن التشبه إذا لم تلبس فوقه شيئاً فيمنع .

س٧ : سئل الشيخ: هل يصح إهداء الحرير إلى قريب كافر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يصح ، فقد فعله عمر رضي الله عنه . واحتفاظ الإنسان بملابس خاصة للجمعة والمناسبات طيب وهو من فعل الرسول ﷺ .

س٨ : سئل الشيخ: ملابس الأطفال المرسوم عليها صور؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز بيعها ولا شراؤها . أما إلباس الأب طفله ثوباً فيه صورة فلا بأس به لأنها ممتهنة لأنه يبول فيها .

س٩ : سئل الشيخ: عن شراء سجاد به صور؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : السجاد لا يقصد شراء ما فيه صورة ، لكن إذا حدث وكانت في بيته وكذلك لعب الأطفال على شكل صور من الممتهنة .

س١٠ : سئل الشيخ: إرضاع المرأة طفلها أمام المرأة أو أمام محرم من محارمها؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجوز لو كانت مسلمة . أما كتابية فالأظهر ألا تكشف أمامها لقوله تعالى : ﴿أو نسائهن﴾ ظهور الأطراف الرجل إلى الركبة والذراعان أمام المحارم ليس بمحرم له أن يرى ما عدا ما بين السرة والركبة .

س١١ : سئل الشيخ: عن لباس الشهرة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لباس الشهرة هو اللباس الذي يجعلهم يضحكون عليك ويستهزئون بك ولو لبست كما يلبسون فلا حرج .

س١٢ : سئل الشيخ: هل لبس البنطلون أو لبس الساعة في اليسار يعتبر من التشبه بالكفار؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : اللباس الذي يعتبر تشبهاً بالكفار هو الذي من خصائصهم بحيث لو رآك أحد به حسبك كافراً أما ما عدا ذلك فيجوز .

الثالث عشر : فتاوى الأخلاق وطلب العلم

س ١ : سئل الشيخ: بماذا تنصح طلبة العلم والدعاة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الدعاة يدعون إلى ما تعلموا ويبدؤون بالتدرج يبدأ بالأهم فالأهم العقيدة قبل الفروع . كما فعل الرسل . ويتنزه الفرص كذلك طلبة العلم كما يبدؤون غيرهم بالدعوة إلى التوحيد فيبدأون هم بتعلم التوحيد قبل الفروع والرسل لم يتعرضوا للفروع في أول الأمر إلا في الفروع الشديدة التي تفشى فيها المخالفة .

شعيب حذر من نقصان المكيال ولوط حذر من الفاحشة وهذان الأمران يتصلان بالأخلاق والأخلاق قرينة التوحيد . وفي الفروع يتدرج . فالربا لم ينزل تشريعه إلا في آخر التشريع ، وشرب الخمر كان تركه صعباً فتأخرت الدعوة إليها . وفي الدعوة العقيدة تدرج . فالرسول ﷺ لم ينه الصحابة عن الحلف بغير الله إلا مؤخراً ؛ لأنه من باب الوسائل .

وفي هذه الحالة إذا رأى منكراً لم يأت الوقت لبيان حكمه يسكت ولا يدعو إلى المنكر .

س ٢ : سئل الشيخ: هل يبدأ بتعلم القرآن قبل غيره من العلوم ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : تعلم القرآن في طرق التربية لابن خلدون عند المغاربة طريقتهم البداءة بالقرآن قبل تعلم أي علم ، وطريقة غيرهم أن يصاحب حفظ القرآن حفظ المختصرات وتعلمها ، وكان هذا موجوداً عند الأولين ، منهم من كان بطلاً في الحديث ، وحافظاً للقرآن ، وأجهل من دابة في النحو والعربية .

س ٣ : سئل الشيخ: عن حكم تعلم التجويد ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : المطلوب هو التجويد العملي . لو سئل أبو بكر

عن الإدغام بغنة لما عرفه وكذا باقي الخلفاء الراشدين فهم جهلة في التجويد النظري لكنهم طبقوه عملياً لكن من عرفها لا يجوز له مخالفتها .

س ٤ : سئل الشيخ: هل تنصح في علم وأحكام بالقراءة في جميع العلوم ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : ذكر الشاطبي في تعميم الملكات وهو مبحث في علم التربية : هل يلزم أن يكون الإنسان قوياً في جميع العلوم ؟ أم لا يلزم ؟ هما قولان :

وذكر أنهم سألوا نحويّاً في الفقه ، وهو يقول بتعميم الملكات إذا سها في سجود السهو هل يسجد قال : لا ، لأن المصغّر لا يُصغّر (قال الشيخ وهذا ليس بدليل) .

الرابع عشر : فتاوى ذم البدع

س ١ : سئل الشيخ : عن تخصيص ليلة النصف من شعبان بصيام أو قيام؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : كل ما ورد في ليلة النصف من شعبان ضعيف .

س ٢ : سئل الشيخ : الأيام الفاضلة والأمكنة الفاضلة . هل تخص بزيارة العبارة ؟ وهل يتضاعف فيها الثواب ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا ورد فيها زيادة عبادة وإذا ورد النص يزيد الثواب ، وإلا لا يزداد الثواب ويكون مثلها مثل بقية الأيام .

س ٣ : سئل الشيخ : المواظبة علي ختم القرآن في التروايح ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : المقصود ختم القرآن في رمضان ، لكن ليس المقصود ختمه في الصلاة . ودعاء ختم القرآن مخترع وتخصيصه بوتر آخر رمضان ما ورد وتراجع رسالة الشيخ بكر أبو زيد .

س ٤ : سئل الشيخ : عن حكم قراءة القرآن جهراً في المحافل والجامع كحفلات الزواج هل هذا ابتداء ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هذا من البدع جعل افتتاح المجالس رسمياً بتلاوة القرآن ما ورد فيه نص ، لكن لا يتخذ عادة ويجوز فعله أحياناً وأنا اختلفت مع هيئة كبار العلماء عندما افتتحوا بتلاوة القرآن الكريم . قلت : هذا بدعة ما حصل هذا من الرسول ﷺ ومجالسة كثيرة ، وهو الإمام المقتدئ به . أما إذا كانت موعظة مشتملة على آيات من القرآن فما عليه حرج .

س ٥ : سئل الشيخ : عن التزام «صدق الله العظيم» ختاماً للقراءة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : بدعة ؛ لأن الرسول ﷺ وصحابته أقرأ الناس

للقرآن ولم ينقل عنهم فهو بدعة .

س٦: سئل الشيخ: هل هناك بدعة حسنة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : ليس هناك بدعة حسنة . وما يسمونة بدعة حسنة هو من المصالح المرسلة .

س٧: سئل الشيخ: هل هناك حرج في أن يحدد الإنسان لنفسه صلوات أو أوراد من الذكر أو التلاوة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : ما دام هذا التحديد لنفسه ولم يدع إليه غيره فلا بأس .

الخامس عشر : فتاوى متفرقات

س ١: سئل الشيخ: متى يحمل الأمر على النذب والنهي عن التحريم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا كان الأمر متعلقاً بالضروريات أو الحاجيات فإنه يحمل على الوجوب وإذا كان متعلقاً بالتحسينات فهو محمول على النذب .
والنهي إذا كان في باب الضروريات أو الحاجيات فهو للتحريم وإن كان في باب التحسينات فهو للكره .

وهذه قاعدة ضابطة وإن شئت تفصيل الكلام فيها فارجع إلى كتاب المقاصد من الموافقات - بفتح الفاء - للإمام الشاطبي - رحمه الله - .

س ٢: سئل الشيخ: هل الاحتجاج بالحديث الضعيف في مسائل الاعتقاد على سبيل الاحتجاج لمذهب السلف عند فقد دليل صحيح؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز الاحتجاج بالحديث الضعيف لا في العقائد ولا في غيرها .

س ٣: سئل الشيخ: عن معنى حديث : «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيعتقه»؟ (١)

فقال الشيخ - رحمه الله - : مهما فعل الولد من المعروف والإحسان إلى والده لا يجزيه في بره له ولا يستطيع أن يكافئه على تربيته إياه ، إلا أن يجد الولد والده عبداً فيحرره فيكون بذلك قد كافأه بنص الحديث .

أما من قال : إنه لا يكافئه حتى لو أعتقه لحديث أنت ومالك لأبيك . فكيف يعتق المملوك مالكة ؟ فليس بصحيح ؛ لأن ملك الوالد لولده ملك معنوي وليس حقيقياً لأن الولد لا يكون عبداً مملوكاً لأبيه ولكنه مع ذلك مأمور بطاعة أبويه كطاعة العبد لسيده أو أكثر .

س ٤: سئل الشيخ: ما هي ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا ترتب عليه منكر أشد لا ينكر ولا يأمر .
وكذلك إذا ترتب عليه ضرر مادي لا يغير وإذا ترتب ضرر علي الغير ضرر علي
الغير لا يغير وقد يكون محرماً إذا كان أشد .

عند تغيير منكر لا بد من ضرر ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾^(١) وأوذي الرسول
ﷺ لا بد أن يغير ويصبر ، وتغيير منكر بدون ضرر غير موجود في الدنيا .

إذا كان المنكر متعلقاً بالعقيدة يغيره ولو عاد عليه ما عدا من الضرر أو على
غيره ما لم يكن أكبر .

س ٥: سئل الشيخ: عن الفديو؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : الفديو آلة إذا استعملت في الخير فهو خير ، وإذا
استعملت في الشر فهو حرام ، هذا من ناحية مشاهدة أشرطتها .

س ٦: سئل الشيخ: عن القصة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : القصة يشترط أن تكون صدقاً ، وأن يكون
هدفها خيراً ، لكن لا يجوز اختلاق قصة لم تقع .

س ٨: سئل الشيخ: عن الحكاية؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يصح لك أن تروي حكاية حكاها ابن الجوزي
بشرط أن تنسبها إليه . تقول : قال ابن الجوزي : حصل كذا وإن كانت كذباً
فعهدتها عليه وإن كانت صدقاً فأجرها له .

س ٩: سئل الشيخ: عن الغيبة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا اغتاب رجل آخر يستسمحه إجمالاً يقول :

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٧ .

أخطأت فيحقك فسامحني ولا يقول له تفصيلاً حتى لا تحصل فتنة وإذا كان في بلد أخرى كتب إليه .

س ١٠ : سئل الشيخ: اتهام العلماء بعدم الفهم ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز اتهام عالم من العلماء بأنه لا يفهم الواقع ، وهذا تشويه ولا يصح أن يقال العلماء أو بعض العلماء لا يدركون الواقع إذا كان الذهن ينصرف إلى علماء بعينهم .

س ١١ : سئل الشيخ: هل نال فضل الاجتماع على الطعام بالرغم من استقلال كل واحد بصحن ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : نعم . المقصود بالاجتماع الاجتماع على المائدة لا الاجتماع على نفس الصحن .

س ١٢ : سئل الشيخ: عند تدريس التربية الإسلامية للنصارى هل يجوز لهم مس المصحف وقراءته ويختبرون وترصد لهم الدرجات لعلهم يسلمون؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لنا فتوى في هذا الموضوع بجواز دخول الكافر مدارس المسلمين ولو كان بوذياً .

س ١٣ : سئل الشيخ: الكتب التي تحتوي على صور ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يلزمه طمس الصورة أو طمس الوجه ولا يكفي وضع خط يفصل الرأس عن الجسد .

س ١٤ : سئل الشيخ: عن زواج الجنى بالإنسية ؟ والإنسى بالجنية ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : ممكن ولكن من ادعى ذلك فعليه الإثبات ويدعون على الشيخ محمود خطاب السبكي أنه كان يزوج الإنسى من تلاميذه

بجنية .

س ١٥ : سئل الشيخ: عن تشبيك اليدين خلف الظهر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هي عادة الأعاجم وهي من المشابهة المنهي عنها .

س ١٦ : سئل الشيخ: عن وقت أذكار المساء؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : هناك من يقول : من بعد الظهر ، وهناك من يقول بعد العصر ، وهناك من يقول بعد غروب الشمس .

والراجح عندي : أنها بعد غروب الشمس كما قال ابن القيم ، وأنا لم أستقص الأذكار حتى أحدد إذا كان بعضها مقيداً بما قبل الغروب . وقوله : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ ^(١) المقصود به الصلوات الخمس .

س ١٧ : سئل الشيخ: امرأة متزوجة لا يثبت لها شعر في رأسها . هل لها أن تلبس شعراً مستعاراً بعلم زوجها؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز .

س ١٨ : سئل الشيخ: انتقد بعضهم كتاب بلوغ المرام للإمام ابن حجر؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا بد من تحديد النقد في مسائل محددة .

س ١٩ : سئل الشيخ: يقولون فيه أحاديث مبتورة غير كاملة ، وفيه احتجاج بأحاديث ضعيفة فهل يمكن الرد عليهم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : نعم يُصلَح ما فيه من الخطأ ويُؤخذ بما فيه من الصواب ولا ينع ما فيه من خطأ من الاستفادة مما فيه من الصواب .

(١) سورة طه ، الآية : ١٣٠ .

س ٢٠: سئل الشيخ: هل يجوز الاستشهاد بكافر في المحكمة في قضية أو الشهادة له؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : نعم ، إذا كانت الشهادة بحق ليست بباطل يجوز أن تستشهد به أو تشهد له .

س ٢١: سئل الشيخ: ما هو الضابط في مسألة الإحسان إلى الكافر الذمي متى تكون من باب الموالاة؟ ومتى تكون من باب تأليفه على الإسلام؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : حسب نيته إذا نوى موالاته فهي موالاة ، وإذا نوى تأليفه على الإسلام فهي تأليف على الإسلام .

س ٢٢: سئل الشيخ: عن ورقة بن نوفل هل يعتبر صحابياً أو من أهل الفترة؟ ولم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا كان قد ثبت إسلامه في زمن الرسول ﷺ فهو صحابي وقوله : إنه الناموس الأكبر ليس تصريحاً بإسلامه ؛ لأنه قال : إن يدركني يومك ولم يدركه .

س ٢٣: سئل الشيخ: عن أدب الدعاء؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا نطلب من الله تعالى أن نكون على سور الجنة أو حوش من أحواشها هذا سوء ظن بالله بل نسأله الفردوس الأعلى وسط الجنة أي خيرها .

س ٢٤: سئل الشيخ: عن الروائح المخلوطة بالكحول؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا بأس به ما لم تكن مسكرة بل المسكر فيها أنواع مخصصة هي التي تكسرهما هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليس كل كحول مسكر كقشر البرتقال فيه كحول غير مسكر .

س ٢٥: سئل الشيخ: امرأة باق في عدة وفاة زوجها خمسة أيام ومضى منها أربعة أشهر وخمسة أيام هل يجوز لها الخروج؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : لا يجوز لها أن تخرج من بيتها ولا أن تسافر إلى الحج ولو كان عمرها عمر نوح .

س ٢٦: سئل الشيخ: عن أيهما أفل زاد المعاد أم المغني؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : زاد المعاد خير من المغني ؛ لأن ابن القيم متأخر عن ابن قدامة ومحقق عنه .

س ٢٧: سئل الشيخ: عن طريقة التخلص من الورق المكتوب فيه اسم الله؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : المهم ذهاب معالم الكتابة التي تجعلها تقرأ فيصح أن يشق اسم الله ، فيفصل اللامين عن بعضهما ، والرحمن يفصل اللام والراء عن الحاء والميم .

س ٢٨: سئل الشيخ: شخص يلحقه ضرر في ماله إذا لم يشفع له آخر عند من له سلطة؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يجب على من يستطيع الشفاعة أن يشفع بدون مقابل لوجه الله ، وإذا لم يشفع إلا بدفع رشوة له فيجوز دفعها لإزالة هذا الضرر ، والإثم في هذه الحالة على الآخذ . أما الدافع فمعذور . والله أعلم .

س ٢٩: سئل الشيخ: هل يلزم تغطية الفواكه والخضروات قبل النوم؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : يشرع تغطية الإناء والتسمية عند التغطية سواء أكان شرباً أم طعاماً جامداً ، ويستثنى من ذلك الفاكهة أو الخضروات إذا تركت في قشرتها .

س ٣٠: سئل الشيخ: عمن سها وترك تغطية الطعام فهل يأكل منه ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا سها وترك تغطية الطعام فعليه أن يطعمه للحيوان ولا يأكل منه . وإذا أكل منه فقد أساء إلى نفسه .

س ٣١: سئل الشيخ: ما حكم السفر إلى بلاد الكفار للعمل؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا وجد عملاً في بلاد المسلمين لم يجز له السفر إلى بلاد الكفار . وإذا لم يجد يجوز له السفر للعمل هناك بشرط أن يأمن على نفسه من شبه الكفار ، فإن لم يأمن فحفظ دينه أولى .

س ٣٢: سئل الشيخ: ما حكم الأموال التي اكتسبها المسلم من عمله في بلاد الكفار مع فرض أن إقامته فيها محرمة ؟

فقال الشيخ - رحمه الله - : إذا كان المال مكتسباً من وجه حلال كالبيع ، والشراء ، فهو حلال .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

الفهرس

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الصفحة

الموضوع

٣	الإهداء
٥	تقديم الشيخ محمد عيد العباسي
٩	المقدمة
١٧	نموذج من خط الشيخ
٢١	الفصل الأول : سيرته بمصر
٢٣	المرحلة الأولى : في شنشور
٢٥	المرحلة الثانية : في القاهرة
٢٧	صورة شهادة العالمية التي حصل عليها الشيخ ١٣٥١هـ
٢٨	صورة شهادة التخصص التي حصل عليها الشيخ ١٣٥٥هـ
٢٩	المرحلة الثالثة : في شبين الكوم
٣١	المرحلة الرابعة : في الإسكندرية
٣٣	نموذج من كتابات الشيخ أثناء إقامته بالإسكندرية
٣٥	الفصل الثاني : هجرته إلى المملكة العربية السعودية
٣٩	الأعمال التي قام بها في المملكة
٤٥	دور الشيخ عبدالرزاق في هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء
٤٧	نماذج من مشاركات الشيخ في هيئة كبار العلماء

الصفحة

الموضوع

- ٥٥ الفصل الثالث : منزلته عند أعلام عصره وثناؤهم عليه
- ٦٥ الفصل الرابع : شهادة العلماء له بسعة علمه وتبحره في جميع الفنون
- ٧١ الفصل الخامس : عقيدته السلفية
- ٧٨ تقرير للشيخ عبدالرزاق عن كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي
- ٨٧ الفصل السادس : حكمته في الدعوة إلى الله ومنهجه في التعليم
- ٨٩ الفصل السابع : إدراك الشيخ لواقعه وما فيه من مذاهب واتجاهات
- ٩٣ الفصل الثامن : عبادته
- ٩٤ الفصل التاسع : كرمه وجوده
- ٩٧ الفصل العاشر : تواضعه
- ٩٩ الفصل الحادي عشر : حلمه وسعة صدره
- ١٠١ الفصل الثاني عشر : رحمته بطلابه ونصحه لهم
- ١٠٧ الفصل الثالث عشر : زهده وورعه
- ١٠٩ الفصل الرابع عشر : صبره
- ١٣٣ الفصل الخامس عشر : مزاحه
- ١١٥ الفصل السادس عشر : إعراضه عن اللغو
- ١١٧ الفصل السابع عشر : هيئته واحترام الناس له
- ١١٩ الفصل الثامن عشر : تلاميذه وأثره فيهم
- ١٢٥ الفصل التاسع عشر : مؤلفاته وموقفه من التأليف
- ١٣١ الفصل العشرون : أسرته وأولاده

الصفحة

الموضوع

- ١٣٣ الفصل الحادي والعشرون : حفظ الله تعالى عليه حواسه إلى آخر عمره
- ١٣٥ الفصل الثاني والعشرون : حسن خاتمته ووصف جنازته
- ١٣٩ الفصل الثالث والعشرون : تفجع المسلمين عليه وتألمهم لفقده
- ١٤٥ الفصل الرابع والعشرون : ما رثي به الفقيد من الشعر
- ١٤٩ الخاتمة

فهرس الفتاوى

رَفَعُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِي
(سَلَّمَ) (بَيْنَهُ) (النُّورِ)

الصفحة

الموضوع

القسم الأول: العقيدة

١٥١

س ١ : سئل الشيخ: بعض الناس ينكرون على من قال : «جل من لا

١٥٣

يسهو»

١٥٣

س ٢ : سئل الشيخ عن وجه الجمع بين الأحاديث التي فيها تسمية يد الله

١٥٣

س ٣ : سئل الشيخ: عن الفرق بين إرادة الله تعالى وأمره ؟

١٥٣

س ٤ : سئل الشيخ: عن بعض عبارات الإمام ابن قدامة في لمعة الاعتقاد

١٥٤

س ٥ : سئل الشيخ: عن تعلق قدرة الله تعالى بالمستحيل والواجب ؟

١٥٤

س ٦ : سئل الشيخ: عن تقسيم الأشاعرة لصفات الله تعالى ؟

١٥٥

س ٧ : سئل الشيخ: عن معنى «حجابه النور» ؟

س ٨ : سئل الشيخ: عن قدم الله تعالى ورجله هل هما صفتان أو صفة

١٥٥

واحدة ؟

س ٩ : سئل الشيخ: عن المشيئة هل هي كونية فقط أو هي كونية وشرعية

١٥٦

كالإرادة ؟

١٥٦

س ١٠ : سئل الشيخ: عن صفة المكر والمخادعة والاستهزاء ونحوها ؟

١٥٧

س ١١ : سئل الشيخ: عن صفات الذات وصفات الفعل ؟

١٥٧

س ١٢ : سئل الشيخ: هل الكفار يرون الله في المحشر ؟

١٥٧

س ١٣ : سئل الشيخ: هل اللقاء بمعنى الرؤية ؟

١٥٧

س ١٤ : سئل الشيخ: ما أثر الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته ؟

١٥٧

س ١٥ : سئل الشيخ: بعض الناس ينسبون إلى السلف القول بالتفويض .

الصفحة

الموضوع

- ١٥٨ فما ردكم؟
- ١٥٨ س ١٦ : سئل الشيخ : هل الكفار يرون الله تعالى في المحشر؟
- ١٥٨ س ١٧ : سئل الشيخ : ما المقصود بقرب الله تعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾؟
- ١٥٨ س ١٨ : سئل الشيخ : ما معنى قوله ﷺ : «وأنت الباطن»؟
- ١٥٨ س ١٩ : سئل الشيخ : ما معنى : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»؟
- ١٥٨ س ٢٠ : سئل الشيخ : ما الفرق بين التشبيه والتمثيل والتكييف في صفات الله تعالى؟
- ١٥٨ س ٢١ : سئل الشيخ : هل يجوز وصف الله تعالى بأنه في جهة أو له حد؟
- ١٥٩ س ٢٢ : سئل الشيخ : ما الفرق بين التشبيه والتمثيل؟
- ١٥٩ س ٢٣ : سئل الشيخ : ما هي قبلة الدعاء؟
- ١٥٩ س ٢٤ : سئل الشيخ : ما الدليل على إثبات صفة العينين لله تعالى؟
- ١٦٠ س ٢٥ : سئل الشيخ : هل صفات الفعل تقوم بذات الله سبحانه؟
- ١٦٠ س ٢٦ : سئل الشيخ : عن حديث «خلق الله آدم على صورته»؟
- ١٦٠ س ٢٧ : سئل الشيخ : ما الفرق بين الأزلي والقديم؟
- ١٦٠ س ٢٨ : سئل الشيخ : هل المَنَّان من أسماء الله تعالى؟
- ١٦٠ س ٢٩ : سئل الشيخ : ما علاقة الأسماء بالصفات؟
- ١٦١ س ٣٠ : سئل الشيخ : هل لفظ الجلالة جامد أم مشتق من الإلهه أو الوله؟
- ١٦١ س ٣١ : سئل الشيخ : عن معنى دلالة أسماء الله تعالى على معناها مطابقة وتضمناً والتزاماً؟

الصفحة

الموضوع

- س ٣٢ : سئل الشيخ : عن قيام صفات الله تعالى بذاته؟ ١٦١
- س ٣٣ : سئل الشيخ : ما معنى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ ؟ ١٦٢
- س ٣٤ : سئل الشيخ : ما الفرق بين العبارة والحكاية ؟ ١٦٢
- س ٣٥ : سئل الشيخ : رجل يقول : إن كلام الله تعالى يسمع يوم القيامة من كل جهة؟ ١٦٢
- س ٣٦ : سئل الشيخ : ما أرجح الأقوال في مسألة نزول الرب سبحانه وتعالى هل يخلو منه العرش أو لا يخلو أو نتوقف ؟ ١٦٢
- س ٣٧ : سئل الشيخ : عن توضيح قول شارح الطحاوية ما ملخصه أن العلم الإلهي يصح فيه قياس الأولي . . . ؟ ١٦٢
- س ٣٨ : سئل الشيخ : هل يجوز الإخبار عن الله تعالى بأنه (واجب الوجود)؟ ١٦٣
- س ٣٩ : سئل الشيخ : عن وسائل الشرك هل تعتبر شركاً أصغر أم تعتبر محرمة فقط؟ ١٦٤
- س ٤٠ : سئل الشيخ : هل يثاب المرء على ترك الحرام؟ ١٦٤
- س ٤١ : سئل الشيخ : ما الفرق بين اليقين والصدق والإخلاص ، وبين القبول والانقياد؟ ١٦٤
- س ٤٢ : سئل الشيخ : هل لفظة (لعمري) ، (لعمرك) من باب القسم ؟ وإذا كان كذلك : فهل هو قسم ممنوع أم مباح؟ وما معنى : «أفلح وأبيه إن صدق»؟ ١٦٤
- س ٤٣ : سئل الشيخ : كفر الجهل والتكذيب هل هما قسمان أم قسم ؟ ١٦٥
- س ٤٤ : سئل الشيخ : ما الفرق بين توحيد المراد (الإخلاص) وتوحيد الإرادة (الصدق)؟ ١٦٥

الصفحة

الموضوع

- س ٤٥ : سئل الشيخ : عن التوسل البدعي هل هو شرك؟ ١٦٥
- س ٤٦ : سئل الشيخ : عن رجل دفن في مسجد؟ ١٦٥
- س ٤٧ : سئل الشيخ : عن حديث الضرير الذي رد الله عليه بصره بعد ١٦٥
- س ٤٨ : سئل الشيخ : ما حكم التحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين ١٦٦
- الوضعية؟
- س ٤٩ : سئل الشيخ : ما الفرق بين الفسق الأكبر ، والكفر الأكبر؟ ١٦٦
- وما الفرق بين الفسق الأصغر ، والكفر الأصغر؟ ١٦٦
- س ٥٠ : سئل الشيخ : هل يُغَلَّب المسلم جانب الخوف على الرجاء أو ١٦٦
- العكس؟
- س ٥١ : سئل الشيخ : ما حكم تعليق تميمة من القرآن على الجدار أو ١٦٦
- السيارة؟
- س ٥٢ : سئل الشيخ : ما حكم الغزائم بالقرآن ، وهي كتابة آيات بالزيت ١٦٦
- أو الزعفران في طبق وخلط المكتوب بالماء وشربه؟
- س ٥٣ : سئل الشيخ : ما حكم القراءة على ماء أو طعام وشربه؟ ١٦٧
- س ٥٤ : سئل الشيخ : عن رأيه في شيخ الإسلام إسماعيل الهروي ١٦٧
- ودفاع الإمام ابن القيم عنه . . . ؟
- س ٥٥ : سئل الشيخ : هل يمكن ظهور الملك بصورته لغير الرسل؟ ١٦٧
- س ٥٦ : سئل الشيخ : عن نبوة الخضر ولقمان وذو القرنين؟ ١٦٧
- س ٥٧ : سئل الشيخ : عن صحف إبراهيم وموسى : هل هما شيء ١٦٨
- واحد؟
- س ٥٨ : سئل الشيخ : هل التوراة والإنجيل كلام الله . ١٦٨
- س ٥٩ : سئل الشيخ : ما معنى حديث احتجاج آدم وموسى؟ ١٦٨

الصفحة

الموضوع

- س ٦٠ : سئل الشيخ : ذكر شارح الطحاوية أن الله تعالى لو أراد كوناً . . ١٦٨
- س ٦١ : سئل الشيخ : عن معنى قوله ﷺ : «السعيد من سعد في بطن أمه» . ١٦٩
- س ٦٢ : سئل الشيخ : عن مذهب المعتزلة في الإيجاب على الله تعالى؟ ١٦٩
- س ٦٣ : سئل الشيخ : عن معنى الكسب؟ ١٦٩
- س ٦٤ : سئل الشيخ : عن مشيئة الرب سبحانه ومشيئة العبد؟ ١٦٩
- س ٦٥ : سئل الشيخ : عن مسألة التحسين والتقبيح العقلي؟ ١٦٩
- س ٦٦ : سئل الشيخ : عن موقف الخوارج من الحدود هل يبطّلونها؟ ١٧٠
- س ٦٧ : سئل الشيخ : ما معنى خلود القاتل الوارد في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ ١٧٠
- س ٦٨ : سئل الشيخ : هل الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة؟ ١٧٠
- س ٦٩ : سئل الشيخ : هل الفرق التي قال فيها ﷺ : «كلها في النار» كافرة؟ أم أغير كافرة؟ ١٧٠
- س ٧٠ : سئل الشيخ : عن دعوة العوام للتوحيد؟ ١٧١
- س ٧١ : سئل الشيخ : عن قول الإمام محمد عبد الوهاب في كشف الشبهات في حديث ذات أنواط «فلم يعذرهم بالجهالة»؟ ١٧١
- س ٧٢ : سئل الشيخ : هل الساحر كافر؟ ١٧١
- س ٧٣ : سئل الشيخ : ما حكم من سب صحابياً؟ ١٧١
- س ٧٤ : سئل الشيخ : هل العلم المشترط في شروط (لا إله إلا الله) هو العلم الإجمالي . . . ؟ ١٧٢
- س ٧٥ : سئل الشيخ : سألته عن رأيه في قول الصنعاني في تطهير الاعتقاد (هم كفار أصليون) . . . ؟ ١٧٢

الصفحة

الموضوع

- س٧٦ : سئل الشيخ : عن الكافر الأصلي إذا تلفظ أمامنا بالشهادتين ولا ندري هل يعلم معناهما أم لا ؟ ١٧٢
- س٧٧ : سئل الشيخ : هل يلزم إقامة الحجة على تارك الصلاة حتى يحكم بكفره ؟ ١٧٢
- س٧٨ : سئل الشيخ : الإيمان الركن هل يزيد وينقص كالإيمان الواجب والمستحب ؟ ١٧٣
- س٧٩ : سئل الشيخ : ما حكم المستهزئ بالدين أو ساب الدين أو الرسول ﷺ أو القرآن العظيم هل يكفر ولو كان جاهلاً ؟ ١٧٣
- س٨٠ : سئل الشيخ : ما حكم من قال : القرآن مخلوق ؟ ١٧٣
- س٨١ : سئل الشيخ : عن مسألة فناء النار ؟ ١٧٣
- س٨٢ : سئل الشيخ : هل تكفي إحدى الشهادتين للحكم للشخص بالإسلام ؟ ١٧٤
- س٨٥ : سئل الشيخ : عن خروج جماعة التبليغ لتذكير الناس بعظمة الله ؟ ١٧٤
- س٨٦ : سئل الشيخ : عن رجل قيل له : فعلك هذا محرم . فقال : أنا أعرف أنه حرام ولكن سأفعله ؟ ١٧٤
- س٨٧ : سئل الشيخ : ما الفرق بين قتال المرتدين وقتال تاركي الشرائع ؟ ١٧٤
- القسم الثاني : فتاوى الفقه ١٧٧
- أولاً : فتاوى الطهارة ١٧٩
- س١ : سئل الشيخ : عن التسوك باليد اليمنى أو اليسرى ؟ ١٧٩
- س٢ : سئل الشيخ : عن زيادة مسلم بن إبراهيم «وسواكه» ؟ ١٧٩
- س٣ : سئل الشيخ : هل يصح الوضوء بدون غسل الكف مع غسل ١٧٩

الصفحة

الموضوع

- ١٧٩ اليدين إلى المرفقين؟ أم يكفي غسلهما في أول الوضوء؟
- ١٧٩ س ٤: سئل الشيخ: هل يمسح على الخف الأيسر اليد اليمنى أم باليسرى؟
- ١٧٩ س ٥: سئل الشيخ: هل يجزئ غسل الجنابة عن غسل الجمعة؟
- ١٧٩ س ٦: سئل الشيخ: ما الفرق بين غسل المرأة للجنابة وللحيض؟
- ١٧٩ س ٧: سئل الشيخ: عن طريقة التخلص من الشعر والأظافر؟
- ١٨٠ س ٨: سئل الشيخ: حكم تقصير المرأة شعر رأسها؟
- ١٨٠ س ٩: سئل الشيخ: هل على من وطئ زوجته وهي حائض كفارة؟
- ١٨٠ س ١٠: سئل الشيخ: هل يصح التيمم بالتراب الذي في السجادة؟
- ١٨٠ س ١١: سئل الشيخ: عن أحكام الم سح على الجورين والنعلين؟
- ١٨٠ س ١٢: سئل الشيخ: هل يلزم تحريك الخاتم في الوضوء؟
- ١٨٠ س ١٣: سئل الشيخ: حديث من غسل ميتاً فليغتسل ومن حملة فليتوضأ؟
- ١٨١ س ١٤: سئل الشيخ: ما حكم مس الحائض للمصحف وهي ترتدي قفازاً؟
- ١٨١ س ١٥: سئل الشيخ: هل يعتبر البياض الذي في جاني الصفحة وغلاف المصحف من القرآن...؟
- ١٨١ س ١٦: سئل الشيخ: هل يلزم نزع اللصق الطبي في الوضوء والغسل؟
- ١٨١ س ١٧: سئل الشيخ: عمن لبس فوقاني أم التحتاني؟
- ١٨١ س ١٨: سئل الشيخ: ورد في زيادة لأبي داود على حديث عائشة الذي في الصحيحين كان النبي ﷺ يعجبه التيمن...؟
- ١٨٢ س ١٩: سئل الشيخ: تعلمون ما ورد من النصوص في مشروعية المسح على العمامة...؟
- ١٨٢

الصفحة

الموضوع

- س ٢٠ : سئل الشيخ: تعلمون ما ورد في المسح على القلنسوة فهل إذا
 كان يلبس . . . ؟ ١٨٢
- س ٢١ : سئل الشيخ: عن الزرع الذي يسقى بماء نجس هل له حكم
 الجلالة؟ ١٨٢
- س ٢٢ : سئل الشيخ: عن دم السقط؟ ١٨٣
- س ٢٣ : سئل الشيخ: حكم الرطوبات التي تخرج من فرج المرأة؟
 ثانياً : فتاوى الأذان : ١٨٣
- س ١ : سئل الشيخ: عن تأذين أذانين للجمعة أحدهما قبل دخول
 الوقت؟ ١٨٤
- س ٢ : سئل الشيخ: الأذان خارج المسجد؟ ١٨٤
- س ٣ : سئل الشيخ: متى يقوم الناس إلى الصلاة عند سماع الإقامة؟
 ثالثاً : فتاوى الصلاة : ١٨٤
- س ١ : سئل الشيخ: عن الجمع بين الصلاتين في المطر ، هل يشترط أن
 يكون المطر كثيراً؟ ١٨٥
- س ٢ : سئل الشيخ: هل يتابع المسبوق الإمام إذا زاد ركعة خامسة ؟ ١٨٥
- س ٣ : سئل الشيخ: هل يصح أن يصلي المأموم المغرب خلف إمام يصلي
 العشاء؟ ١٨٥
- س ٤ : سئل الشيخ: عن ائتمام المسافر بالقيم . ١٨٥
- س ٥ : سئل الشيخ: عن الاحتباء في خطبة الجمعة هل يدخل فيها إمساك
 رجل واحدة بيديه؟ ١٨٦
- س ٦ : سئل الشيخ: عن معني كف الثوب ؟ ١٨٦
- س ٧ : سئل الشيخ: عمن لم يدرك الركعة الثانية يوم الجمعة وإنما أدرك

الصفحة

الموضوع

١٨٦

الإمام قبل السلام؟

١٨٦

س ٨: سئل الشيخ: هل يصلي تحية المسجد إذا دخل أثناء أذان الجمعة؟

س ٩: سئل الشيخ: عن رجل بلده مصر وهو يعمل في السعودية فهل

١٨٧

يقصر إذا زار مصر؟

س ١٠: سئل الشيخ: هل يصح أن يصلي ركعتين استخارة عن أمرين

١٨٧

مختلفين؟

١٨٧

س ١١: سئل الشيخ: هل يشرع تكرار الاستخارة؟

س ١٢: سئل الشيخ: هل يشرع رفع اليدين في تكبيرات العيدين

١٨٧

والجنازة؟

١٨٧

س ١٣: سئل الشيخ: حكم الخروج لصلاة العيد في مسيرات؟

١٨٧

س ١٤: سئل الشيخ: التكبير الجماعي في صلاة العيد؟

١٨٨

س ١٥: سئل الشيخ: عن إقامة الصلاة في الميكرفون أفضل أم بدونه؟

١٨٨

س ١٦: سئل الشيخ: وضع المصلي نعله أمامه واتخاذها إياها سترة؟

١٨٨

س ١٧: سئل الشيخ: عن تحريك الأصبع بين السجدين؟

س ١٨: سئل الشيخ: معنى الحديث «كان النبي ﷺ إذا سجد يرصُّ

١٨٨

عقبه» هل يشترط أن يتلامسا؟

س ١٩: سئل الشيخ: عن تحريك الأصبع في التشهد هل يحرك أم يكتفي

١٨٨

بالإشارة بدون تحريك؟

س ٢٠: سئل الشيخ: عن حكم رسم خطوط بالمساجد لتستوي الصفوف

١٨٩

عليها؟

١٨٩

س ٢١: سئل الشيخ: عن بناء البيوت فوق المساجد؟

س ٢٢: سئل الشيخ: حكم تقدم المسبوقين أو تأخرهم قليلاً بعد تسليم

الصفحة

الموضوع

- الإمام لثلا يحسب الداخل أن الجماعة ما زالت قائمة ؟ ١٨٩
- س٢٣ : سئل الشيخ : وقت القيلولة قبل الظهر أو بعده في المتقول من السنة ؟ ١٨٩
- س٢٤ : سئل الشيخ : عن تحية المسجد هل هي سنة أم واجبة ؟ ١٨٩
- س٢٥ : سئل الشيخ : هل يَأثم بتركها ؟ ١٩٠
- س٢٦ : سئل الشيخ : ما حكم من تعمد ترك واجب في الصلاة ؟ ١٩٠
- س٢٧ : سئل الشيخ : إذا خرج من المسجد لحاجة يسيرة ثم رجع . هل تلزمه تحية المسجد ؟ ١٩٠
- س٢٨ : سئل الشيخ : هل تجزئ السنة القبلية عن تحية المسجد ؟ ١٩٠
- س٢٩ : سئل الشيخ : ما حكم من قام من الركعة الثانية إلي الثالثة . . . ١٩٠
- س٣٠ : سئل الشيخ : ما حكم كف الشماع عن الأرض عند السجود ؟ ١٩٠
- س٣١ : سئل الشيخ : في بعض المدارس يأمر المدرسون الطلاب بصلاة ١٩١
- س٣٢ : سئل الشيخ : قراءة بعض سورة السجدة وبعض الإنسان أو السجدة على ركعتين ؟ ١٩١
- س٣٣ : سئل الشيخ : عن حكم قلب الغترة في صلاة الاستسقاء ؟ ١٩١
- س٣٤ : سئل الشيخ : ماذا يقول الإمام عند الجمع لصلاة الكسوف ؟ ١٩١
- س٣٥ : سئل الشيخ : عن حكم تنفل المأموم في مكانه ؟ ١٩١
- س٣٦ : سئل الشيخ : عن حكم صلاة الطلاب جماعة في المدرسة ؟ ١٩٢
- س٣٧ : سئل الشيخ : عندما يصلي الطلاب في المدرسة يخصص . . . ١٩٢
- س٣٨ : سئل الشيخ : هل تسقط الجماعة عن المسجون ؟ ١٩٢
- س٣٩ : سئل الشيخ : لا أدرك قراءة الفاتحة خلف الإمام ؟ ١٩٢
- س٤٠ : سئل الشيخ : مسجد السترة فيه قدام الصف الأول بمسافة . . . ١٩٣

الصفحة

الموضوع

- س ٤١ : سئل الشيخ : ما حكم السترة في الصلاة ؟ ١٩٣
- س ٤٢ : سئل الشيخ : ما تأويل فضيلتكم لحديث « صلى النبي ﷺ بمنى إلى غير جدار » ؟ ١٩٣
- س ٤٣ : سئل الشيخ : في رواية للحديث السابق أوردتها الهيثمي في مجمع الزوائد « صلى إلى غير شيء » ؟ ١٩٣
- س ٤٤ : سئل الشيخ : مريض ترك الصلاة جهلاً . ما حكمه ؟ ١٩٣
- س ٤٥ : سئل الشيخ : ما حكم الصلاة خلف إمام يتوسل بالصالحين أو يشرب الدخان ؟ ١٩٣
- س ٤٦ : سئل الشيخ : ما حكم الصلاة على من مات تاركاً الصلاة ؟ ١٩٣
- س ٤٧ : سئل الشيخ : إذا كان أبوه لا يصلي ؟ ١٩٤
- س ٤٨ : سئل الشيخ : إذا أقيمت الصلاة وهو يصلي نافلة هل يسلم منها ؟ ١٩٤
- س ٤٩ : سئل الشيخ : سواء أكان في أول صلاته أو في آخرها ؟ ١٩٤
- س ٥٠ : سئل الشيخ : ما حكم حلق تلاوة القرآن بعد صلاة فجر يوم الجمعة ؟ ١٩٤
- رابعاً : فتاوى الصيام : ١٩٥
- س ١ : سئل الشيخ : عن رأيه في مسألة لكل بلد رؤيته أم تصوم البلد ١٩٥
- س ٢ : سئل الشيخ : إذا كان مفتي البلد يعمل بالحساب ولم يأخذ بالرؤية ؟ ١٩٥
- س ٣ : سئل الشيخ : صوم الحامل والمرضع ؟ ١٩٥
- س ٤ : سئل الشيخ : ما حكم الأكل أثناء الأذان للفجر في رمضان ؟ ١٩٥
- س ٥ : سئل الشيخ : إذا فاتته صوم الست من شوال لعذر . هل يقضيها ؟ ١٩٥
- س ٦ : سئل الشيخ : عن المسافر بالطائرة إذا غربت الشمس في الأرض ١٩٦

الصفحة

الموضوع

- س٧ : سئل الشيخ : ما معنى صفدت الشياطين ؟ ١٩٦
- خامساً : فتاوى الاعتكاف : ١٩٧
- س١ : سئل الشيخ : عن الاعتكاف على سطح المسجد أو منارته ؟ ١٩٧
- سادساً : فتاوى الزكاة : ١٩٨
- س١ : سئل الشيخ : عن طريقة حساب الحول في رواتب الموظفين ؟ ١٩٨
- س٢ : سئل الشيخ : هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقوداً ؟ ١٩٨
- س٣ : سئل الشيخ : الحليب المجفف في زكاة الفطر ؟ ١٩٨
- س٤ : سئل الشيخ : إذا جمعت صدقات لفقراء معينين ثم اغتنى هؤلاء الفقراء ١٩٨
- س٥ : سئل الشيخ : هل يجوز إقامة مشروع بأموال الزكاة ؟ ١٩٨
- س٦ : سئل الشيخ : إذا كان له زرع وعليه ديون ؟ ١٩٨
- س٧ : سئل الشيخ : هل يجوز إخراج الزكاة بدون تقدير ؟ ١٩٩
- س٨ : سئل الشيخ : حكم تارك الزكاة ؟ ١٩٩
- س٩ : سئل الشيخ : إذا كان لديه أرض يقتنيها ثم نوى بيعها ؟ ١٩٩
- س١٠ : سئل الشيخ : متى ترك الزكاة متعمداً ثم تاب زكّى عن الأعوام ١٩٩
- سابعاً : فتاوى الحج : ٢٠٠
- س١ : سئل الشيخ : عن وجوب الحج على الفور أو التراخي ؟ ٢٠٠
- س٢ : سئل الشيخ : امرأة لبست القفازين في الإحرام جهلاً بالحكم ؟ ٢٠٠
- س٣ : سئل الشيخ : رجل نسي أن يحلق رأسه ولبس المخيط ؟ ٢٠٠
- س٤ : سئل الشيخ : الميقات في العمرة إذا كان سيمر به إلى بلد أخرى كجدة ؟ ٢٠٠
- س٥ : سئل الشيخ : إذا اعتمر في أشهر الحج ثم ذهب إلى أمريكا ٢٠٠

الصفحة

الموضوع

- س٦ : سئل الشيخ : الشخص الذي له مصلحة بمكة وليس مريداً للنسك؟ ٢٠٠
- س٧ : سئل الشيخ : حكم استعمال الصابون ذي الرائحة للمحرم؟ ٢٠١
- س٨ : سئل الشيخ : سفر المرأة بدون محرم؟ ٢٠١
- س٩ : سئل الشيخ : عن رمي الجمرات في الرمي؟ ٢٠١
- س١٠ : سئل الشيخ : عن المبيت بمنى؟ ٢٠١
- س١١ : سئل الشيخ : عن جواز السفر بدون محرم إذا كان السفر بالطائرة ٢٠١
- س١٢ : سئل الشيخ : هل هذا السفر في حكم السفر القصير ؛ لأنه . . . ٢٠٢
- س١٣ : سئل الشيخ : شخص أحرم لطفله من الميقات ثم لم يؤد لها ٢٠٢
- س١٤ : سئل الشيخ : ما حكم السعي في الحج؟ ٢٠٢
- س١٥ : سئل الشيخ : هل يعتبر الزحام في الرمي في هذا الزمن عذراً ٢٠٢
- س١٦ : سئل الشيخ : شخص جامع امرأته بعد تحلله من إحرامه بالعمرة ٢٠٢
- س١٧ : سئل الشيخ : إذا ازدحم الناس فلم يقف بعضهم بعرفة أو المزدلفة؟ ٢٠٣
- س١٨ : سئل الشيخ : ما حكم مكث المرأة في بلدة ما بدون محرم؟ ٢٠٣
- س١٩ : سئل الشيخ : امرأة أحرمت وعندما وصلت مكة حاضت؟ ٢٠٣
- س٢٠ : سئل الشيخ : هل يوجد وداع للعمرة؟ ٢٠٣
- س٢١ : سئل الشيخ : إذا كانت عنده شاه أعدها كأضحية فمرضت . هل ٢٠٣
- ثامناً : فتاوى البيوع : ٢٠٤
- س١ : سئل الشيخ : عن حكم بيع الماء؟ ٢٠٤
- س٢ : سئل الشيخ : عن دفع رiales في البنك وأخذ شيك يرسل ٢٠٤
- س٣ : سئل الشيخ : مبادلة الriالات الورقية بالriالات الحديدية مع ٢٠٤
- س٤ : سئل الشيخ : ما حكم الأرباح من البنوك الربوية؟ ٢٠٤

الصفحة

الموضوع

- س ٥ : سئل الشيخ : الشراء بالتقسيط ممن يعرض للسلعة سعيرين نقداً
وتقسيطاً؟ ٢٠٤
- س ٦ : سئل الشيخ : عن حد الرشوة؟ ٢٠٥
- س ٧ : سئل الشيخ : فقه حديث لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها؟ ٢٠٥
- س ٨ : سئل الشيخ : عن البيع في المسجد؟ ٢٠٥
- س ٩ : سئل الشيخ : البيع والشراء في المقابر؟ ٢٠٥
- س ١٠ : سئل الشيخ : ما حكم من يعمل حارساً أو فرأشاً في مؤسسة
ربوية؟ ٢٠٥
- س ١١ : سئل الشيخ : إذا حولت الحكومة راتبك على بنك ربوي؟ ٢٠٦
- س ١٢ : سئل الشيخ : تحويل المال في البنوك؟ ٢٠٦
- س ١٣ : سئل الشيخ : هل دفع الرشوة جائز؟ ٢٠٦
- س ١٤ : سئل الشيخ : إذا قال تاجر في مصر لشخص يعمل هنا ٢٠٦
- س ١٥ : سئل الشيخ : هل يجوز للمستأجر إذا خرج قبل انقضاء المدة ٢٠٦
- س ١٦ : سئل الشيخ : حكم من اقترض مبلغاً من المال بالجنينة أن يرده
بالريال؟ ٢٠٧
- س ١٧ : سئل الشيخ : رجلان وأمهما في منزل كان قد استأجره أبوهما ٢٠٧
- س ١٨ : سئل الشيخ : إذا اختلط مال شخص بمال آخر وديعة عنده ٢٠٧
- س ١٩ : سئل الشيخ : حكم السلم في العمارات يصف البناء الذي سوف ٢٠٧
- س ٢٠ : سئل الشيخ : بيع سيارة بالتقسيط ويشترط إذا لم يسدد الأقساط ٢٠٧
- س ٢١ : سئل الشيخ : عن الشروط الجزائية؟ ٢٠٨
- س ٢٢ : سئل الشيخ : محل بيع قطع الغيار يبيع العامل فيه القطعة ٢٠٨
- س ٢٣ : سئل الشيخ : عن رجل من البدو اغتصب إبلاً وعندما حضرته ٢٠٨

الصفحة

الموضوع

- س ٢٤ : سئل الشيخ : عن المساهمات في الشركات والبنوك؟ ٢٠٨
- س ٢٥ : سئل الشيخ : ما حكم مبادلة ذهب عيار ١٨ بذهب عيار ٢١ ٢٠٩
- س ٢٦ : سئل الشيخ : بائع الجملة هل يجوز أن يبيع لبعض الناس بسعر
ولبعضهم بسعر آخر؟ ٢٠٩
- س ٢٧ : سئل الشيخ : بعض البنوك يعلن عن نفسه أنه بنك إسلامي ولا ٢٠٩
- س ٢٨ : سئل الشيخ : هل يجوز ترك المال في بنك ربوي كوديعة بدون
فوائد؟ ٢٠٩
- س ٢٩ : سئل الشيخ : هل يجوز بيع حق استعمال الهاتف والذي حصل
عليه من الحكومة؟ ٢٠٩
- س ٣٠ : سئل الشيخ : عن حكم بيع عقود العمل؟ ٢١٠
- س ٣١ : سئل الشيخ : عن حكم التورق (وهو شراء سلعة بالتقسيط
وبيعها نقداً بأقل لغير من اشتراها منه)؟ ٢١٠
- س ٣٢ : سئل الشيخ : عن حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ ٢١٠
- س ٣٣ : سئل الشيخ : بعضهم يتورع عن تجارة الذهب لكثرة المخالفات
فيها؟ ٢١٠
- س ٣٤ : سئل الشيخ : حكم أخذ الذهب بدون دفع قيمته؟ ٢١٠
- س ٣٥ : سئل الشيخ : (خلو الرجل) وتقبيل المحلات؟ ٢١٠
- س ٣٦ : سئل الشيخ : ما حكم البيع والشراء من الكفار؟ ٢١٠
- س ٣٧ : سئل الشيخ : عن أخذ الأجر على الطاعة؟ ٢١١
- س ٣٨ : سئل الشيخ : عن الشروط في العقود اشتراط إكمال المرأة ٢١١
- تاسعاً : فتاوى النكاح : ٢١٢
- س ١ : سئل الشيخ : هل يجوز الزواج بالكتابية؟ ٢١٢

الصفحة

الموضوع

- ٢١٢ س ٢ : سئل الشيخ : عن الزواج من النصارى ؟
- ٢١٢ س ٣ : سئل الشيخ : الذهـب الذي يعطيه الزوج لامرأته ؟
- ٢١٢ س ٤ : سئل الشيخ : ما حكم الزواج بزوجة ثانية ؟
- ٢١٢ س ٥ : سئل الشيخ : رجل رضع من زوجته ؟
- ٢١٢ س ٦ : سئل الشيخ : الرضعات التي تحرم ؟
- ٢١٣ عاشراً : فتاوى الطلاق :
- ٢١٣ س ١ : سئل الشيخ : عن الرجل إذا قال لزوجته : إذا فعلت كذا فأنت
- ٢١٣ س ٢ : سئل الشيخ : عن كفارة الظهار ؟
- ٢١٣ س ٣ : سئل الشيخ : عن انفصال الخاطب عن مخطوبته ؟
- ٢١٣ س ٤ : سئل الشيخ : عن امرأة زوجها تارك للصلاة وشارب للخمر ؟
- ٢١٤ حادي عشر : فتاوى التفسير :
- س ١ : سئل الشيخ : عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ ؟
- ٢١٤ س ٢ : سئل الشيخ : عن قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ؟
- ٢١٤ س ٣ : سئل الشيخ : عن معنى ﴿ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ... ﴾ ؟
- س ٤ : سئل الشيخ : في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ؟
- ٢١٤ س ٥ : سئل الشيخ : عن الفرق بين الكفر والفسوق والعصيان في قوله تعالى : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ ؟
- ٢١٥ س ٦ : سئل الشيخ : عن معنى حديث : «أبى الله أن يجعل لقاتل مؤمن توبة» ؟
- ٢١٥ س ٧ : سئل الشيخ : عن معنى الآية : ﴿ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ

الصفحة

الموضوع

٢١٦

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ؟

٢١٦

س ٨: سئل الشيخ: عن الاستئذان المذكور في سورة النور؟

٢١٧

ثاني عشر: فتاوى الحجاب واللباس:

٢١٧

س ١: سئل الشيخ: عورة المرأة المسلمة على المسلمة؟

٢١٧

س ٢: سئل الشيخ: عن عورة الأمة؟

٢١٧

س ٣: سئل الشيخ: هل يصح أن تترين المرأة بكامل زينتها وهي مغطاة

٢١٧

س ٤: سئل الشيخ: ما تكشفه المرأة لمحارمها؟

٢١٧

س ٥: سئل الشيخ: عن صفة العمامة النبوية؟

٢١٧

س ٦: سئل الشيخ: عن لبس المرأة البنطلون؟

٢١٨

س ٧: سئل الشيخ: هل يصح إهداء الحرير إلى قريب كافر؟

٢١٨

س ٨: سئل الشيخ: ملابس الأطفال المرسوم عليها صور؟

٢١٨

س ٩: سئل الشيخ: عن شراء سجاد به صور؟

س ١٠: سئل الشيخ: إرضاع المرأة طفلها أمام المرأة أو أمام محرم من

٢١٨

محارمها؟

٢١٨

س ١١: سئل الشيخ: عن لباس الشهرة؟

س ١٢: سئل الشيخ: هل لبس البنطلون أو لبس الساعة في اليسار

٢١٨

يعتبر من التشبه بالكفار؟

٢١٩

الثالث عشر: فتاوى الأخلاق وطلب العلم:

٢١٩

س ١: سئل الشيخ: بماذا تنصح طلبة العلم والدعاة؟

٢١٩

س ٢: سئل الشيخ: هل يبدأ بتعلم القرآن قبل غيره من العلوم؟

٢١٩

س ٣: سئل الشيخ: عن حكم تعلم التجويد؟

س ٤: سئل الشيخ: هل تنصح في علم وأحكام بالقراءة في جميع

الصفحة

الموضوع

٢٢٠

العلوم؟

٢٢١

الرابع عشر : فتاوى ذم البدع :

٢٢١

س ١ : سئل الشيخ : عن تخصيص ليلة النصف من شعبان بصيام أو قيام؟

س ٢ : سئل الشيخ : الأيام الفاضلة والأمكنة الفاضلة . هل تخص بزيارة

٢٢١

العبادة ؟ وهل يتضاعف فيها الثواب ؟

٢٢١

س ٣ : سئل الشيخ : المواظبة علي ختم القرآن في التروايح ؟

٢٢١

س ٤ : سئل الشيخ : عن حكم قراءة القرآن جهراً في المحافل والمجامع

٢٢١

س ٥ : سئل الشيخ : عن التزام «صدق الله العظيم» ختاماً للقراءة ؟

٢٢٢

س ٦ : سئل الشيخ : هل هناك بدعة حسنة ؟

٢٢٢

س ٧ : سئل الشيخ : هل هناك حرج في أن يحدد الإنسان لنفسه صلوات

٢٢٣

الخامس عشر : فتاوى متفرقات :

٢٢٣

س ١ : سئل الشيخ : متى يحمل الأمر على الندب والنهي عن التحريم ؟

٢٢٣

س ٢ : سئل الشيخ : هل الاحتجاج بالحديث الضعيف في مسائل

س ٣ : سئل الشيخ : عن معنى حديث : «لا يجزي ولد والده إلا أن

٢٢٣

يجده مملوكاً فيعتقه»؟

٢٢٤

س ٤ : سئل الشيخ : ما هي ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

٢٢٤

س ٥ : سئل الشيخ : عن الفيديو ؟

٢٢٤

س ٦ : سئل الشيخ : عن القصة؟

٢٢٤

س ٨ : سئل الشيخ : عن الحكاية؟

٢٢٤

س ٩ : سئل الشيخ : عن الغيبة ؟

٢٢٥

س ١٠ : سئل الشيخ : اتهام العلماء بعدم الفهم ؟

س ١١ : سئل الشيخ : هل نال فضل الاجتماع على الطعام بالرغم من

الصفحة

الموضوع

- ٢٢٥ استقلال كل واحد بصحن ؟
- س١٢ : سئل الشيخ : عند تدريس التربية الإسلامية للنصارى هل يجوز
- ٢٢٥ س١٣ : سئل الشيخ : الكتب التي تحتوي على صور ؟
- ٢٢٥ س١٤ : سئل الشيخ : عن زواج الجنى بالإنسية ؟ والإنسى بالجنية ؟
- ٢٢٦ س١٥ : سئل الشيخ : عن تشييك اليدين خلف الظهر ؟
- ٢٢٦ س١٦ : سئل الشيخ : عن وقت أذكار المساء ؟
- ٢٢٦ س١٧ : سئل الشيخ : امرأة متزوجة لا ينبت لها شعر في رأسها . هل لها
- ٢٢٦ س١٨ : سئل الشيخ : انتقد بعضهم كتاب بلوغ المرام للإمام ابن حجر ؟
- ٢٢٦ س١٩ : سئل الشيخ : يقولون فيه أحاديث مبتورة غير كاملة ، وفيه
- س٢٠ : سئل الشيخ : هل يجوز الاستشهاد بكافر في المحكمة في قضية
- ٢٢٧ أو الشهادة له ؟
- س٢١ : سئل الشيخ : ما هو الضابط في مسألة الإحسان إلى الكافر
- ٢٢٧ الذمي
- س٢٢ : سئل الشيخ : عن ورقة بن نوفل هل يعتبر صحابياً أو من أهل
- ٢٢٧ الفترة ؟ ولم ؟
- س٢٣ : سئل الشيخ : عن أدب الدعاء ؟
- ٢٢٧ س٢٤ : سئل الشيخ : عن الروائح المخلوطة بالكحول ؟
- س٢٥ : سئل الشيخ : امرأة باق في عدة وفاة زوجها خمسة أيام ومضى
- ٢٢٧ منها أربعة أشهر وخمسة أيام هل يجوز لها الخروج ؟
- س٢٦ : سئل الشيخ : عن أيهما أقل زاد المعاد أم المغني ؟
- ٢٢٨ س٢٧ : سئل الشيخ : عن طريقة التخلص من الورق المكتوب فيه اسم
- ٢٢٨ الله ؟

الصفحة

الموضوع

- س ٢٨ : سئل الشيخ: شخص يلحقه ضرر في ماله إذا لم يشفع له آخر
عند من له سلطة؟ ٢٢٨
- س ٢٩ : سئل الشيخ: هل يلزم تغطية الفواكه والخضروات قبل النوم؟ ٢٢٨
- س ٣٠ : سئل الشيخ: عمَّن سها وترك تغطية الطعام فهل يأكل منه؟ ٢٢٩
- س ٣١ : سئل الشيخ: ما حكم السفر إلى بلاد الكفار للعمل؟ ٢٢٩
- س ٣٢ : سئل الشيخ: ما حكم الأموال التي اكتسبها المسلم من عمله في
بلاد الكفار مع فرض أن إقامته فيها محرمة؟ ٢٢٩

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

تُرَدُّ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي (٢)

فِتَاوَى وَرَسَائِلُهَا

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي

قَرَأَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَبَّاسِي

إِثْقَادُ

وَلِيِّدِينَ إِدْرِيسَ بْنِ مَنَسِيٍّ السَّعِيدِينَ صَاحِبِ عَبْدِ



دَارُ الْفَضِيلَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض: ١١٤٣٣ - ص ب: ١٠٣٨٧

تليفاكس: ٢٣٣٣٠٦٣

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

دُرِّ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيَّيْ (٣)

فِتَاوَى وَرَسَائِلَ

سَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيَّيْ

قَرَأَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَمْرِو بْنِ الْعَبَّاسِيِّ

إِعْدَادُ

السَّعِيدِ بْنِ صَابِرِ عَبْدِ

الجزء الثاني

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعَ
عَنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
السُّلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
تقديم الشيخ محمد عيد العباسي

الحمد لله الذي هدى عباده لطريق الرشاد وأنقذهم بدينه من تيه الضلال والفساد ، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أولي الفضل والسداد . أما بعد . .

فإن من فضل الله على المسلمين أن حفظ لهم الذكر ، وأبقى فيهم في كل عصر ومصر علماء مصلحين يذبّون عن الدين ، ويدفعون بالحجج النيرات والبراهين الساطعات عن حماه عدوان الحاقدين وسهام الشائنين ، مصداقاً لقوله صلوات الله وسلامه عليه : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

- ومن هؤلاء العلماء الأعلام في زماننا الحاضر العلامة الشهير والداعية الكبير الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى الذي توفي من نحو سنتين ، فقد كان له جهود مشكورة في تعليم الناس أحكام دينهم ، والجواب على ما يرد إليه من الأسئلة ، والرد على ما يبلغه من الشبهات التي يثيرها ذوو الأغراض الخبيثة والمقاصد المشبوهة .

- ومن آثاره الطيبة الحميدة ما يتضمنه هذا السفر النفيس الموسوم بـ « فتاوى ورسائل » والذي عرض فيه كثيراً من قضايا التوحيد ، في مقدمة الجزء الثاني من خلال تفسير سورة الفاتحة ، ثم بعد ذلك تعرض في رسالة التوحيد إلى التوحيد وأقسامه ، وتحدث عن سبع مسائل في التوحيد ، ثم تحدث في وجوب الإيمان بالبعث والنشور وبيان شبهتهم في إنكار يوم القيامة ، كما تحدث عن الجنة والنار أنهما مخلوقتان موجودتان الآن باقيتان لاتفنيان ، ورد على الشبهات

والتشكيكات التي يوسوس بها أعداء الإسلام حول هذه القضايا ، لكي يفتنوا بعض الشباب المثقف وغيرهم عن دينهم ، ويزينون لهم القبيح من الرأي ، والسّيء من العمل ، فتعرض رحمه الله إلى هذه الشبهات واحدة واحدة فَرَدَّ عليها ردّاً علمياً مفحماً دحض به شبهاتهم ، وأبطل استدلالاتهم وأبان وجه الحق المنير وجلاله وجعله قرة عين للناظرين ، ثم بعد ذلك تعرض لقضية محبة أصحاب الرسول ﷺ . . . ، ويوجد بالكتاب رسائل كثيرة مثل رسالة حكم تارك الصلاة ، وأحوال العالم الإسلامي وغيرها ، والكتاب مهم لأنه يوجد به فتاوى وآراء لهذا العالم المحقق المدقق الثقة الذي أدعو الله أن يغفر له ويرحمه ويجعله في عليين ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ .

- وقد تطوَّع الأخ الفاضل السعيد بن صابر عبده لنشر آثار الشيخ ، وشمر عن ساعد الجِدِّ ، مُبتَغياً بذلك إن شاء الله خدمة هذا الدين ونشر علومه ، والدِّفاع عنه ، وأداء شيء من حقِّ الشيخ الجليل ، فقام بتفريغ الأشرطة التي سُجِّلَتْ فيها بعض الرسائل التي بداخل الكتاب ، وجمع الباقي من أوراق الشيخ الخاصة وأعدّها للطبع ، ورغب إليّ أن أقوم بمراجعتها وإبداء الملاحظات على العمل الذي قام به ، فقمت بذلك ، ثم كان من توفيق الله وتيسيره أن الأخ الفاضل وليد إدريس وهو من تلامذة الشيخ الفقيد ومن ملازميه في الفترة الأخيرة من حياته ، قام بكتابه ترجمة إضافية للشيخ سجل فيها ذكرياته عنه ، وكثيراً من أخباره ، ونقل طائفة طيبة من أقوال العلماء والفضلاء وطلاب العلم وتلامذته في الشناء عليه ورواية بعض أخباره وشمائله .

وبالإضافة إلى ذلك فقد سجل الأخ وليد مجموعة من الفتاوى والأجوبة التي أجاب فيها الشيخ عن أسئلة وردت إليه ، مما خصه بها أو اطلع عليها ولم

تنشر ، فضمها إلى الترجمة .

وقد اتفق رأي الأخوين الكريمين الأخ السعيد ، والأخ الوليد على أن يضمّا عملهما بعضه إلى بعض ويصدرا ما جمعا وكتباه في هذا الكتاب القيم ، وأن يخصّ الجزء الأول لما كتبه الأخ وليد من ترجمة الشيخ وما جمعه من فتاويه، وتخصّص الأجزاء الباقية وهي نحو الثلاثة لما جمعه الأخ السعيد من الرسائل والفتاوى ، كما قام الأخ السعيد بالتعليق على الكتاب كله وتخرّيج آياته وأحاديثه بشكل مختصر .

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - كان على قدم راسخة في أنواع العلوم الشرعية من العقائد، والفرق ، والفقه، والأصول ، والتفسير ، والحديث، والآثار، والعلوم العربية بأنواعها، بالإضافة إلى الاطلاع الواسع على واقع المسلمين وواقع العالم المعاصر ، كما أوتي ذكاءً وقادراً وذاكرة قوية ، وفهماً ثاقباً ساعده على التحقيق في الأمور المعضلة ، والفصل في الأمور المشكّلة ، فلم يكن جماعاً للمعرفة فقط ، وإنّما محققاً مدققاً كالقلة من العلماء الذين كانوا يخوضون في لجج العلم ، ويستخرجون منها كنوز الفوائد ونفيس الفرائد .

كما يحسن أن نشير في هذه المقدمة إلى أن الشيخ العفيفي طيب الله ثراه كان - مثل إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله - يرى كراهية التأليف ، ويرى أنه يكفي المسلمين اليوم العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فحسب فينهلوا منها ، ويستضيئوا بهداهما ، ويستعينوا على فهمهما بما كتبه علماء السلف في ذلك . ويرى أن ما كتبه السلف كاف وواف ، وأن ما يكتبه المعاصرون إنّما هو إعادة له أو تشويه لجماله ، وأكثره غثاء لا طائل تحته .

وبناءً على ذلك أقول : إن ما نقدمه في هذا الكتاب - على جودته وحسنه - لا يمثل ما كان عليه الشيخ من العلم الغزير ، والثقافة الواسعة ، والتحقيق المتين ، وسببه ما قدمته من رأيه في التأليف ، ولذلك فهو مقتصد فيه إلى حد كبير ، بل إنه كان لا يسمح بالكتابة عنه . ولو كان يسجل كل ما يعلمه لأتى بالعجب العجائب ، ولما وسعته عشرات المجلدات .

وها نحن نقدم للقارئ الكريم هذا الأثر النفيس لفقيدنا الغالي راجين أن يجد فيه ما يقوي ثقته بدينه ، وما يتسلح به لردّ عدوان المشككين ، والمتحاملين على سنة خير المرسلين عليه أزكى الصلاة والتسليم ، وما يعرفه بجهود العلماء سلفاً وخلفاً وأقدارهم .

- رحم الله الشيخ الجليل وجزى الله خيراً كل من دعا إلى الحق ، ودافع عنه ونشره ، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

الرياض في : ٢٣ / ٤ / ١٤١٧ هـ

وكتبه

محمد عيسى العباسي

رَفَعُ

عبد الرحمن بن العباس
أبو بكر بن العباس

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ آل
عمران : ١٠٢ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
(١) ﴿ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله
عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،
وكل ضلالة في النار .

اعلموا رحمكم الله أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ،
ولا سعادة في الدارين الدنيا والآخرة ، ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ،
إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به ، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل
له وأخذ عليهم الميثاق به ، وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ، ولأجله
خلقت الدنيا ، والآخرة ، والجنة والنار ، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة ، وفي
شأنه تنصب الموازين وتتطير الصحف ، وفيه تكون الشقاوة والسعادة ، وعلى

حسب ذلك تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأنه رب كل شيء جل في علاه وهو الإله الواحد الصمد وتوحيده بذلك، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل، بمتابعة كتابه ورسوله، والعمل على وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها، ولا شفاء للقلوب والأرواح، ولا حياة طيبة إلا بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُحْشَرُونَ﴾ (١). ولم ينج الله تعالى من عذابه ولم يكتب رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَال عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢)(٣).

فليت شعري أيها المسلم الحبيب هل في الوجود شيء أجل وأعلى،

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢٠ - ٢٤.

(٢) الأعراف، الآية ١٥٦، ١٥٧.

(٣) من مقدمة معارج القبول للحافظ الحكمي رحمه الله (بتصرف يسير).

وأشرف ، وأسمى ، وأكمل ، وأعظم من خالق الأشياء كلها ، ومكملها ، ومزينها ، ومدبرها ، ومرتبها ، ومبديها ، ومعيدها ، والاشتغال به سبحانه عما سواه ومحبه وطاعته ومعرفته جل وعلا .

وإنه مما يعلمه المسلم العاقل جيداً أن أفضل وأصح الطرق الموصلة للصالح والفلاح في الدنيا والآخرة ، وسفينة النجاة هو الحرص على هذا العلم الشريف - الذي هو كما يقول عنه الإمام ابن القيم - رحمة الله عليه - : حياة القلوب ونورها ومتى فاتها شقيت في الدارين الدنيا والآخرة .

وبلا شك وفي هذه الفترة الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية وتتطلع فيها كثير من العقول ، وتهفو النفوس إلى عودة الأمة الإسلامية الرشيدة التي تقوم على مثل ما قامت به من قبل ، في العهد الأول المبارك الرباني عهد نبينا محمد ﷺ ، وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

فإنه من الأمور التي لا مرأى فيها أن نهضة أي مجتمع متخلف لا تتم إلا بمثل الظروف التي تم بها ميلاده ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ومن هنا ومن وراء ذلك كان الهدف الأسمى من هذا الكتاب - والله من وراء القصد - والذي نسأل له القبول في الدنيا والآخرة - إيماناً منا بأهمية هذا الباب الذي كثر فيه الراغبون وتطلع إليه دعاة الحق وطلاب العلم المجتهدون ، ولقد عز المطلوب ونדר ، وقل النفع بكثير مما هو موجود فكان الهدف من هذا الكتاب ، الذي يحتوي على فتاوى ورسائل قل أن تجد في هذا الزمن مثلاً ، وانطلاقاً من هذا المفهوم كان حرصنا على نشر العلم النافع فمن الله علينا بمجموعة علمية فريدة لعالم من علماء الأمة المعاصرين ، الذين قل أن تجد مثلهم في هذا الزمان الذي قل فيه العلم والعمل ، وقد رحل عنا رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان ، وترك خلفه ثروة علمية تدل على سعة علمه ، ودقة نظره

وشمول معارفه ، وتلك الآثار ما زالت حبيسة الأدراج والشرائط . إنه سماحة الشيخ المحقق العلامة المدقق عبد الرزاق عفيفي الأثري السلفي [المصري نزيل الرياض] رحمه الله تعالى عضو هيئة كبار العلماء ، ونائب رئيس اللجنة الدائمة للإفتاء بالملكة العربية السعودية إلى أن توفي رحمه الله ، وأكرم الله مثواه وجزاه خير ما يستحق ، الذي وهب حياته للعلم ، والإفتاء ، وفي إفادة طلاب العلم بل والعلماء ، فهو لا يخفى على من له صلة بالعلم والعلماء - أنه ذو جهد قل من تجد في هذا الزمان مثله في دأبه وحرصه على نفع طلاب العلم والعلماء . ويكفي ما وصفه به شيخنا العلامة الألباني حفظه الله تعالى بأنه : [من أفاضل العلماء ، ومن القلائل الذي نرى منهم سمت أهل العلم وأدبهم ، ولطفهم ، وأناهم وفقههم] (١) .

ولقد كان الشيخ رحمه الله تعالى يتورع عن كثرة التأليف في حياته تورعاً منه وخشيته لله رب العالمين ، ورغبة منه في عكوف السالكين على الوحيين الشريفين الكتاب والسنة ، وكتب سلفنا الصالح من العلماء الربانيين .

ولما كان هذا الباب وهو باب الإفتاء من أعظم أبواب الدين ، وأخطرها على الناس أجمعين رأينا نشر هذا الكتاب الذي هو أثر من آثار هذا العلامة - رحمه الله - فهو مجموعة من الفتاوى المتنوعة والرسائل وغيرها ليكون أول إصدار من آثار الشيخ رحمه الله تعالى ، والذي سيليه إن شاء الله إصدارات أخرى عما قريب بإذن الله ، نسأل الله تيسيرها - ليهتدي بها الحائرون الذين كثيراً ما تخططوا في ظلمات الجهل بسبب من أفتوا بدون علم فضلوا وأضلوا ، أو الذين أفتوا بدون دليل ، ولا حق من التنزيل ، فأوقعوا بذلك عليهم العذاب الأليم ، ولو قالوا : لا أدري لكان لهم بذلك من الله الثواب الجزيل ، ليهتدوا بهدي هذا العالم الرباني

(١) مجلة الأصالة ، العددان الثالث عشر والرابع عشر .

في الإفتاء الذي كان دائماً يحرص على الدليل الصحيح من الوحيين الشريفيين أو من أدلة الإفتاء المعروفة لدى أهل العلم والعلماء ، فرحمة الله الواسعة عليه ، وعسى الله أن يرزق الأمة الإسلامية علماء أمثاله عما قريب ويخلف عليها خيراً ، فإنه كما هو معروف أن موت العالم ثلثة لا تسد ، وكما ذكر النبي ﷺ في حديثه « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ففسلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »^(١) . والذي دعا بأبي هو وأمي - بالنضارة لمن سمع شيئاً منه فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع في حديث آخر أخرجه أبو داود وصححه الترمذي وابن حبان .

فله در أقوام ، أعظم الله لهم الثواب ، وطابت الدنيا بذكراهم بعد الممات ، أحياء غير أموات .

وإننا لنسأل الله التيسير والقبول في الدنيا والآخرة في هذا العمل الذي نسأل الله فيه الإخلاص ، راجين من المولى عز وجل أن يعم النفع به وإن كان الواحد منا لا يخلو من تقصير ولا يرضى من نفسه بالقليل .

ولم أقض من حق العلم إن كان كلما

بدا طمع صَيَّرته لي سلماً

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي

لأخدم من لا قيت لكن لأخدم

ولكن عزائنا في ذلك دعاء من أخ صادق لنا ، أن يرحمنا المولى عز وجل ، ويغفر لنا ، ولوالدينا ولمن علمنا ، والدعاء والرحمة لهذا العالم الرباني الجليل

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

رحمة الله الواسعة عليه ، وإني لأرجو من طلاب العلم الناصحين ، وألتمس ممن
يبتغي بذلك الثواب الجزيل النصيحة من ملاحظة في هذا الكتاب أو غيره إن شاء
الله أو توجيه أو اقتراح .

فإذا رأيت عيأً فسدً أخلاً
جل من لا عيب فيه وعلا

وأخيراً وإني لأسأل الله عز وجل أن يرزق هذه الأمة أمر رشدي عز فيه أهل
طاعته ، ويُذل فيهم أهل معصيته ، ويتبوأ فيه العلم والعلماء مكانتهم اللائقة
بهم ؛ والتي أوصى بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي - ، وأن
ينزل الناس فيه العلماء ، وطلبة العلم منازلهم ، واعذرونا فإن الحديث من
قلب طالما تألم من غلبة الجهل والظلم .

فعدراً إن عرفت اليوم الحان الشجينا

وإن أسرفت في التبيان عما بات يُدْمِننا

بنا يعلو منار الحق في الدنيا .. ويعلينا

وقد بذلت جهداً في تجميع آثار الشيخ ، واتبعت في ذلك ما يلي :

١ - تفريغ الأشرطة الصوتية .

٢ - معالجة ما فيها من العبارات ؛ مما يحتاج إلى التصحيح ، أو حذف التكرار ، أو
وضع البديل لما لم أستطع إدراكه من العبارات ، وهو قليل ، ثم ترتيبها
وتنسيقها وتصحيحها .

٣ - قمت بتخريج الأحاديث الواردة في هذا الكتاب ، واكتفيت بالعزو إلى
الصحيحين ، أو أحدهما إن لم يكن فيهما جميعاً ، وما لم يكن في أحدهما
اجتهدت في تخريجه من بقية كتب السنة ومصنفات الحديث ، مع ذكر أقوال

الأئمة الحفاظ حول الحديث صحة وضعفاً.

٤ - علّقتُ على بعض المواضع بالتعليقات المناسبة المتممة للبحث في المسألة بما يحتاج إليه المقام .

وقد قسمت الكتاب إلى خمسة فصول :

الفصل الأول : رسائل في التوحيد :

(أ) ثمان مسائل في التوحيد . (ب) مباحث .

(ج) أسئلة موجهة للشيخ للإجابة عليها .

(د) التعريف بأهل السنة وتميزهم عن الفرق الإسلامية .

(هـ) مقالات للمؤلف نشرت في المجلات الإسلامية .

الفصل الثاني : الصلاة :

(أ) حكم تارك الصلاة .

(ب) أسئلة موجهة للشيخ للإجابة عنها في الصلاة .

الفصل الثالث : مباحث في القرآن :

(أ) نقل القرآن تواتراً ووصوله إلينا خطأ وكتابة .

(ب) وضول القرآن إلينا تواتراً بطريق الكتابة . (ج) جمع القرآن .

(د) حكم القراءة بالأحرف السبعة .

الفصل الرابع : رؤية لأحوال العالم الإسلامي .

الفصل الخامس : الشعر والاتجاهات البلاغية .

وأخيراً ، أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب مصنفه ، وخادمه ، وناشره ، وقارئه ، وأن يجعلها ذخراً للجميع في الدنيا والآخرة ، إنه جواد كريم . وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، من لم يشكر الناس لا يشكر الله ، فإنني أتوجه بالشكر لكل من ساعدني في إبداء ملاحظة أو اقتراح في هذا الكتاب ، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ محمد عيد العباسي ، الذي أعطاني من وقته وجهده لقراءة الكتاب ومراجعتها ، فجزاه الله عني وعن الشيخ خير الجزاء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

وكتب

السَّعِيدُ بْنُ صَابِرٍ عَبْدَهُ

عفا الله عنه

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الأول

رسائل في التوحيد

تفسير مختصر لسورة الفاتحة (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ (٢) .

هذه السورة تسمى سورة الفاتحة ، وتسمى أم القرآن ، وهي جملة فصلت القرآن كله ، تشتمل على تبين الأسماء والصفات في الآيات الثلاث الأولى ، وتشتمل على تبين العبادة في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، وفي الدعاء الذي في ختام السورة ، وتشتمل على الولاء والبراء في قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .

وهي على قصرها تشمل المطالب التي جاء القرآن بتفسيرها مما ذكرت من الأنواع الثلاثة .

ففي مطلع هذه السورة يعلمنا الله جل شأنه كيف نحمده . ونثني عليه الثناء كله فقال سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

ثم علمنا كيف نمجده بقوله سبحانه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

ثم علمنا أن نخصه بالعبادة لا نصرف منها شيئاً إلى غيره سبحانه
فنعبده بما شرع ، وكما شرع ، ونخلص له في ذلك كما أمرنا سبحانه بقوله
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا
أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ .
وقال سبحانه معلماً لنا أن نقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بمعنى أن لا
نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك .

ثم علمنا كيف ندعوه ونضرع إليه ، ونطلب منه ما فيه سعادتنا في
الدنيا والآخرة ، وما يصلنا به ويقوي الصلة بين المؤمنين به ، وكيف نتبرأ ممن
حاد عن طريقه فغضب عليه وأضله عن سواء السبيل ، فأمرنا أن نقول
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ﴾ والمغضوب عليهم هم كل من علم ، وكان على بينة من أمر دينه ،
وعلى بينة من الحق وبصيرة منه ، ومع ذلك حاد عنه ولم يسلك الطريق
الحق ، فكل من كان على هذا النحو فهو ممن غضب الله عليهم .

ومن أول هؤلاء اليهود الذين عرّفوا الحق وحادوا عنه ، وقد سئل بعض
اليهود عن الرسول عليه الصلاة والسلام فيما بينه وبين قومه فقالوا : إنا
نعلم أنه رسول أكثر مما نعرف عن نسبنا لأبينا ، فنسبه لأبيه قد يكون مدخولاً ،
أما البينة الصريحة الصحيحة فهي مثبتة لرسالة نبينا محمد ﷺ فهو على بينة
من رسالة النبي ﷺ ، ومعرفته بذلك أقوى من معرفته بنسبه لأبيه ، ومع
ذلك حاد عن الطريق المستقيم .

هؤلاء الذين كانوا على بينة من الحق ومعرفة به ثم حادوا عنه يقال لهم المغضوب عليهم، ومن الأضلين في هذا اليهود عليهم لعائن الله .

أما الضالون فهم كل جماعة جهلت الحق وطريق الصواب ، وكانت في أمر عملها على غير بصيرة من دينها ، ويمثل هؤلاء النصاري ، فهم الضالون كما ورد هذا في حديث عن النبي ﷺ : بين أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصاري^(١) .

وهذا من التفسير الجزئي أي من باب التمثيل لمن غضب الله عليهم ، والتمثيل لمن أضلهم الله عن سواء السبيل .

والآيات الأخيرة بينت الطائفة التي تجب مؤالاتها ، والسير في طريقها ومؤاخذاتها ، وهم الذين سلكوا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين فهؤلاء رفقاء الخير وطريقهم طريق الحق والصواب ، وهم الذين يجب على المسلم أن يواليهم ، وأن ينشد طريقهم ، وأن يسلك سبيلهم رجاء أن يرحمه الله جل شأنه في الدنيا والآخرة .

أما الفريق الثاني فهو الذي يجب البراءة منه ، وهم الفريق المغضوب عليه ، والفريق الضال لسواء السبيل .

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى حديث عدي بن حاتم الذي أخرجه الإمام أحمد [٧٨٣ / ٤ ، ٣٧٩] والترمذي [٢٩٥٤] وغيرهما وهو حديث حسن أو صحيح من مجموع طرقه . انظر التسهيل لتأويل التنزيل في تفسير الفاتحة للشيخ مصطفى العدوي - حفظه الله تعالى [١٢٥ ، ١٢٦] .

هؤلاء هم الذين يجب على المسلم أن يتبرأ منهم ، عقيدة وعملا ، وأن يمتلئ قلبه ببغضهم إلا بمقدار ما يدعوهم إلى الحق ، ويبين لهم الصواب لأن البلاغ واجب ، ولا بد منه ، إقامة للحجة ، وإعذاراً إليهم حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد البلاغ والبيان .

هذه السورة جاء في فضلها حديث قدسي وأحاديث نبوية ، أما الحديث القدسي الذي قسمها أقساماً ، وأشار إلى معناها إجمالاً ، وبين الكثير من فضلها ، ومكانتها من الإسلام فقد قال فيه النبي ﷺ عن ربه : « قال الله تعالى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ (يريد بالصلاة الفاتحة) (١) .

قَسَمْتُ الصَّلَاةَ أَيِ الْفَاتِحَةِ ، بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ ، ولعبدِي ما سأل .

فإذا قال العبد : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله تعالى : حمدني عبدي .

وإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قال الله تعالى أثني علي عبدي .

(١) قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، أخرج مسلم [١٠١ / ٤ - ١٠٢] نووي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أثني علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين قال : مجدني عبدي ، وقال : مرة فوضني عبدي ، فإذا : قال إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدِي مَا سَأَلَ ، فإذا قال : إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال : هذه لعبدِي ولعبدِي مَا سَأَلَ .

وإذا قال : ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال الله تعالى : مجدني عبدي .

وإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله : هذه بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبي ما سأل .

يريد بالنصف الأول خطابه تعالى عباده بقوله : إياك نعبد وإياك نستعين علمهم أن يقولوا : إياك نعبد ، فهذا حق الله من عباده .

ويريد من النصف الثاني الذي لعبده . ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نستعين إلا بك فهذا حق العبد على ربه أن يستجيب منه إذا دعاه ، وأن يحقق رجاءه فيه في حدود مصلحته وما يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة .

وإذا قال العبد : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ إلى آخر السورة . قال الله تعالى : هذه لعبدي ولعبي ما سأل .

فسمى الله سبحانه هذه السورة الصلاة إيداناً بأنها ركن من أركان الصلاة .

ولذلك لا تصح صلاة المسلم إلا إذا قرأ الفاتحة (١) في الصلاة الجهرية ،

(١) أخرج البخاري (٧٥٦) ، ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وأخرج مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام فقل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام فقال : اقرأ بها في نفسك . . الحديث » .

والسرية إماماً ، ومنفرداً ومأموماً هذا هو الرأي الصحيح عند فقهاء المسلمين وأئمتهم ، لا تجزئ الصلاة ولا تصح من المصلي إذا لم يقرأ فيها فاتحة الكتاب ، لأن الله جل شأنه سماها الصلاة ، فجعلها نفس الصلاة إيداناً منه سبحانه ، بأن لها شأنها في إقام الصلاة وإجزائها .

هذه السورة فيها إثبات لأسماء الله وصفاته ، وإلى ذلكم الإشارة في الآيات الأولى .

فقد سمي الله نفسه باسمه الذي لا يُسمى به غيره ، وهو كلمة الله ، ثم وصف لفظ الجلالة بأنه الرب للعالمين جميعاً ، الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات ، والجمادات من سماوات وأراضين ، رب العالمين جميعاً .

ثم وصف نفسه بأنه الرحمن الرحيم وسمى نفسه بذلك .

ثم وصف نفسه سبحانه بأنه مالك يوم الدين ، ويوم الدين هو يوم القيامة ، فكما ملك الدنيا وصرفها ودبرها على مقتضى حكمته ، وعلى طبق علمه سبحانه وتعالى ملك الآخرة ، وهي دار الجزاء ليجزى فيها كل نفس بما عملت من خير أو شر .

فهذا فيه إشارة إجمالية إلى صفات الجلال والكمال التي وصف الله تعالى نفسه بها .

ثم ذكر حق عباده عليه ، وحقه على عباده ثم ختم السورة بالولاء

والبراء، ليبين لنا من يجب علينا أن نواليه وأن نؤاخيّه، ومن يجب علينا أن نعاديه، وأن نتنكر طريقه، فإنه طريق السوء والشر طريق الهلاك والتبار.

هذه السورة ورد في فضلها عن النبي ﷺ أنه دخل المسجد يوماً ما فوجد أبا سعيد بن المعلى يصلي نافلة، فنادى فحار أبو سعيد بن المعلى، هل يجيبه أو يستمر في صلاته، وغلب جانب الاستمرار في صلاته طاعة لله، وإيثاراً لجانبه، ولما انتهى من صلاته جاء إلى النبي ﷺ إستجابةً لندائه، وإن كان بعد فترة، فقال له: يا أبا سعيد ألم أنادك فقال: بلى ولكنني كنت أصلي، قال له: إن الله تعالى قال في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١) فبين له أنه كان يجب عليه أن يجيب النبي ﷺ، ولكن أبا سعيد آثر جانب الاستمرار في صلاته اجتهاداً منه، فله الأجر عند الله على عمله واجتهاده.

ثم قال له: يا أبا سعيد لأعلمنك سورة من القرآن هي أفضل القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم^(٢). ثم سكت النبي ﷺ ولم يعلمه، لم يعجل بتعليمه السورة وأخذ في طريقه إلى باب المسجد فلما

(١) سورة الأنفال، الآية رقم ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤)، وفي عدة مواضع من صحيحه وأبو داود (٣٥١)، والنسائي (١٣٩/٢) وغيرها.

اقترب من باب المسجد قال له أبو سعيد: يا رسول الله ألم تقل لأعلمنك سورة هي كذا وهي كذا؟ فقال: بلى ثم قال له: هي سورة الفاتحة وقرأ قوله تعالى: ﴿ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ (١).

﴿ولقد أتيناك سبعا من المثاني﴾ الآيات السبع التي تكونت منها سورة الفاتحة، سميت مثاني لما فيها من الثناء على الله جل شأنه، ولأنها تتكرر قراءتها في كل ركعة من ركعات الصلاة، فلتكرارها في الصلاة في كل ركعة، ولاشتمالها على الثناء على الله سُميت في نص القرآن السبع المثاني ﴿ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ وهذا من عطف العام على الخاص، ويدخل فيه سورة الفاتحة.

فهي سبع آيات من آيات القرآن، وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿والقرآن العظيم﴾. وهي أفضل القرآن.

فهذا بيان من النبي ﷺ لفضل الفاتحة، ولمكانتها عند الله جل شأنه، مع كونها كلام الله، وكلام الله خير الكلام، وفضل كلام الله على كلام البشر كفضل الله على عباده، وشتان ما بين الله وبين عباده فالفرق شاسع.

وكذلكم الفضل واسع ولا يقدر قدره إلا الله، كما لا يقدر قدر الله إلا الله فلا يقدر قدر كلامه إلا هو، ولا يقدر قدر الفاتحة خاصة إلا الذي تكلم بها وأنزلها على رسوله ﷺ.

فهذا من فضائل الفاتحة التي بينها الرسول ﷺ ، كما بين فضلها الله سبحانه في الحديث القدسي الذي ذكرناه .

ومما جاء في فضل الفاتحة والانتفاع بها ، الرقية بها حتى ولو كان من رُقِي بها كافراً ، فقد ثبت في حديث البخاري ^(١) أن سرية من سرايا النبي ﷺ أرسلها الرسول ﷺ في مهمة فنزلت في طريقها على قوم من الكفار عتاة

(٢) أخرج البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء فيهم لديغ - أو سليم - فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راق ؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب الله أجراً ، = حتى قدموا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ، أخذ على كتاب الله أجراً ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله » .

وأخرج البخاري (٥٧٤٩) حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن أبي المتوكل « عن أبي سعيد أن رهطاً من أصحاب رسول الله ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا في حي من أحياء العرب ، فاستضافوهم فأبوا أن يُضيفوهم . فلدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء . فقال بعضهم : لو أتيتهم هؤلاء رهط الذين قد نزلوا بكم ، لعلَّه أن يكون عند بعضهم شيء . فأتوهم فقالوا : يا أيها رهط ، إن سيدنا لدغ ، فسعينا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم شيء ؟ فقال بعضهم : نعم ، والله إني لراق ، ولكن والله لقد استضافناكم فلم تُضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً . فصالحوهم على قطع من الغنم . فانطلق فجعل يتفل ويقرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ حتى لكأنما نشط من عقال ؛ فانطلق يمشي . قال : فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه . فقال بعضهم : اقسمو . فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى تأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا . فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ، فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ أصبتم ، اقسمو واضربوا لي معكم بسهم » .

فاستضافوهم فأبى أولئك الكفار أن يضيفوا صحابة رسول الله ﷺ لما بينهم وبين أولئك الصحابة من العداوة والبغضاء ، وما في قلب الإنسان يظهر في أعماله ، وعلى جوارحه وفي فلتات لسانه .

فهؤلاء قابلوا استضافة الصحابة رضي الله عنهم بالتنكر لهم ، فذهب عنهم صحابة رسول الله ﷺ .

وجزاء لهم على موقفهم السيئ من الصحابة رضوان الله عليهم ، وعقوبة لهم سلط الله على سيدهم حشرة لدغته ، فطلبوا له العلاج بكل ما يستطيعون فلم يفلحوا ، واضطروا إلى أن يذهبوا إلى صحابة رسول الله ﷺ في منزلهم الذي نزلوا فيه ، ليستعينوا بهم على علاج لذيغهم ، وقالوا لهم القصة إنا طلبنا له العلاج في شيء فلم نصل إلى شيء فهل عندكم من علاج؟ فقال أبو سعيد الخدري ، وهو تقريباً أصغرهم سنًا ، لكنه يحفظ الكثير من القرآن قال : والله إن عندي له علاجًا ، ولكنني لست بفاعل حتى تجعلوا لنا جُعلاً فإننا استضفناكم فلم تضيفونا ، فجعلوا لهم جُعلاً علي أن يأتي أبو سعيد إليه ليقوم بعلاجه ، والشفاء بيد الله لا بيد أبي سعيد الخدري ، وذهب معهم إلى اللدغ ، وقرأ عليه سورة الفاتحة مرة واحدة فقام كأنما هو جمل نُشط من عقال ، كأنما هو جمل حلَّ عقاله والجمل معروف عنه عند العرب ، بأنه قوي فإذا حلَّ عقاله ، وكان أمامه أقوى رجل دفعه ب صدره فوق على ظهره ، وليس به بأس كأنه لم يلدغ ، فأعطوهم الجُعْل ، وكان قطيعاً من الغنم ، وكان يكفي الصحابة أعداد قليلة من الغنم لكن رزقهم الله هذا الرزق الواسع . ثم ارتابوا وقالوا فيما بينهم : قد يكون هذا

كسباً غير حلال ، والصحابة رضوان الله عليهم عُرِفَ فيهم التحرى للكسب الحلال ، وعرف فيهم الصلاح ، وتقوى الله سبحانه وتعالى ، فقالوا لا نأكل حتى نسأل رسول الله ﷺ .

فلما رجعوا سألوا الرسول ﷺ فقال لأبي : سعيد ما يدريك أنها رقية؟ فقال شيء ألقاه الله في روعي ، والرُوع القلب والرُوع بالفتح الخوف .
فإبراهيم لما جاءته الملائكة وأوجس خيفة منهم أخذه روع ، وأخذته المخافة ثم ذهب عنه الروع لما عرف حقيقة الأمر .

القصد أن الرُوع الخوف والرُوع هو القلب ، فقال أبو سعيد هذ شيء ألقاه الله في روعي ، وهذا مثل ما يلقي في قلب بعض الطيبين ، بأن فلاناً سوف يأتي من السفر إحساس باطني لا يفيد اليقين لكنه يدفع الإنسان إلى أن يتحدث عما جال في خاطره وإن كان لا يسمى علماً لكنه هو اجس وخواطر تجول في صدره ولا يسمى علم غيب .

فالرسول ﷺ قال لهم جواباً عن سؤالهم هل هذا من الكسب الحلال أو الكسب الحرام ؟ قال: « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » يريد بهذا أن العلاج قد يكون بالكى ، وقد يكون بسحب السم من اللديغ من المكان الذي لدغ فيه .

وكيف يسحب السم منه ، يُشَرَطَ جلده فيخرج الدم ، أو يُمتص طبيًا ، وقد يكون برقيه ، وقد يكون بدعوة له ، وهناك أنواع كثيرة للعلاج ، منها الرقية بقراءة القرآن التي ترتب عليها الشفاء ، وصاحبها أحق من الشخص

الذي يعالج علاجاً مادياً مثل الطبيب أو غيره .

فهذا بيان من النبي ﷺ لمشروعية الرقية بالفاتحة .

وهذا بيان لنتيجة الرقية التي بها شفاء هذا وإن كان كافراً .

وليس المراد بهذا الحديث أن يأخذ الإنسان أجراً على تلاوة القرآن مثل الصييت^(١) أو أن يأخذ أجراً على قراءة القرآن على الأموات ، فإن هذا لم يفعله رسول الله ﷺ ، وهو معلم البشر ، وهو المبلغ عن ربه سبحانه وتعالى .

فقراءة القرآن على الأموات رجاء أن يرحمهم الله بدعة من البدع ، وأخذ أجر على تلاوة القرآن أيضاً لا يجوز .

والكفار الذين أعطوا الصحابة قطيعاً من الغنم ، لم يعطوهم إياه حباً للقرآن أو حباً فيه ، أو حباً للقارئ ، وللمسلمين وللإسلام ، بل القرآن أبغض إليهم من كل شيء ، والصحابة أبغض إليهم من كل شيء ، ورسولهم أبغض إليهم من كل شيء ، ومع ذلك دفعوا الأجر فالأجر ليس للتلاوة وإنما هو للعلاج . ولم يدفعوا الأجر إلا بعد الشفاء لأنهم جعلوه على الشفاء - لا على التلاوة .

فالاستدلال بهذه الجملة من الحديث على جواز تلاوة القرآن ، على الأموات رحمة لهم ، أو الاستدلال بها على مجرد تلاوة القرآن وأخذ أجر

(١) الصييت هو الذي يقرأ القرآن بعد وفاة الميت سواء في المنزل أو في مكان يجتمع فيه الناس لل عزاء وسماع هذا الصييت .

عليه لاستماع الناس إليه ، لا يجوز ولا يصح وهو من تحريف الكلم عن مواضعه ، وهذا من فوائد هذا الحديث إلى جانب الفائدة الجليلة التي بينها النبي ﷺ بين بها منزلة القرآن ومكانته من غيره من القربات ، بل مكانته من سائر القرآن .

هذا بيان لجانب آخر من جوانب فضيلة سورة الفاتحة ، وذكرت من قبل فضيلتها وأنها جُعِلت فرضاً في كل من ركعات الصلاة^(١) بخلاف السورة التي بعدها فإنها من سنن الصلاة لو تركها المصلي تكون صلاته صحيحة ، أما الفاتحة فلو تركها كانت صلاته باطلة .

والقرآن كله خير وفضله على كلام البشر كفضل الله على عباده ، وأسأل الله جل شأنه أن يبصرنا بديننا ، وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، وأن يجعله لأرواحنا دواء ، وأن يجعله مصدر تشريعنا ، يستميل قلوبنا إليه حتى لا نُحْكَمَ سواه وسوى سنة رسوله ﷺ ، فإن من أخذ بهما أخذ بالحق ، وكان على بينة وبصيرة من أمر دينه مع ربه ومع المخلوقات ، وكان حبيباً لله في الدنيا والآخرة سعيداً في دنياه وفي آخرته .

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١٥ .

رَفَعُ

عبد الرحمن (الرحمن) (الرحيم)
(سبحانه) (عليه) (الصلوة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله
وصحبه . وبعد :

فهذه جملة مسائل في التوحيد ، قد كتبها الشيخ رحمه الله ، وتشتمل
على ثمان مسائل وأربع مباحث :

المسألة الأولى: إثبات أن العالم ممكن .

المسألة الثانية: الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر .

المسألة الثالث: في إثبات وجوب الوجود لله - سبحانه وتعالى - .

المسألة الرابعة: في أنواع لتوحيد .

المسألة الخامسة: في الفرق بين النبي والرسول وبيان النسبة بينهما .

المسألة السادسة: في حاجة البشر إلى الرسالة .

المسألة السابعة: في إمكان الوحي والرسالة .

المسألة الثامنة: المعجزة والفرق بينها وبين السحر .

والمباحث هي:

أ - مبحث في العرش والكرسي ، وإثبات صفة العلو لله جلا وعلا .

ب - وجوب الإيمان بالبعث والنشور وبيان شبهتهم في إنكارهم يوم
القيامة .

ج - مبحث في أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن وأنهما
باقيتان لا تفنيان .

د- مبحث في محبة أصحاب رسول الله ﷺ وموالاتهم والرد على الروافض والنواصب .

أولاً : مقدمة في تعريف التوحيد وبيان الحكم وأقسامه

١ - تعريف علم التوحيد :

التوحيد لغة : جعل المتعدد واحداً ، ويُطلق على اعتقاد أن الشيء واحد متفرد ، ويطلق شرعاً على ما تفرّد الله بالربوبية والإلهية ، وكمال الأسماء والصفات .

وعلم التوحيد يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال ، وما يستحل عليه من كل ما لا يليق به ، وما يجوز من الأفعال ، وعما يجب للرسول والأنبياء ، وما يستحيل عليهم ، وما يجوز في حقهم ، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة ، والملائكة الأطهار ، ويوم البعث والجزاء ، والقدر والقضاء ، وفائدته تصحيح العقيدة ، والسلامة في العواقب ، ونيل السعادة في الدارين ، واسمه : «علم التوحيد، وعلم أصول الدين» .

٢ - بيان الحكم وأقسامه :

الحكم إثبات أمر لأمر ، أو نفيه عنه . مثاله : محمد رسول الله ، ومسيلمة ليس برسول .

وينقسم إلى ثلاثة أقسام : عقلي ، وشرعي ، وعادي .

* فالعقلي إثبات أمر لأمر ، أو نفيه عنه بناء على تفكير دون توقف على شرع ، ولا تجربة أو تكرار . مثاله : الله موجود ، لا إله إلا الله .

* والشرعي إثبات أمر لأمر ، أو نفيه عنه بناء على وحي من الله مثل :

الصلوات الخمس فريضة على المكلفين ، ولا يجوز شرب الخمر .

*** والعادي** إثبات أمر لأمر ، أو نفيه عنه بناء على تجربة أو تكرار مثل :
الأمطار تكثر بالشواطئ .

**** وينقسم الحكم الشرعي إلى تكليفي** : كوجوب الزكاة ، وتحريم القمار ، واستئذان ركعتي الفجر ، وكراهية الأكل باليسار ، وإباحة الطيبات من الطعام ، والشراب ، واللباس ونحوها .

ووضعي : كسببية دخول الوقت لوجوب الصلاة ، وشرطية الطهارة لصحتها ، وكمنع الجنون من وجوبها ، والحدث من صحتها ، ومن ذلك :
الصحة ، والفساد ، والرخصة ، والعزيمة .

**** وينقسم العادي إلى أربعة أقسام** :

ربط وجود بوجود ، كربط الشبع بالأكل ، و**ربط عدم بعدم** : كربط عدم المطر بعدم السحاب ، و**ربط وجود بعدم** : كربط البرد بعد اللباس والغطاء ، و**ربط عدم بوجود** : كربط عدم الصحة بوجود ميكروب المرض .

**** وينقسم الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام** : الوجوب ، والاستحالة ، والجواز .

فالواجب : هو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء لذاته : كثبوت العلم ، والقدرة ، والمحبة ، والرضا ، والوجه ، واليدين ، ونحوها من الكمالات لله ، فإنها صفات ثابتة له - تعالى - لا تقبل الانتفاء .

والمستحيل : هو المنفي الذي لا يقبل الثبوت : كشريك الباري ، والجمع بين النقيضين ، ورفعهما ، والجمع بين الضدين .

والجائز : ويقال له : « الممكن » هو ما يقبل الوجود والعدم :
 كالمخلوقات التي نشاهدها ، فإنها كانت معدومة فقبلت الوجود ، ثم بعد
 وجودها فهي قابلة للعدم . « وقد يطلق الواجب على الأمر الثابت من حيث
 تعلق علم الله بشبوته ، وإن كان ممكناً في ذاته » . ويسمى الواجب لغيره ،
 كوجود إنسان على كيفية معينة في عصر معين ، فإن وقوعه على تلك الصفة
 في ذلك العصر واجب ، باعتبار تعلق علم الله به كذلك ، وإن كان ممكناً في
 ذاته .

وقد يُطلق المستحيل على أمر معدوم يجوز أن يوجد لكنه امتنع وجوده
 لتعلق علم الله ببقائه على عدم ، ويقال له : المستحيل لغيره .

والذي يحتاج إليه من أقسام الحكم في مباحث التوحيد ، وعليه تدور
 مسائله ، الحكم العقلي .

أما الشرعي : فيبحث عنه في علم الفقه ، وأصوله ، وفي الأخلاق ،
 وآداب السلوك .

وأما العادي : فله اتصال وثيق بالكونيات ، وسنن الله فيها ، وما يُجرية
 البشر عليها من التجارب ، وما يُستفاد منها بالتكرار .

ومعنى كون الوجوب والاستحالة والجواز حكماً عقلياً أنها لازمة لما
 حكم له بها ، لا تقبل التخلف عنه ولا الانفكاك ، فقولنا : الله عليم وحكيم ،
 والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، والضدان لا يجتمعان ، قضايا لا
 تختلف أحكامها كما تختلف الأحكام العادية إكراماً من الله لأوليائه ، أو
 إثباتاً لرسالة رسله ، وكما تختلف الأحكام الشرعية الفرعية بنسخ أو
 استثناء ، وليس المراد أنها تثبت بالعقل دون نصوص الشرع ، فإن نصوص

الشرع قد جاءت بأصول الدين، وكشفت للعقل عما خفي عليه، وقصر عن إدراكه من تفاصيل عقائد التوحيد، وسلكت به طريق الحق، وهدته إلى سواء السبيل.

ولولا ما جاء فيها من البيان لارتكس العقل في حماة الضلالة، وقام للناس العذر، وسقط عنهم التكليف، قال الله - تعالى - : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١). وقال : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٢). وقال : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نُنْذِلَ وَنَخْزِي﴾ (٣). بل جاءت الرسل بما تُحار في إدراك حقيقته العقول، وتعجز عن فهم كُنْه الأفكار: كسؤال الميت في قبره، ونعيمه، وعذابه، وحياة أهل النار في النار، ولكنها لا تحيله، ولا تقوى على رده، ولا تجد لديها من الأدلة الصحيحة ما ينقضه، بل وصلت العقول بتيسير الله لها، وهدايته إياها إلى ما يصدق هذا، وأمثاله مما جاءت به الرسل، ووقفت بما أتاح الله لها من الوسائل، وسخر لها من الكون، وهداها إليه من التجارب على حقائق سبق أن أنكرتها، وسخرت ممن تحدث بها، وربما رمته بالسحر، والكهانة، أو الخيال، والجنون.

وليس ذلك لشيء أكثر من أنها لم تقع تحت حسها، ولم تكن من إلفها، ومعهودها، فوجب أن تعترف بقصورها، وأن تقر بأن إدراكها غاية لا تعدوها، وحداً تقف عنده، وتؤمن بما صرح من وحي الله لرسله، وأن

(١) سورة الإسراء، الآية : ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية : ١٦٥.

(٣) سورة طه، الآية : ١٣٤.

تسلم وجهها إلى الله ، فإن اتهمت فلتتهم نفسها بالقصور والتقصير ، دون أن تتهم الله ورسله ، فإنها بذلك أولى ، وهي به أقعد .

قال - تعالى - : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٤ ﴾ (١) .

فإن حجب الإنسان بعد ذلك ركوبه لرأسه ، لجهالة ، أو كبر ، أو هوى في نفسه ، وحاول بالباطل ليدحض به الحق ، غلب على أمره ، ودارت عليه الدوائر . قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝٥٦ ﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ ﴾ (٢) .

وقال - تعالى - : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٥٨ ﴾ (٣) .

(١) سورة فصلت ، الآيتان : ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) سورة غافر ، الايتان : ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مسائل ومباحث في التوحيد

المسألة الأولى

إثبات أن العالم ممكن

إنَّ ما شاهدناه في ماضينا من الكائنات ، وما نشاهده منها في حاضرنّا ممكن : أي جائز الوجود، والعدم ؛ وذلك لأنّا نراه يتحوّل من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم ، وهذا التغير والتحوّل دليل إمكانه ، إذ لو كان واجباً لما سبق وجوده العدم، ولما لحقه فناء ، ولو كان مستحيلًا لما قبل الوجود لأن المستحيل لذاته لا يوجد ، وحيث إنّنا قد شاهدناه موجوداً بعد عدم ثبوت أنه ممكن .

المسألة الثانية

الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر

وحيث ثبت أن العالم ممكن، والممكن ما استوى طرفاه - الوجود والعدم - بالنسبة إلى ذاته، فوجده ليس من ذاته، وعدمه بعد وجوده ليس من ذاته، إذن لا بد له من سبب يرجح وجوده على العدم، إذ لو وجد بدون سبب خارج عن ذاته وحقيقته للزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر بلا مرجح، وهو باطل؛ ولو أوجد الممكن نفسه للزم من ذلك أن يكون متقدماً على نفسه باعتباره خالقاً لها، ومتأخراً على نفسه باعتباره مخلوقاً لها، وتقدم الشيء على نفسه، وتأخره عنها محال بالضرورة لما فيه من التناقض الواضح، فثبت أن الممكن لا بد له من موجد غير ذاته وحقيقته، يوجد ويدبر شئونه في كل أحواله، هذا المغاير: إما المستحيل، وإما الواجب، لا جائز أن يكون موجه هو المستحيل، لأن المستحيل غير موجود فلا يؤثر، ولأن فاقده الشيء لا يعطيه. فثبت أن موجه هو الواجب، وهو الله - تعالى - وقد أرشدنا الله - تعالى - إلى ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم.

قال - تعالى - : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (١).

فقد أنكر - سبحانه - أن يكونوا قد خلقوا بلا خالق، وأن يكونوا قد خلقوا أنفسهم، فإذاً لا بد لهم من خالق موجود مغاير لهم وهو الله - تعالى - .

ومن ذلك يتضح اتفاق الفطرة، والعقل السليم والسمع، على أن العالم محتاج إلى صانع، ومستند إلى موجد أوجده.

المسألة الثالثة

في إثبات وجوب الوجود الله

- سبحانه وتعالى -

إن لفظ الوجود، ومعناه المطلق، يشترك فيهما كل من الممكن والواجب، والحادث والقديم الأزلي، فالله يُوصف بأنه موجود، والحادث يُقال له - أيضاً - : إنه موجود، ولكن للممكن وجود يخصّه، فإنه حادث سبق وجوده عدم، ويلحقه الفناء، وهو في حاجة دائمة ابتداءً، وداماً، إلى من يكسبه، ويعطيه الوجود، بل يحفظه عليه، ولله - تعالى - وجود يخصّه، فهو - سبحانه - واجب الوجود لم يسبق وجوده عدم، ولا يلحقه فناء، ووجوده من ذاته لم يكسبه من غيره .

وذلك لأنه - تعالى - الغني عن كل ما سواه، وبذلك جاء السمع، وشهد العقل . أما السمع : فمنه قوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ (١) .

وأما العقل : فبيانه أنه - تعالى - لو كان مستحيل الوجود لم يصح أن يستند إليه الممكن في حدوثه بداهة ، لأن المستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده ، وفاقد الشيء لا يُعطيه .

ولو كان ممكناً لافتقر في حدوثه إلى من يرجّح وجوده على عدمه لما تقدّم ، فإن استمرت الحاجة ، فاستند كل في وجوده إلى نظيره من الممكنات لزم إما الدور القبلي (٢) ، وإما التسلسل في المؤثرات إلى ما لا

(١) سورة الحديد، الآية : ٣ .

(٢) الدور السبقي ، ويقال له القبلي : هو توقف الشيء على ما توقف عليه ، وهو =

نهاية، وكلاهما محال . وإذا انتفى عنه الإمكان . والاستحالة ثبت له الوجوب ضرورة . لأن أقسام الحكم العقلي ثلاثة ، وقد انتفى اثنان ، فتعين الثالث ، وهو الوجوب فالله - تعالى - واجب الوجود .

* وقد أرشدنا الله إلى ذلك في كثير من الآيات .

منها قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

=قسمان : مصرح ، ومضمر .

فالمصرح ما كانت الوسطة فيه واحدة ، مثاله كأن يقال مثلاً : خالد أوجد بكرة ، وبكر أوجد خالداً ، فبكر متوقف في وجوده على خالد ثم خالد توقف في وجوده على بكر والوسطة واحدة وهي بكر .

ويقال له : هذا دور بمرتبة . فإن تعددت المراتب كانت بحسبها ، وهذا الدور باطل لما يلزمه من التناقض ، إذ يلزمه أن يكون الشيء سابقاً مؤثراً لا مؤثراً إلخ . بل يلزم أن يكون الشيء نقيض نفسه ضرورة المغايرة بين المتقدم والمتأخر ، والأثر والمؤثر . أما الدور المعني مثل توقف الأبوة على البنوة ، والبنوة على الأبوة ، فجائز . لأنه من باب الإضافات ، وهي اعتبارية لا وجود لها ، والتسلسل هو ترتب أمور بعضها على بعض بحيث يكون كل متأخر منها يتوقف في وجوده على سابق عليه . يكون علة له في وجوده إلى غير نهاية ، ويسمى هذا النوع التسلسل في العلل ، وفي المؤثرات ، وهو باطل باتفاق العقلاء لما يلزمه من عدم وجود شيء من الحوادث ، وهذا باطل بالمشاهدة .

وقد عرف السعد^(١) في «شرح المقاصد» الدور ، والتسلسل بعبارة جامعة لهما فقال : هما أن يتوالى عروض العلية والمعلولية لا إلى نهاية ، بأن يكون كل ما هو معروض للعلية معروضاً للمعلولية ، ولا ينتهي إلى حالة تعرض له العلية دون المعلولية ، فإن كانت المعروضات متناهية ، فهو الدور بمرتبة إن كان اثنين ، وبمراتب إن كانت المعروضات فوق اثنين وإلا فهو التسلسل .

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، سعد الدين ، من أئمة العربية ، والبيان ، والمنطق ، ولد بتفتازان عام ٧١٢ هـ ، وأقام بسرخس وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند وتوفي فيها عام ٧٩٣ هـ . له مصنفات عديدة .

وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾

* وهذه الآية ، وإن سبقت للاستدلال على توحيد الألوهية الذي تقدم قبلها في قوله تعالى : ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) . إلا أنها تدلّ دلالة قاطعة على توحيد الربوبية ، فإن استحقاقه - تعالى - للعبادة ، واختصاصه بها فرع عن وجوده ، وانفراده بالخلق ، والتدبير ، والتصريف ، والتقدير .

ومنها قوله - تعالى - : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾
إلخ الآيات من سورة الواقعة (٣) .

* فهذه الآيات ، وإن ذكرت لتنزيه الله - تعالى - وتقديسه عما ظنه به منكروا البعث ، وسيقت لإثبات قدرته على المعاد . كما يرشد إليه ما قبلها من الآيات ، فهي دليل - أيضاً - على وجوب وجوده - تعالى - لاستناد ما ذكر في الآيات من المخلوقات إليه . وحدوثه بقدرته ، ولا يعقل ذلك إلا إذا كان واجب الوجود .

* فمن نظر إلى ما ترشد إليه هذه الآيات ، ونحوها من سنن الله في العالم نظراً ثاقباً ، وفكر في عجائب خلقها ، وحسن تنسيقها ، وشدة

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٦٣ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيات :

أسرها تفكيراً عميقاً ، وبحث في أحكامها ، وبديع صنعها بحثاً بريئاً من الهوى ، والحمية الجاهلية ، وأنصف مناظره من نفسه ، فلم يمنعه من فهم ما عرض عليه من الحق ، والإذعان له كبر يرديه ، ولا عناد يطغيه ، اتضح له طريق الهدى . واضطره ذلك أن يستيقن النتيجة ، ويؤمن من أعماق قلبه ، بأن للعالم رباً خلاقاً فاعلاً مختاراً حكيماً في تقديره ، وتديره أحاط بكل شيء علماً ، وهو على كل شيء قدير .

ومع قيام الدليل ، ووضوح السبيل ، تعامى فرعون موسى عن الحق ، وتجاهل ما استيقنته نفسه ، وأنكر بلسانه ما شهدت به الفطرة ، دلَّ عليه العقل من وجود واجب الوجود ، فأقام موسى عليه الحجة ، بدلالة الأثر على المؤثر والصنعة على الصانع ، ووجود العالم ، وعظم خلقه على وجود الخالق ، وعظيم قدرته ، وسعة علمه ، وكمال حكمته ، فغلبه بحجته . وذلك بين واضح فيما حكاه الله عنهما من الحوار ، والسؤال ، والجواب :

قال تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِمَنْ حَوْلُهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْإِلَهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (١) .

*** فانظر كيف وقف موسى موقف من يصدع بالحق ، ويقيم عليه البرهان ؟**

*** وكيف وقف فرعون من موسى موقف السفهاء ، لا يملك إلا الشتم ، والسباب ، والسخرية ، والاستهزاء ، والتهديد بأليم العذاب ؟!! .**

وقال - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا . قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (١) .

وقال - تعالى - : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢) .

وإن فرعون حينما أخذته الحجة ، وانتصر عليه موسى ، لم يبق بيده سلاح إلا التمويه على قومه ، وإنذار موسى ، ومن آمن به أن يذلهم ، ويذيقهم العذاب الأليم .

وأتى له ذلك ! والله من ورائهم محيط ؟! وقد كتب على نفسه أن يجعل العاقبة للمتقين .

وقال - تعالى - : ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (٣) .

* وقد ورث ذلك الزيغ ، والإلحاد أناس ظهروا في عصور متعاقبة بأسماء مختلفة ، واشتهروا بألقاب متنوعة .

* فتارة يسمون بالدهرين : وأخرى برجال الحقيقة ، ووحدۃ الوجود . وأحياناً بالشيوعيين ، وأخرى بالوجوديين : (اللقب الجديد) وآونة بالبهايين .

إلى غير ذلك من العبارات التي اختلفت حروفها ومبانيها ، واثلت مقاصدها ، واتحدت معانيها ، فكلها ترمي إلى غرض واحد ، وتدور حول

(١) سورة الإسراء ، الآيتان : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) سورة النمل ، الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١٠٣ .

محور واحد ، هو أنه ليس للعالم رب يخلق ويدبر ، وليس له إله يُعبد ويُقصد .

✽ وبكما تقدم من دليل حاجة الممكن إلى موجد ، ودليل وجوب وجوده - تعالى - يظهر لك فساد مذهبهم ، وخروجه عن مقتضى النظر ، وموجب العقل ، وما يصدق ذلك ، ويؤيده من أدلة السمع .
فإن زعم زاعم منهم بعد ذلك ، أن وجود العالم وليد الصدفة والاتفاق .

أو أنه نشأت أطواره عن تفاعل بين عناصر المادة ، فتفرقت إلى وحدات بعد اجتماع ، أو اجتمعت ، وائتلفت بعد تفرق ، واختلاف . وصار لتلك الوحدات ، أو المركبات من الخواص ما لم يكن لها قبل هذا التفاعل ، وبذلك تجددت الظواهر ، وحدث ما نشاهده من تغيير ، وآثار مع جريانها على سنة لا تتبدل ، وناموس لا يختلف ، ولا يتغير .

✽ قيل له : من الذي أودع تلك المادة طبيعتها ، وأكسبها خواصها ، فإنها إن كانت لها من ذاتها ، ومقتضى حقيقتها لم تقبل التغير والزوال لأن ما بالذات لا يتخلف ولا يزول ، وقد رأيناها تتبدل ، فلا بدّ لها من واهب يهبها ، وفاعل مختار حكيم عليم يدبرها ، ويضعها في محالّها ، وليس ذلك من المادة وحدها ، ولا من خواصها ، أو طبيعتها القائمة بها ، فإنها ليس لها من سعة العلم ، وكمال الحكمة ، وشمول المشيئة ، وعظيم القدرة ما ينتظم معه الكون على ما نشاهد من إحكام تبهر العقول دقته وجماله ، ومن إبداع يأخذ بمجامع القلوب مافيه من شدة الأسر ، وقوة الربط بين وحداته ، وكمال التناسب ، والتكافؤ بين أجزائه ، وقيام كل من الآخر مقام الخادم من سيده ، والراعي من رعيته .

✽ ألا إن الطبيعة صمّاء لا تسمع ، بكماء لا تنطق ، عمياء لا تبصر ، جاهلة لا تعلم ، مسخرة لمن أودعها المادة ، خاضعة لتصرفه وتقديره ، سائرة على أرسم لها من سنن لا تعدوها ، ونواميس لا تخرج عنها ، فأنى يكون لها

خلق وإبداع أو إليها تنظيم وتدبير أو منها وحي وتشريع؟ إنما ذلك إلى الله وحده، تعالى الله عما يقول الملحدون : ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ (١).

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥).

* ولا يعيب الحق بعد ذلك أن يتنكب طريقه من مسخت فطرته، واتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه، وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، ولا يضير الدعاة إلى الحق أن عدل عن طريقه المستقيم من انحرف مزاجه، أو غلبته شهوته، فخشى أن تحدد الشريعة من نزعاته الخبيثة، وتحول دون وصوله إلى نزواته الدنيئة، أو أطغاه كبره وسلطانه، وخاف أن تذهب الشريعة بزعامته الكاذبة، وسلطانه الجائر، فوقف في سبيلها، ولج في خصامها بغياً وعدواناً فإن الله ناصر دينه، ومؤيد رسله، وأوليائه.

﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣).

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٤).

﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٥).

(٢) سورة الملك، الآية : ١ - ٥.

(١) سورة الإنسان، الآية : ٢٨.

(٣) سورة الحج، الآية : ٤٠ [.

(٥) سورة الشعراء، الآية : ٢٢٧.

(٤) سورة القتال، الآية : ٧.

المسألة الرابعة

في أنواع لتوحيد

أنواع التوحيد ثلاثة :

١ - توحيد الربوبية .

٢ - توحيد الأسماء والصفات . ويقال له أيضاً : توحيد الخبر ،
وتوحيد المعرفة والإثبات .

٣ - توحيد العبادة ويسمى - أيضاً - : توحيد الإلهية ، وتوحيد الإرادة
والقصد ، وتوحيد الطلب .

أولاً : توحيد الربوبية

* أما توحيد الربوبية : فهو توحيد الله - تعالى - بأفعاله والإقرار بأنه
خالق كل شيء ومليكه ، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير .

فهو الذي يحيي ويميت ، وهو الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وهو
الذي يرسل الرسل ، ويشرع الشرائع ، يحق الحق بكلماته ، ويقيم العدل بين
عباده شرعاً وقدرأ إلى غير ذلك مما لا يُحصيه العدّ ، ولا تُحيط به العبارة .
وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الفطرة ، وقام عليه دليل السمع والعقل ،
ولم يعرف عن طائفة بعينها القول بوجود خالقين متكافئين في الصفات
والأفعال . ومن نقل عنهم من طوائف المشركين نسبة شيء من الآثار
والحوادث لغير الله ، كقوم هود ، حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم :

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ (١) . فإن ما نسبوه إلى آلهتهم
إنما كان لزعمهم أنها وثيقة الصلة بالله ، وأنها شفيعة لمن عبدها ، وتقرب

(١) سورة هود ، الآية : ٥٤ .

إليها بالقرايين عند الله ، في جلب النفع له ، ودفع الضرر عنه .

ومن أجل هذه الشائبة من الشرك في الربوبية نبّه الله على بطلانه ، وأنكر على من زعمه فقال - تعالى - : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ . عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

فبين - سبحانه - أنه لو كان معه إله يشركه في استحقاقه العبادة لكان له : خلق ، وملك ، وقهر ، وتدبير . إذ لا يستحق العبادة إلا من كان كذلك ، ليرجى خيره ونفعه ، فيطاع أمره ، وينفذ قصده ، ويخشى بأسه وبطشه . فلا يُعتدى على حدوده ، ولا يُنتهك حماه ، ولو كان له خلق ، وتدبير ، وملك ، وتقدير لعلا على شريكه ، وقهره إن قوي على ذلك ليكون له الأمر وحده ، ولذهب بخلقه ، وتفرد بملكه دون شريكه . إن لم يكن لديه القوة والجبروت ما يفرض به سلطانه على الجميع . فإن من صفات الرب - تعالى - كمال العلو ، والكبرياء ، والقهر ، والجبروت . وفي معنى هذه الآية قوله - تعالى - :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (٢) .

* إذا كان المعنى المراد لاتخذوا سبيلاً إلى مغالبتة . وقيل : المعنى لاتخذوا سبيلاً إلى عبادته ، وتأليهه ، والقيام بواجب حقه . وابتغوا إلى رضاه سبيلاً . كما قال - تعالى - : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٩١ ، ٩٢ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٢ .

مَحْذُورًا ﴿١﴾ .

* وقد استخلص بعض العلماء من ذلك دليلاً سموه : دليل التمانع ، استدلوأ به على توحيد الربوبية . قالوا : لو أمكن أن يكون هناك ربان يخلقان ، ويدبران أمر العالم لأمكن أن يختلفا بأن يريد أحدهما وجود شيء ، ويريد الآخر عدمه ، أو يريد أحدهما حركة شيء ، ويريد الآخر سكونه ، وعند ذلك إما أن يحصل مراد كل منهما ، وهو محال . لما يلزمه من اجتماع النقيضين ، وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر فيكون الذي نفذ مراده هو الرب دون الآخر لعجزه ، والعاجز لا يصلح أن يكون رباً .

ثانياً : توحيد الأسماء والصفات

* وأما توحيد الأسماء والصفات : فهو أن يسمى الله ويوصف بما سمي ووصف به نفسه ، أو سمَّاه ، ووصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ، ولا تأويل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل .

ومن تبصّر في العالم ، وعرف شئونه وأحواله تبين له كمال تعلقه خلقاً وأمراً بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ، وارتباطه بها أتم ارتباط ، وظهر له أن الوجود كله آيات بينات ، وشواهد واضحة على أسماء الله ، وصفاته .

وقد ذكر (ابن القيم) في : «مدارج السالكين» طريقتين لإثبات الصفات :

١ - الوحي الذي جاء من عند الله - تعالى - على لسان رسوله ، ﷺ .

٢ - الحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة قال - رحمه الله تعالى -
في بيان الطريق الأول :

« فأمّا الرسالة فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه أزال الشبهة ، وكشف الغطاء ، وحصل العلم اليقين ، ورفع الشكّ المريب ، فثلجت له الصدور ، واطمأنت به القلوب ، واستقر به الإيمان في نصابه .
فصلت الرسالة الصفات ، والنعوت ، والأفعال ، أعظم من تفصيل الأمر والنهي ، وقرّرت إثباتها أكمل تقرير . فما أبلغ لفظه وأبعده من الأجمال ، والاحتمال ، وأمنعه من قبول التأويل ، ولذلك كان التأويل آيات الصفات ، وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد ، وأخباره . بل أبعد منه . لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب : «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» . بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها ، كتأويل آيات الأمر والنهي سواء ، فالباب كله باب واحد ، ومصدره واحد ومقصده واحد ، وهو إثبات حقيقتها ، والإيمان بها .

وكذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم . وقالوا : فعلنا فيها ، كفعل المتكلمين في آيات الصفات ، بل نحن أعذر . فإن اشتمال الكتب الإلهية على الصفات ، والعلوم ، وقيام الأفعال أعظم من نصوص المعاد للأبدان بكثير ، فإذا ما ساغ لهم تأويلها ، فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد!

وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الأمر ، والنهي ، وقالوا : فعلنا فيها ، كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها وتنوعها . وآيات الأحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية . قالوا : وما يظن أنه معارض من العقليات لنصوص الصفات ، فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه ، وأقوى منه .

* وقال متأولو آيات الأحكام على خلاف حقائقها ، وظواهرها ، والذي سوغ لنا هذا التأويل القواعد التي اصطلحتموها لنا ، وجعلتموها أصلاً نرجع إليه ، فلما طردناها كان طردها أن الله ما تكلم بشيء قط ، ولا يتكلم ، ولا يأمر ، ولا ينهى ، ولا صفة تقوم به ، ولا يفعل شيئاً .

* وطردها الأصل لزوم تأويل آيات الأمر ، والنهي ، والوعيد ، والثواب ، والعقاب ، وقد ذكرنا في كتاب الصواعق أن تأويل آيات الصفات ، وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين ، وزوال الممالك ، وتسليط أعداء الإسلام عليه إنما كان بسبب التأويل . ويعرف هذا من له اطلاع ، وخبرة بما جرى في العالم .

ولهذا يحرم العقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم بصحته ، لأنه سبب لفساد العالم ، وتعطيل للشرائع . ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، فإنها وردت على وجه لا يحتمل التأويل بوجه . فانظر إلى قوله - تعالى - :

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ (١) . هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب - جل جلاله - بإتيان ملائكته وآياته ؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً في أنه إتيانه بنفسه !

وكذلك قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . إلى أن قال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (٢) .

ففرق بين الإيحاء العام ، والتكليم الخاص ، وجعلهما نوعين ، ثم

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٨ .

(٢) سورة النساء ، الآيات : ١٦٣ ، ١٦٤ .

أكد فعل التكليم بالمصدر الرفع لتوهم ما يقوله المحرفون . كذلك قوله :
 ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا﴾ (١) .

فنوع تكليمه إلى تكليم بواسطة ، وتكليم بغير واسطة ، وكذلك قوله
 لموسى ، عليه السلام :

﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (٢) . ففرق بين الرسالة ،
 والكلام . والرسالة إنما هي بكلامه . وكذلك قول النبي ، ﷺ : «إنكم ترون
 ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس بينه سحاب وكما ترون
 الشمس في الظهيرة صحوً ليس دونها سحاب» (٣) .

ومعلوم أن هذا البيان ، والكشف ، والاحتراز ينافي إرادة التأويل
 قطعاً ، ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين .

الطريق الثاني : من طرق إثبات الصفات دلالة الصفة عليها ، فإن
 المخلوق يدل على وجود خالقه ، وعلى حياته ، وعلى قدرته ، وعلى
 علمه ، ومشيتته . **فإن الفعل الاختياري** يستلزم ذلك استلزاماً ضرورياً . فما
 فيه من الإتيان ، والإحكام ، ووقوعه على أكمل الوجوه يدل على حكمة
 فاعله وعنايته ، وما فيه من الإحسان ، والنفع ، ووصول المنافع العظيمة إلى
 المخلوق يدل على رحمة خالقه ، وإحسانه ، وجوده ، وما فيه من آثار
 الكمال يدل على أن خالقه أكمل منه ، فمعطي الكمال أحق بالكمال .

(١) سورة الشورى ، الآية : ٥١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٤ .

(٣) «مختصر صحيح مسلم» (٨٦) و«صحيح الجامع الصغير» (٦٩٠٥) عن أبي هريرة -
 رضي الله عنه - .

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٢١ .

وخالق الأسماع ، والأبصار ، والنطق أحق أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً .

وخالق الحياة ، والعلوم ، والقدر ، والإرادات أحق بأن يكون هو كذلك في نفسه ، فما في المخلوقات من أنواع التخصيصات هو من أدل شيء على إرادة الرب - سبحانه - ومشيئته ، وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الإجابة عقيب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات ، وعلى سمعه لسؤال عبده ، وعلى قدرته على قضاء حوائجهم ، وعلى رأفته ورحمته بهم ، والإحسان إلى المطيعين ، والتقرب إليهم ، والإكراه لهم ، وإعلاء درجاتهم يدل على محبته ورضاه . وعقوبته للعصاة ، والظلمة ، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب . والسخط ، والإبعاد ، والطرْد والإقصاء يدل على المقت ، والبغض .

❖ فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل ، ولهذا دعا - سبحانه - عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته . فهو يثبت العلم بربوبيته ووحدانيته ، وصفات كماله بآثار صنعته المشهودة ، والقرآن مملوء بذلك فيظهر شاهد اسم الخالق من المخلوق نفسه ، وشاهد اسم الرازق من وجود الرزق ، والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في العالم ، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدرار لا ينقطع لحظة واحدة ، واسم الخليم من حلمه على الجناة ، والعصاة ، وعدم معالجتهم بالجزاء ، واسم الغفور ، والتواب من مغفرة الذنوب ، وقبول التوبة . ويظهر اسم الحكيم من العلم بما في خلقه ، وأمره من الحكم ، والمصالح ، ووجود المنافع .

❖ وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره .

يعرفه، ويجهله من جهله . فالخلق ، والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته . وكل سليم العقل ، والفطرة يعرف قدر الصانع ، وحذقه على غيره، وتفرد به بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي ، وهذه المخلوقات من بعض صنعه، وإذا اعتبرت المخلوقات ، والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت ، والصفات ، وحقائق الأسماء الحسنى ، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمى ، ومكابرة ، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة ، كما قال - تعالى - :

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب - جلّ جلاله - ونعوته وأسمائه ، هي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى ، وحقائقها ، وتنادي بها وتدل عليها ، وتخبر بها بلسان النطق والحال ، كما قيل :

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملتها ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل

* فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ، ونعوت كماله ، وحقائق أسمائه . وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها فهي تدل عقلاً ، وحساً ، وفطرة ، ونظراً ، واعتباراً . أ. هـ .

توحيد الإلهية

* وأما توحيد الإلهية : فهو أفراد الله بالعبادة : قولاً وقصداً وفعللاً ، فلا يُنذر إلا له ، ولا تُقرب القرابين إلا إليه ، ولا يُدعى في السراء والضراء إلا إياه ، ولا يُستغاث إلا به ، ولا يُتوكل إلا عليه ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة .

وهذا النواع هو الذي بعثت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، وبدأ به كل رسول دعوته ، ووقعت فيه الخصومة بينه وبين أمته .

وهو الذي من أجله شرع الجهاد ، وقامت الحرب على ساقها بين الموحدين والمشركين .

والطريق الفطري لإثبات توحيد الإلهية الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية . فإن قلب الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه ، ومنشأ نفعه وضره ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه وترضيه عنه ، وتوثق الصلات بينه وبينه ، فتوحيد الربوبية باب لتوحيد الإلهية .

* من أجل ذلك احتج الله على المشركين ، ووقرهم وأرشد رسوله إلى هذه الطريقة ، وأمره أن يدعو بها قومه ، قال - تعالى - : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (١) .

* فقد استدل بتفرده بالربوبية ، وكمال التصرف ، وحمايته ما يريد أن يحميه ، على استحقاقه وحده للعبادة ، ووجوب إفراده بالإلهية قال - تعالى - : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) . فأخبر بأن البعث آت لا محالة ، ونزه نفسه عما زعمه المشركون من الشركاء ، ثم استدل - سبحانه على قدرته على البعث ، وتفرده باستحقاقه الإلهية بآياته الكونية ، فقال - تعالى - : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢) .

إلى قوله - تعالى - : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُّكْرَةً وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٣) . وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ . إلى أن قال ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) . فجعل - سبحانه - تفرده بالربوبية خلقاً للحاضرين والسابقين ، وتمهيده الأرض ، ورفع السماء بغير عمد يرونها ، وإنزاله الأمطار ليحيي بها الأرض بعد موتها ، ويخرج بها رزقاً لعباده باباً إلى توحيد الإلهية وآية بيّنة على استحقاقه وحده للعبادة . وقال - تعالى - :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ . إلى أن

(١) سورة النحل ، الآية : ١ .

(٢) سورة النحل ، الآيتان : ٤ ، ٥ .

(٣) سورة النحل ، الآيات : ١٧ - ٢٢ .

(٤) سورة البقرة ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

قال : ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١) .

فقررهم - سبحانه - بما لا يسعهم إنكاره ، ولا مخلص لهم من الاعتراف به من تفرده بالرزق ، والملك ، والتدبير ، والإحياء ، والإماتة ، والبدء ، والإعادة ، والأرشاد ، والهداية ليقم به عليهم الحجة في وجوب تقواه دون سواه .

وينكر عليهم حكمهم الخاطيء ، وشركهم الفاضح ، وعكوفهم على من لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ، ولا حياة ولا نشوراً . قال - تعالى - :
﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلُ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ . إلى قوله - تعالى - : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢)(٣) .

فأنكر - سبحانه - أن يكون معه من خلق ، ودبر ، أو صرف ، وقدر ، أو يُجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، أو يولّي ، أو يعزل ، وينصر ، ويخذل ، أو يُنقذ من الحيرة ، ويهدي من الضلالة ، أو يبدي ويعيد ، ويبسط الرزق لمن يشاء ، ويقدر . إلى غير ذلك مما استأثر الله به .

(١) سورة يونس ، الآيات : ٣١ - ٣٥ .

(٢) وتامها : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلُ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلُ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

(٣) سورة النمل ، الآيات : ٥٩ - ٦٤ .

وهذا مما استقر في فطرتهم ، ونطقت به ألسنتهم ، وبه قامت الحجة عليهم فيما دعتهم إليه الرسل من توحيد العبادة . وما ذكر من الآيات قليل من كثير .

* ومن سلك طريق القرآن في الاستدلال ، واهتدى بهدي الأنبياء في الحجاج اطمأنت نفسه ، وقوي يقينه ، وخصم مناظره (أي انتصر عليه) .
فإن في ذلك الحجة ، والبرهان من جهتين :

الأولى : أنه خبر المعصوم .

والثانية : أنه موجب الفطرة ، ومقتضى العقل الصحيح .

مبحث في العرش والكرسي وإثبات صفة العلو

العرش والكرسي كلاهما حق، وللعرش حملة من الملائكة يحملونه فوقهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٢)، وقد ميز الله العرش بنسبته إليه، وخصه باستوائه عليه، قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ﴾ (٣)، وقال: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (٤)، وقال: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ (٥)، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٦)، وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٧)، وقال في أكثر من آية ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٨)، فدل ذلك على وجوده وامتياز واستواء الله عليه، كما دلت الآية الثانية على وجود الكرسي.

واختلف في صفة العرش وموقعه من المخلوقات، فقيل: إن العرش مثل القبة فوق المخلوقات، واستدل لهذا بما رواه أبو داود وغيره في حديث

(١) سورة غافر، الآية: ٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٤) سورة البروج، الآية: ١٥.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٥.

(٦) سورة النمل، الآية: ٢٦.

(٧) سورة طه، الآية: ٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٥٤، يونس، الآية: ٣، الرعد، الآية: ٢.

الأطيط من قوله : ﷺ : « إن عرشه على سمواته » ^(١) هكذا ، وقال بأصابعه ، مثل القبة ، أي أشار بأصابعه إشارة تدل على أن العرش يشبه القبة . لكن هذا حديث ضعيف الإسناد ، واستدل لذلك أيضاً بما رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وفوقه عرش الرحمن » ^(٢) ، لكن هذا لا يدل على أن العرش كالقبة فوق السموات من جانب واحد ، فإن السموات محيطة بالأرض ، ومع ذلك فهي كالقبة بالنسبة لكل جماعة على سطح الأرض من الجهة التي تليهم ، وقيل : إن العرش فلك مستدير محيط بالعالم من كل جهة ، وربما سماه أصحاب هذا القول الفلك الأطلسي أو الفلك التاسع ، ورد هذا بأن للعرش قوائم ، لما ورد في حديث بيان النبي ﷺ فضل موسى عليه الصلاة والسلام من قوله ﷺ : « فإن الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور » ^(٣) فالظاهر أنه كسقف أقيم على قوائم ، وأن الملائكة تحمله من هذه القوائم ، وأيضاً العرش في اللغة السرير الذي أعد للملك ليجلس عليه ، ولا تفهم منه العرب إلا ذلك ، وقد نزل القرآن بلغة العرب ، وإذن ليس العرش

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب في الجهمية والمعتزلة (٤٧٣٦) وهو ضعيف كما قال الشيخ رحمه الله قال الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص / ٢٧٨) : « ضعيف الإسناد ، ولا يصح في أطيط العرش حديث » .

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد باب « وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم » (٧٤٢٣) وفي الجهاد ، باب : درجات المجاهدين في سبيل الله (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء ، باب : قوله الله تعالى « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر » (٣٣٩٨) ومسلم في الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه واللفظ للبخاري .

فلكاً مستديراً، بل هو كالقبة على العالم وسقف للمخلوقات ، وقد استشهد
لكونه سريراً بشعر أمية بن أبي الصلت :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً

بالبناء العالي الذي بهر النا س وسوى فوق السماء سريراً (١)

واستشهدوا لذلك أيضاً بما ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة ، من أن
عبدالله بن رواحة عرّض لأمرأته بشعر عن القراءة حينما اتهمته بجاريته
ليوهمها به أنه قرآن ، وأنه ليس بجنب ، قال :

شهدت بأن وعد الله حق ..

وأن النار مشوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمّله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا (٢)

لقول أبي ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما
الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرائي فلاة من
الأرض » (٣)

وتأول جماعة العرش فقالوا : إنه عبارة عن الملك ، وهذا تحريف لكلام

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص / ٢٧٨) .

(٢) قال الشيخ الألباني في تخريج الأحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص / ٢٨٢) « ضعيف ،

وقول ابن عبد البر رويناه من وجوه صحاح » وفيه نظر فقد قال الذهبي في « العلو » (ص / ٤٢) «
معقّباً عليه : « روى من وجوه مرسله ... » ثم ذكرها .

(٣) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة « ١٠٩ » .

الله وإخراج له عن المعنى المتبادر منه بلا دليل ، فإنه يبعد أن يقال في تفسير الآيات السابقة : ويحمل ملك ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، وأن يكون معنى «وكان عرشه على الماء» وكان ملكه على الماء ، ويكون معنى أخذ موسى بقائمة من قوائم العرش أخذ بقائمة من قوائم الملك ، فكان تفسير العرش بالملك باطلاً .

أما الكرسي فقيل : إنه موضع القدمين ، وأنه بين يدي العرش كالمراقبة إليه ، فهو غير العرش ، ولقول ابن عباس : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله ، وقيل : إن الكرسي هو العرش ، ويرده ما تقدم عن ابن عباس ، وفسر الكرسي بالعلم ، ونسب هذا إلى ابن عباس ، ولكن المحفوظ عنه التفسير الأول ^(١) .

هذا والسكوت عن الكلام في العرش وأنه كالقبة أو فلك مستدير محيط بالكائنات خير من الخوض في ذلك ، وكذا ترك التعمق في كون العرش هو الكرسي أو خلافه خير من الجدل وكثرة الحديث فيه ، فإن الخوض في ذلك والتعمق فيه من شره الفكر ، واستشراف العقل إلى إدراك أمر غيبي لا يعلم إلا بالتوقيف ، فينبغي الوقوف عند النقل ، ويجب أن يعلم أن استواء الله على العرش ليس لحاجته إليه ، ولا لكون العرش حاملاً له ، فإن السماء فوق الأرض ومحيط بها ، ولم يلزم أن تكون السماء في قيامها وتماسكها محتاجة إلى الأرض ، ولا أن تكون الأرض من حاملة لها ، فالله مستو على عرشه ، وهو مستغن عنه وعمافيه من الكائنات ، وهو فوق عباده حقيقة ، محيط بهم إحاطة تليق بجلاله لا كإحاطة الفلك بما فيه من

(١) انظر الطحاوية (ص / ٢٨٠) .

الكائنات ، والجميع قائم بحوله وقوته ابتداء ودواماً ، محفوظ بعنايته ورعايته ، جلّت قدرته ، وتعلت عظمته علواً كبيراً ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ ﴾ (٥) .

وهذا هو مذهب السلف في صفة الاستواء ، وعلو الله على عرشه حقيقة مع التفويض في الكيفية ، فقد سئل مالك بن أنس رضي الله عنه : كيف استوى الله على العرش ؟ فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب (٦) ، وذكر ذلك حسان بن ثابت في شعره ، قال :

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ مَنْ عُلِّ

(١) سورة فاطر ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٦ .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٤ .

(٥) سورة البروج ، الآية : ١٩ ، ٢٠ .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٢٥ / ٦ ، ٣٢٦) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ص / ٥٥) والألكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص / ٤٠٨) من طرق يقوى بعضها بعضاً قال الذهبي في العلو (ص ١٠٤) (وهذا ثابت عن مالك) وقواه الألباني في مختصر العلو (ص / ١٤١) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبدالله بن وهب به ... فذكره .

وَأَنْ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا لَهُ عَمَلٌ مِنْ رَبِّهِ مُتَقَبَّلٌ^(١)

يريد النبيين يحيى بن زكريا وأباه زكريا، وسأل مطيع البلخي أبا حنيفة عن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢)، وعرشه فوق سبع سموات، قلت فإن قال: «إنه على العرش ولكن يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض»، قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر^(٣)، وفي بعض الروايات عنه زيادة «لأن الله في أعلى عليين، وهو يدعى من أعلى لا من أسفل»، ومن أنكر نقل هذا عن أبي حنيفة فهو ممن انتسب إلى مذهبه الفقهي مع مخالفته له في بعض مسائل الاعتقاد كالمعتزلة.

وقد شهدت العقول السليمة، والفطر المستقيمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده، كما صرحت بذلك نصوص الكتاب والسنة المتنوعة والمحكمة.

فمن ذلك التصريح بالفوقية مقروناً تارة بحرف من المعينة لفوقيته تعالى بنفسه، ومجرداً منها تارة أخرى، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

(١) قال الشيخ الألباني في تخريجه للأحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ٢٨٢) (ضعيف رواه ابن سعد في الطبقات بسند ضعيف ومنقطع) وأخرجه الذهبي في (العلو) (ص ٤٠) وقال: «وهذا مرسل».

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) انظر شرح الطحاوية (ص/ ٢٨٨) ومختصر العلو (ص/ ١٣٦، ١٣٧).

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٠.

الْخَيْرُ ﴿١﴾ . ومنها التصريح بالعروج إليه ، قال تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿٢﴾ ، وقال النبي ﷺ : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي، فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» ﴿٣﴾ .

ومنها التصريح بصعود العمل الصالح إليه ، ويرفعه بعض المخلوقات إليه ، قال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورِثُ﴾ ﴿٤﴾ ، وقال : ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا﴾ ﴿٥﴾ وقال : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ﴿٦﴾ . وكذا عروج النبي محمد مع جبريل عليهما الصلاة والسلام إلى السموات ليلة الإسراء والمعراج ، وإخبار النبي ﷺ أنه تردد بين موسى وبين ربه تلك الليلة بشأن تخفيف الصلاة ، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عليه الصلاة والسلام عدة مرات ﴿٧﴾ .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة المعارج ، الآية : ٤ .

(٣) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (٥٥٥) ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سورة فاطر ، الآية : ١٠ .

(٥) سورة النساء ، الآية : ١٥٨ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥ .

(٧) أخرجه البخاري في الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (٣٤٩) ومسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (٢٥٩) .

ومنها التصريح بالعلو المطلق الدال على إثبات جميع مراتب العلو، علو النفس والقدر والشرف، قال تعالى: ﴿فِي آيَةِ الْكَرْسِيِّ﴾ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)، وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢)، وقال: ﴿إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (٣) ومنها التصريح في كثير من الآيات بنزول القرآن منه - وتنزيله إلى الأرض يقتضي أنه فوق عباده. وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٤) وقال: ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٥) وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٦)، ومنها التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ (٧) وقال: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (٨) ففرق سبحانه بين من له عموماً وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصاً، وقد بين النبي ﷺ أن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش، كتب فيه رحمتي سبقت غضبي (٩).

ومنها التصريح بأنه تعالى في السماء. قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩. (٢) سورة سبأ، الآية ٢٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٢.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ١٩.

(٩) سبق تخريجه.

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا»^(١) وبيان ذلك أن في بمعنى على ، وتقدير المعنى أأمنت من على السماء ، أو «في» على حقيقتها والسماء معناها العلو ، وتقدير المعنى : أأمنت من في العلو . . لا يجوز في معنى هذا النص إلا هذان الوجهان .

ومنها التصريح بأنه مستو على العرش خاصة مع التعدية بعلى وذكر «ثم» في الأكثر ، وهي دالة على الترتيب والمهلة ، فلا يتأتى مع ذلك تأويل استوائه على العرش بالقدرة ، أو الاستيلاء عليه .

ومنها التصريح بمشروعية رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء ، فقد رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء وهو يدعو في الاستسقاء وغيره^(٢) ، وثبت عنه أنه قال : « إن الله يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً »^(٣) .

ومنها إشارته ﷺ إشارة حسية إلى جهة « السماء » وهو يخطب الناس في حجة الوداع ، يوم عيد الأضحى بينما قال في خطبته : « سوف تُسألون عني ، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت » فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء^(٤) ، مشيراً إلى أن الله فوقها وفوق كل شيء ، ومنها سؤاله الجارية بلفظ صريح في ذلك حيث قال لها : أين الله ؟ وشهادته لها

(١) سورة الملك ، الآية ١٧ ، ١٨ .

(٢) والأحاديث في ذلك كثيرة منها حديث عبدالله بن زيد قال خرج النبي ﷺ إلى هذا المصلى يستقي ، فدعا واستقى ثم استقبل القبلة وقلب رداءه لما أخرجه البخاري في الدعوات باب الدعاء مستقبل القبلة (٦٣٤٣) ومسلم في صلاة الاستسقاء (٨٩٤) .

(٣) أخرجه أبو داود في الوتر باب الدعاء (١٤٨٨) والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦) وقال حسن غريب وابن ماجه في الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء (٣٨٦٥) ، والحاكم (٤٩٧/١) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص / ٢٨٦) .

(٤) أخرجه مسلم في الحج باب حجة النبي ﷺ (١٢١٨) وهو قطعة من حديث جابر رضي الله عنه .

بالإيمان حينما أجابته بأن الله في السماء وشهدت له بالرسالة، فقال لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة^(١)، فهذا السؤال والإقرار والحكم بإيمان الجارية منه ﷺ وهو أعلم الخلق بربه، وأنصحهم لأمتهم، وأفصحهم بياناً عنه المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه من الوجوه دليل على أن الله فوق السماء، وأنه فوق كل شيء بنفسه، والأدلة المتعلقة بعلو الله على خلقه كثيرة متنوعة، يؤيد بعضها ببعضها، فمن رام أن يتأولها فقد رام باطلاً ومن سلك طريق التأويل لهذه النصوص فتح على نفسه باب شر لا يمكنه إغلاقه، فإنه يسلط على نفسه بذلك الباطنية الذين تناولون نصوص الصلاة والزكاة والصيام وسائر فرائض الإسلام، وبهذا يعود الشرع كله مؤولاً.

ومع هذا فقد تأول كثير من المتأخرين الفوقية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) بأنه تعالى خير من عباده، وأنه خير من العرش وأفضل منه، وهو كما ترى تأويل بعيد تنفر منه العقول الرشيدة وتأباه الفطر السليمة، فإنه لا تمجيد لله في ذلك ولا تعظيم له بل هو تأويل سمج مرذول، فإنه يشبه قول القائل الجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من اليهود، والجوهرة فوق قشر البصل أو قشر السمك ونحو ذلك مما التفاوت فيه عظيم، ولا شك أن التفاوت بين الله وبين عباده أعظم، ولو أن هذا المتأول أثبت الفوقية مطلقاً، فوقية الذات، وفوقية القهر والغلبة، وفوقية القدر والمنزلة لكان ذلك صواباً، لاتفاقه مع نصوص الكتاب والسنة

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧) من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رضي الله عنه .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٨ .

مع عدم المحذور أما يحصى تأويله نوعاً منها بلا دليل فذلك باطل .

وقد يعبر بالخيرية بين الله وبين بعض خلقه إذا اقتضى المقام ذلك ،
كمقام الاحتجاج على من أشرك مع الله غيره ، ودعوته إلى التوحيد ، قال
تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، وقال حكاية لمقالة يوسف عليه السلام لصاحبيه في
السجن ، ودعوته إياهما إلى التوحيد ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ
أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٢) .

وقد دلت الأدلة العقلية على ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ،
من أن الله بائن من خلقه وأنه فوق عباده بنفسه ، وبيانه أن وجود الله إما أن
يكون ذهنياً فقط ، وإما أن يكون في خارج الأذهان الأول ممنوع بإجماع ،
وإذا تعين أن يكون وجوده خارج الأذهان ، فأما أن عين العالم أو صفة قائمة
بالعالم ، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من خلقه وكل من الأول والثاني
ممنوع ، فتعين أن يكون الله موجوداً قائماً بنفسه بائناً من خلقه .

الاستدلال بالفطرة على أن الله فوق عباده :

وإذا ثبت ذلك كان سبحانه فوق عباده ، مستوياً على عرشه ، لأن
السفول صفة ذم لا تتضمن مدحاً ولا ثناء فلا يليق بالله ، والعلو صفة مدح
وثناء وكمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً ، ولا يوجب محذوراً ، ولا
يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ، بل النصوص وإجماع السلف تثبت ذلك
وتقتضيه ، فوجب اعتقاده وإنكار التأويل وصرف النصوص عن ظواهرها ،

(١) سورة النمل ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٣٩ .

لكونه عين الباطل الذي لا تأتي به الشريعة ولا يراه عقل سليم، فإن قيل : إن أكثر العقلاء يتأولون نصوص الاستواء والعلو والفوقية بالاستيلاء والقهر والغلبة، وبعلو القدر والمنزلة، وبالخيرية وكمال الفضل، فكان تأويلهم مقتضى العقل، إذ يبعد أن يرمى جمهور العلماء بالجهل والسفاهة، وتحريف النصوص الصحيحة عن مواضعها، ولا يكون لهم وجه يعتمدون عليه فيما ذهبوا إليه . قيل : ليس الأمر كذلك، فإن الذين يصرحون بأن خالق العالم شيء موجود خارج الأذهان لكنه ليس فوق العالم، وأنه ليس مبايناً للعالم ولاد اخلاً فيه طائفة من النظار، وأول من ابتدع ذلك في الإسلام الجعد بن درهم، وتبعه في التحريف والتعطيل الجهم بن صفوان، فقام هو وأتباعه بنشر هذه البدعة بين الناس، وهم مسبوقون بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة التفسير والفقه والحديث على إجراء النصوص كما جاءت، وإمرارها على ظواهرها إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، عملاً بقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١) وقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢).

وقد شهدت بذلك الفطر السليمة أيضاً، فإن الخلق جميعاً يرفعون أكفهم إلى السماء عند الدعاء بمقتضى فطرهم ويدافع قوي من طباعهم التي لم يداخلها إلحاد، ولم ينحرف بها عن جادة الحق تمويه ولا تلبيس، ويقصدون جهة العلو بقلوب كلها خشوع وضراعة إلى الله راجين أن يتقبل أعمالهم، ويستجيب دعاءهم، ويسبغ عليهم نعمه، ويعمهم بفضله

(١) سورة الإخلاص .

(٢) سورة الشورى، الآية : ١١ .

وإحسانه .

وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين ، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ، ويقول : كان الله ولا عرش ، وهو الآن على ما كان ، فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ، فإنه ما قال عارف قط يالله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو ، لا يلتفت يمينه ولا يسرة ، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا ، قال : فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل ، وأظنه قال : وبكى ، وقال : حيرني الهمداني حيرني ، وكأن الشيخ أبا جعفر أراد أن هذا أمر فطري ، فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه عن المرسلين ، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يدفعهم للتوجه إلى الله وطلبه في العلو ^(١) .

فإن قيل إن رفع الأيدي إلى السماء ، وتوجه القلوب إلى جهة العلو ، إنما كان من أجل أن السماء قبلة الدعاء ، كما أن الكعبة قبلة الصلاة ، لا لأن الله في السماء فوق عباده ، ثم هو منقوض بشرع السجود ، ووضع الجبهة على الأرض مع أن الله ليس في جهة الأرض ، أجيب أولاً يمنع أن تكون السماء قبلة الدعاء ، فإن كون الشيء قبلة لا يعرف إلا من طريق الشرع ، ولم يثبت في جعل السماء قبلة للدعاء كتاب ولا سنة ، ولا قال به أحد من سلف

(١) انظر مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤) وشرح العقيدة الطحاوية (ص / ٢٩١) ، ومختصر العلو (ص / ٢٧٧) . قال الشيخ الألباني « وإسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ ، وأبو جعفر اسمه محمد بن أبي علي الحسن بن محمد الهمداني مات سنة (٥٣١) ، وقد وصفه ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (٤/ ٤٤) بـ « الشيخ العارف » . ويدولي أن هذه الحيرة كانت قبل استقرار عقيدة أبي المعالي الجويني على المذهب السلفي » أ. هـ .

الأمة وهم لا يخفى على جميعهم مثل هذا الأمر .

ثانياً : ثبت أن الكعبة قبله الدعاء كما أنها قبله الصلاة ، فقد كان النبي ﷺ يستقبل الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة^(١) ، فمن ادعى أن للدعاء قبله سوى الكعبة أو ادعى أن السماء قبلته كما أن الكعبة قبله له فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين .

ثالثاً : أن القبلة ما يستقبله العابد بوجهه ، كما يستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح ودفن الميت ونحو ذلك مما يطلب فيه استقبال القبلة ، ولذا سميت القبلة وجهة لاستقبالها بالوجه ، فلو كانت السماء قبله الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها ، لكنه لم يشرع بل نهى عنه ، وإنما شرع رفع اليدين ، ورفع اليدين إلى السماء حين الدعاء لا يسمى استقبالاً لها شرعاً ولا لغة ، لا حقيقة ولا مجازاً .

رابعاً : أن الأمر باستقبال القبلة مما يقبل النسخ والتحويل ، كالأمر باستقبال بيت المقدس في الصلاة نسخ بالأمر باستقبال الكعبة ، ورفع الأيدي إلى السماء في الدعاء والتوجه بالقلب إلى جهة العلو أمر فطري مركوز في طبائع الناس لم يتغير في جاهلية ولا إسلام ، يضطر إليه الداعي عند الشدة والكرب مسلماً كان أم كافراً .

(١) وقد ورد في استقبال القبلة في الدعاء من فعل النبي ﷺ عدة أحاديث : منها حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مديديه فجعل يهتف بربه . . . » الحديث أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (١٧٦٣) .

= وفي حديث ابن مسعود قال : « استقبل رسول الله ﷺ البيت فدعا على ستة نفر من قريش

خامساً : أن من استقبل الكعبة لا يقع في قلبه أن الله هناك جهة الكعبة، بخلاف الداعي فإنه يرفع يديه إلى ربه وخالقه وولي نعمته، يرجو أن تنزل عليه الرحمات من عنده، وأجيب عن نقضهم الاستدلال بالفطرة على أن الله فوق خلقه بما ذكره من السجود ووضع الجبهة على الأرض بأنه باطل، فإن واضح الجبهة على الأرض في السجود إنما قصده الخضوع لله، وإعلان كمال ذل العبودية من الساجد لربه ومالك أمره، لا لأنه يعتقد أنه تحته فيسهرى إليه ساجداً، فإن هذا لا يخطر ببال، بل ينزه ربه عن ذلك، ولهذا شرع له أن يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى، تعالى الله عن الظنون الكاذبة علواً كبيراً.

ومما يجب اعتقاده أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وأنه كلم موسى تكليماً .

أما الخلقة فهي كمال المحبة، وقد اتخذ الله نبيه محمداً خليلاً كما اتخذ نبيه إبراهيم خليلاً عليهما الصلاة والسلام، فهي ثابتة لهما من الله على وجه يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وقد تخللت محبة الله قلب كل من إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فكمال المحبة ثابت من الجانبين من الله لحبيبه، ومنهما لله كل على ما يليق بمقامه وحاله، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١) وقال النبي ﷺ : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم

=فيهم أبو جهل وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط فأقسم بالله لقد رأيتهم صرغى على بدر قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً» أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (١٧٩٤) (١١٠) . وانظر فتح الباري (١١) / ١٤٨ (١٤٩) .

خليلاً» (١) . وقال « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله» (٢) . يعني نفسه عليه الصلاة والسلام، فيين لنا أنه لم يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لا يصلح له ذلك، ولو صلح ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يحب الصحابة مثل أبي بكر ومعاذ بن جبل وأسامة بن زيد وعائشة، فتبين بهذا أن الخلقة أخص من المحبة، وأنها لكمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة فيها، ولهذا لما أعطى الله إبراهيم الخليل ولده اسماعيل أمره بذبحه ليظهر مقام إبراهيم في كمال محبته لربه، فلما استسلم لأمر ربه، وأخذ ينفذ ما أمره به من الذبح ظهر سلطان الخلقة في الإقدام على الذبح والشروع فيه، إشاراً لمحبة لله ولأمره على محبته لولده، وتم بذلك نجاحه في الاختبار على أكمل وجه، ونسخ الله أمره بالذبح، وفدى إسماعيل بذبح عظيم، تكريماً لإبراهيم وولده على الصبر والاستسلام لأمر الله وطاعته، وبقيت الذبائح والقرايين من الهدايا والضحايا وما في حكمها سنة في أتباعه ومن سار على ملته الحنيفية إلى يوم القيامة، وأنكرت الجهمية أصل المحبة وحقيقتها من الجانبين، زعموا أنهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب وحبيبه، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة، وزعمهم باطل، لأنه مجرد دعوى عارضوا بها النصوص الصحيحة الصريحة في إثبات محبة الله

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب : النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها (٥٣٢) وهو طرف من حديث جندب بن عبد الله .

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب : من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٣) .

للمؤمنين»^(١) وإثبات الخلّة لإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

(١) ومن هذه النصوص قوله تعالى : ﴿ وَاللّٰهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية : ١٣٤ .
 وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللّٰهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية ٧٦ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّٰهَ
 يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٢٢ . وقوله ﴿ وَأَقْسَمُوا إِنَّ اللّٰهَ يَحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ ﴾ سورة الحجر الآية ١٩ .

المسألة الخامسة

الفرق بين النبي والرسول

وبيان النسبة بينهما

النبيّ : مشتقُّ من النبأ ، بمعنى : الخبر ، فإن كان المراد أنه يخبر أمته بما أوحى الله إليه ، فهو فعيل ، بمعنى : فاعل ، وإن كان المراد أن الله يخبره بما يوحى إليه ، فهو فعيل ، بمعنى : مفعول ، ويصح أن يكون مأخوذاً من النَّبء (بالهمزة وسكون الباء) ، أو النبوة ، أو النباوة (بالواو) ، وكلها بمعنى : الارتفاع والظهور ، وذلك لرفعة قدر النبي ، وظهور شأنه ، وعلوّ منزلته .

والفرق بين النبي والرسول : أن الرسول من بعثه الله إلى قوم ، وأنزل عليه كتاباً ، أو لم ينزل عليه كتاباً لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله ؛ والنبي من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتاباً ، أو يوحى إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ ، وعلى ذلك ، فكل رسول نبي ، ولا عكس ، وقيل : هما مترادفان ، والأول أصح .

* * *

المسألة السادسة

في حاجة البشر إلى الرسالة

الأفعال الاختيارية : منها ما تُحمد عقباءه فيجمل بالعاقل فعله ، والحرص عليه ، ولو ناله في سبيل تحصيله حرج ومشقة ، وأصابه في عاجل أمره كثير من الآلام . ومنها ما تسوء مغبته ، فيجدر بالعاقل أن يتماسك دونه ، وأن يتنكب طريقه ، خشية شره ، وطلباً للسلامة من ضره ، وإن كان فيه ما فيه من الملذات العاجلة التي تعزي الإنسان بفعله ، أو تخدعه عمّا فيه سلامة نفسه .

*** غير أن عقله قد يقصر في كثير من شئونه ، عن التمييز بين حسن الأفعال وقبيحها ، ونافعها وضارّها ، فلا بدّ من معين يساعده على ما قصر عنه إدراكه ، وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه علمه ، لأنه ليس في محيط عقله ، ولا دائرة فكره ، مع ما في علمه به من صلاحه وسعادته ، وذلك : كمعرفته بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة تفصيلاً ، فكان في ضرورة إلى من يهديه الطريق في أصول دينه ، وقد يتردّد في أمر إما لعارض هوى وشهوة ، أو لتراحم الدواعي واختلافها ، فيحتاج إلى من ينقذه من الحيرة ، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهداية ، فبان بذلك حاجة الناس إلى رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويكلمهم بمعرفة ما قصرت عنه أفهامهم ، ويوقفهم على حقيقة ما عجزوا عنه ، ويدفع عنهم الألم والحيرة ، ومضرة الشكوك .**

*** أضف إلى ذلك أن تفاوت العقول والمدارك ، وتباين الأفكار ، واختلاف الأغراض ، والمنازع ، ينشأ عنه تضارب الآراء ، وتناقض**

المذاهب ، وذلك يفضي إلى سفك الدماء ، ونهب الأموال ، والاعتداء على الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، وبالجملة ينتهي إلى تخريب ، وتدمير لا إلى تنظيم ، وحسن تدبير ، ولا يرتفع ذلك إلى برّسول يأتي بفصلاً لخطاب ، ويقيم الحجة ، ويوضح المحجة ، فاقترضت حكمة الله أن يرسل رسله رحمة بعباده ، وإقامة للعدل بينهم ، وتبصيراً لما يجب عليهم من حقوق خالقهم ، وإعانة لهم على أنفسهم ، وإعذاراً إليهم ، فإنه لا أحد أحبّ إليه العذر من الله .

من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب .

* فقد ثبت أن « سعد بن عبادة » قال : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح (أي بحده لا صفحته) ؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « تعجبون من غيره سعد لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحبّ إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحبّ إليه المدح من الله ، ومن أجل ذلك وعد الله بالجنة » . رواه البخاري .

* وما تقدّم يعلم أن إرسال الله الرسل مما يدخل في عموم قدرته - تعالى - وتقتضيه حكمته ، فضلاً منه ، ورحمة ، والله عليم حكيم ، وهذا هو القول الوسط ، والمذهب الحق .

* وقد أفرط المعتزلة فقالوا : إن بعثة الرسل واجبة على الله - تعالى - إبانة للحق ، وإقامة للعدل ، ورعاية للأصلح ، وهذا مبني على ما ذهبوا إليه من القول بالتحسين والتقييح العقلين ، وهو أصل فاسد .

(١) البراهمة : قيل : إنهم جماعة من حكماء الهند تبعوا فيلسوفاً يسمى برهام فنُسبوا إليه ، وقيل : إنهم طائفة عبدت صنماً يسمى (برهم) فنُسبت إليه ، والقصد بيان مذهبهم في =

* وتطرف البراهمة^(١) فأحالوا أن يصطفي الله نبياً ، ويبعث من عباده رسولاً ، وزعموا أن إرسالهم عبث ، إما لعدم الحاجة إليهم ، اعتماداً على العقل في التمييز بين المفسد والمصالح ، واكتفاءً بإدراكه ما يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد ، وإما لاستغناء الله عن عباده ، وعدم حاجته إلى أعمالهم ، خيراً كانت أم شراً ، إذ هو - سبحانه - لا يتتفع بطاعتهم ، ولا يتضرر بمعصيتهم ، وقد سبق بيان عدم كفاية العقل في إدراك المصالح والمفاسد .

وحاجة العالم إلى الرسالة مع غنى الله عن أعمال الخلق ، فليس إرسالهم عبثاً بل هو مقتضى الحكمة .

=الرسالة . والرد عليه بما يدفع شبهتهم ، مع أن بعضهم قد اعترف برسالة آدم . وآخرين منهم اعترفوا برسالة إبراهيم ، - عليهما السلام - .

المسألة السابعة

في إمكان الوحي والرسالة

الوحي لغة : الإعلام في خفاء بإشارة ، أو كتابة ، أو إلهام ، أو مناجاة ، أو نحو ذلك .

وشرعاً : هو إعلام الله نبيه بحكم شرعي ، ونحوه ، بواسطة ، أو بغير واسطة .

ولا يسعد في نظر العقل ، ولا يستحيل في تقدير الفكر ، أن يختص واهب النعم ، ومفيض الخير بعض عباده : بسعة في الفكر ، ورحابة في الصدر ، وكمال صبر ، وحسن قيادة ، وسلامة في الأخلاق ، ليعدهم بذلك لتحمل أعباء الرسالة ، ويكشف لهم عما أخفاه عن غيرهم ، ويوحي إليهم بما فيه سعادة الخلق ، وصلاح الكون ، رحمةً للعالمين ، وإعذاراً إلى الكافرين ، وإقامة للحجة على الناس أجمعين ، فإنه - سبحانه - بيده ملكوت كل شيء ، وهو الفاعل المختار ، لا مانع لما أعطى ، ولا مُعطي لما منع ، ولا رادّ لما قُضِيَ ، وهو على كل شيء قدير .

*** وآية ذلك أنا شاهد أن الله - سبحانه - خلق عباده على طرائق شتى** في أفكارهم ، ومذاهب متباينة في مداركهم ، فمنهم من سما عقله ، واتسعت مداركه ، واطلع من الكون على كثير من أسرارهِ ، حتى وصل به ثاقب فكره ، وانتهت به تجاربه إلى أن اخترع للناس ما رفع أولو الألباب من أجله رؤوسهم إليه ، إعجاباً به ، وشهادة له بالمهارة ، وأنكره عليه صغار العقول حتى عدّوه شعوذة ، وكهانةً ، أو ضرباً من ضروب السحر ، ولا

يزالون كذلك حتى يستبين لهم بعد طول العهد ، ومرّ الأزمان ما كان قد خفي عليهم ، فيذعنوا له ، ويوقنوا بما كانوا به يكذبون ، ومنهم من ضعف عقله ، وضاعت مداركه ، فعميت عليه الحقائق ، واشتبه عليه الواضح ، فأنكر البدهيات ، وردّ الآيات البيّنات ، بل منهم من انتهى به انحراف مزاجه ، واضطره تفكيره ، إلى أن أنكر ما تدركه الحواس كطوائف السونسطائية^(١) .

وكما ثبت ذلك التفاوت بين الناس في العقول بضرورة النظر ، وبديهية العقل ، ثبت التفاوت بينهم - أيضاً - في قوة الأبدان وضعفها ، وسعة الأرزاق وضيقها ، ونيل المناصب العالية ، والاستيلاء على زمام الأمور ، وقيادة الشعب ، والحرمان من ذلك ، إما للعجز أو القصور ، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً . وإما لحكمة أخرى يعلمها مدبر الكائنات ؛ وربما كشف عن كثير منها الغطاء لمن تدبّر القرآن ، وعرف سيرة الأنبياء ، وتاريخ الأمم ، وما جرى عليها من أحداث .

✽ فمن شاهد ما مضت به سنة الله في عباده من التفاوت بينهم في مداركهم ، وقواهم ، وإرادتهم ، وغير ذلك من أحوالهم ، لم يسعه إلا أن يستسلم للأمر الواقع ، ويستيقن بأن لله أن ينبيء من يشاء من خلقه ، ويصطفي من أراد من عباده .

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ

(١) السونسطاية ثلاث فرق الأولى : العنادية وهي التي تنكر حقائق الأشياء الحسية ، والعقلية ، وتكذب حواسها ، وعقلها فيما تشاهد . أو تدرك وتراه وهمّاً وخيلاً . الثانية : اللاأدرية : وهي التي تشك في حقائق الأشياء ، وتتردد فيها فنقول : لا أدري ، ألها وجود أم لا ؟ الثالثة : العندية : وهي التي ترى أن ليس للأشياء حقيقة ثابتة في نفسها ، بل تتبع إدراك ، من أدركها وعقيدة من خطرت بباله ، وهذه المذاهب باطلة بضرورة الحس ، والعقل . والقائلون بها قد سقطوا عن رتبة البحث والمناظرة .

اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١﴾ .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢) .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٣) .

إن الحوار الذي دار بين الرسل وأممهم يدل على أنهم لم يكونوا ينكرون الرسالة ، ولم يكونوا يستبعدون حاجتهم إلى هداية من الله عن طريق روح طيبة يختارها الله لوجيه ، أو نفس طاهرة يصطفیها لتبليغ شرعه ، لكنهم استبعدوا أن يكون ذلك الرسول من البشر ، وظنوا خطأ أنه إنما يكون من الملائكة ، زعماء منهم أن البشرية تنافي الرسالة ، فمهما صفت روح الإنسان وسمت نفسه ، واتسعت مداركه ، فهو في نظرهم أقل من أن يكون أهلاً لأن يوحى الله إليه ، وأحق من أن يختاره الله لتحمل أعباء رسالته .

* ومن نظر في الكتب المنزلة ، وتصفح ما رواه علماء الأخبار اتضح له ما ذكر من إمكان الوحي ، وحاجة الناس إليه .

قال الله - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّائِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٦٨ .

(٣) سورة الزخرف ، الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١﴾ .

وقال - تعالى - : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ . فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا
لَفِينَا ضَلَالٌ وَسُعُرٌ . أَوْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢﴾ .

وقال - تعالى - : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ .
إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . قَالُوا مَا أَنْتُمْ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٣﴾ .

وقال - تعالى - : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ
مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ
قِرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴿٤﴾ .

وقال تعالى - : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ
إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ .

وقال - تعالى - : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ . لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النُّجُوى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ

(١) سورة هود ، الآيات : ٢٥ - ٢٧ .

(٢) سورة القمر ، الآيات : ٢٣ - ٢٥ .

(٣) سورة يس ، الآيات : ١٣ - ١٥ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ .

(٥) سورة إبراهيم ، الآيتان : ١٠ ، ١١ .

السَّحَرُ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ . قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن إنكار الأمم لم يكن لأصل الرسالة ولا لحاجتهم إليها ، إنما كان لبعث رسول من جنسهم .

* ولو قال قائل : إن أئمة الكفر ، وزعماء الضلالة كانوا يوقنون بإمكان أن يرسل الله رسولاً من البشر غير أنهم جحدوا ذلك بالستهم حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، وتمويهاً على الطغام من الناس ، وخداعاً للضعفاء العقول ، وتلبساً عليهم خشية أن يسارعوا إلى مقتضى الفطرة ، ويستجيبوا لداعي الدين ، ومتابعة المرسلين ، لو قال قائل ذلك ما كان بعيداً عن الحقيقة ، ولا مجافياً للصواب ! بل بدت منهم البوادر التي تؤيد ذلك ، وتصدقه وسبق إلى لسانهم ما يرشد البصير إلى ما انطوت عليه نفوسهم من الحسد والاستكبار أن يؤتى الرسل ما أوتوا دونهم ، وينالوا من الفضيلة ، وقيادة الأمم إلى الإصلاح ما لم ينل هؤلاء .

قال الله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٢) .

وقال - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٣) .

وقال - تعالى - : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ

(١) سورة الأنبياء ، الآيات : ٢ - ٤ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٤ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٣١ .

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ . فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿١﴾ .

* وليس بدعاً أن يختار الله نبياً من البشر ، أو يبعث في الناس رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، بل ذلك هو مقتضى الحكمة ، وموجب العقل ، فإن الله - سبحانه - قد مضت سنته في خلقه بأن يكونوا أنواعاً مختلفة على طرائق شتى ، وطبائع متباينة ، لكل نوع غرائزه وميوله ، أو خواصه ومميزاته التي تقضي بالأنس ، والتآلف بين أفرادها ، وتساعد على التفاهم والتعاون بين الجماعات ، ليقوم الوجود ، ويتنظم الكون ، فكان اختيار الرسول من الأمة أقرب إلى أخذها عنه ، وأدعى إلى فهمها منه ، وتعاونها معه ، لمزيد التناسب ، ولمكان الإلف بين أفراد النوع الواحد .

* ولو كان عُمَارُ الْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَاقْتَضَتِ الْحِكْمَةَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَلَكاً رَسُولاً ، وقد أرشد الله إلى ذلك في رده على من استنكر أن يرسل إلى البشر رسولاً منهم ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا . قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (٢) .

* ولكن شاء الله أن يكون الخليفة في الأرض من البشر ، فاقتضت حكمته أن يكون رسولهم إليهم من جنسهم ، بل اقتضت حكمته ما هو أخص من ذلك ، وأقرب إلى الوصول للغاية ، وتحصيل المقصود من الرسالة ، فكتب على نفسه أن يرسل كل رسول بلسان قومه .

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٥١ - ٥٣ .

(٢) سورة الإسراء ، الايتان ٩٤ ، ٩٥ .

قال - تعالى - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) .

ولو قدر أن الله أجاب الكفار على ما اقترحوا من إرسال ملك إليهم لأرسل - سبحانه - الملك في صورة رجل ، ليتمكنوا من أخذ التشريع عنه ، والافتداء به فيما يأتي ويذر ، ويخوض معهم ميادين الحجاج والجهاد ، وبذلك يعود الأمر سيرته الأولى ، كما لو أرسل - سبحانه - رسولا من البشر ، ويقعون في لبس وحيرة ، جزاءً وفاقاً .

قال - تعالى - : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (٢) .

* ومن نظر في آيات القرآن ، وعرف تاريخ الأمم ، تبين له أن سنة الله في عباده أن يرسل إليهم رسلاً من أنفسهم .

قال - تعالى - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) .

وقال - تعالى - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٤) .

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الأنعام ، الآيتان : ٨ ، ٩ .

(٣) سورة النحل ، الآيتان : ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) سورة الفرقان ، الآية : ٢٠ .

المسألة الثامنة

المعجزة والفرق بينها وبين السحر

كل ما لم تبلغه البشر ، ولم يقع في دائرة قدرتهم ، فهو معجزة ، وقد تُطلق المعجزة على ما خرج عن طاقة العامة من الخلق دون الخاصة ، كـ بعض المسائل العلمية ، واختراع بعض الآلات ، والأجهزة الحديثة ، وغيرها مما لا يقوى عليه إلا خواص الناس ، وكالغوص ، والسباحة ، وحمل الأثقال ، وهذا عجز نسبي يكون في مخلوق دون آخر .

وأما المراد من المعجزة هنا (أي في علم التوحيد) : فهي الأمر الخارق للعادة الخارج عن سنة الله في خلقه ، الذي يظهره الله على ما يد مُدعي النبوة تصديقاً له في دعواه ، وتأييداً له في رسالته مقررناً بالتحدي لأمته ، ومطالبتهم أن يأتوا بمثله ، فإذا عجزوا كان ذلك آية من الله - تعالى - على اختياره إياه ، وإرساله إليهم بشريعته .

* أما السحر : فهو في اللغة كل مَادَق ، ولطف ، وخفي سببه ، فيشمل قوة البيان ، وفصاحة اللسان ، لما في ذلك من لطف العبارة ، ودقة المسلك ، ويشمل النميمة لما فيها من خفاء أمر النمام ، وتلطّفه في خداع من نَمَّ بينهما ليتم له ما يُريد من الوقعة ، ويشمل العزائم والعقد التي يعقدها الساحر ، وينفث فيها مستعيناً بالأرواح الخبيثة من الجن ، فيصل بذلك في زعمه إلى ما يريد من الأحداث والمكاسب .

وبذلك يتبين الفرق بين المعجزة والسحر :

١ - فالمعجزة ليست من عمل النبي ، وكسبه . إنما هي خلق محض من الله - تعالى - على خلاف سنته في الكائنات .

وأما السحر : فمن عمل الساحر ، وكسبه سواء أكان تعويذات ، أم بياناً ، أم غيمة ، أم غير ذلك ، وله أسبابه ووسائله التي قد تنتهي بمن عرفها

ومهر فيها ، واستعملها إلى مسبباتها ، فليس خارقاً للعادة ، ولا مخالفاً لنظام الكون في ربط الأسباب بمسبباتها ، والوسائل بمقاصدها .

٢ - والمعجزة : تظهر على يد مدّعي النبوة لتكون آية على صدقه في رسالته التي بها هداية الناس من الضلالة ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، والأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم في عقائدهم ، وأخلاقهم وأبدانهم ، وأموالهم .

أما السحر : فهو خلق ذميم ، أو خرافة ، أو صناعة يمّوّه بها الساحر على الناس ، ويضلّهم ، ويخدعهم بها عن أنفسهم ، وما ملكت أيديهم ويتخذها وسيلة لكسب العيش من غير حله ، ويفرق بها بين المرء وزوجه والصديق وصديقه ، وبالجملّة يفسد بها أحوال الأمة بخفاء ، والناس عنه غافلون .

٣ - سيرة من ظهرت على يده المعجزة حميدة : وعاقبته مأمونة ، فهو صريح في القول والفعل ، صادق اللهجة ، حسن العشرة ، سخي ، كريم عفيف ، عمّا في أيدي الناس ، يدعو إلى الحق ، وينافح دونه بقوة وشجاعة .

أما الساحر : فسيرته ذميمة ، ومغبته وخيمته ، خائن خدّاع سيء العشرة ، يأخذ ولا يعطي ، يدعو إلى الباطل ، ويسعى جهده في ستره ، خشية أن يفتضح أمره ، وينكشف سرّه ، فلا يتم له ما أراد من الشرّ والفساد .

٤ - من ظهرت على يده المعجزة يقود الأمم والشعوب إلى الوحدة والسعادة ، ويهديها طريق الخير ، وعلى يده يسود الأمن والسلام ، وتفتح البلاد ، ويكون العمران .

أما الساحر : فهو آفة الوحدة ، ونذير الفرقة ، والتخريب والفوضى والاضطراب .

وجوب الإيمان بالبعث والنشور وبيان شبهتهم في إنكارهم يوم القيامة

(أ) البعث هو إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم يوم القيامة .
ويسمى يوم الميعاد لإعادة الأرواح إلى الأبدان فتعود بهذه الحياة الأبدان ،
ويسمى يوم النشور ، لانتشار المخلوقات إلى الموقف ، ويسمى يوم الدين
لأن الناس يدانون فيه بأعمالهم ، أي يجزون عليها .

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على وجوب الإيمان ببعث الأبدان
بعد نفخ الأرواح فيها ، كما جاءت شرائع الأنبياء السابقين بالإخبار عنها
ووجوب الإيمان به ، قال تعالى : مخاطباً آدم وزوجته وإبليس : ﴿ اهْبُطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى في بيان دعوة نوح
قومه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ
يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة
والسلام : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) ﴾ (٤) ، ويوم الدين
هو يوم الحساب والجزاء ، وقال تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٥ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة نوح ، الآية ١٧ ، ١٨ .

(٤) سورة الشعراء ، الآية : ٨٢ .

يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ (١)، وأخبر تعالى عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (٢). اعترفوا بأن الرسل تلت عليهم آيات ربهم وأنذرتهم اليوم الآخر، كما قال تعالى عنهم ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٣)، وأمر سبحانه نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، أن يقسم به على البعث والجزاء فقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٤)، وذم تعالى من يشك في يوم القيامة أو يكذب به أو يماري فيه قال تعالى: ﴿بَلْ إِدَارِكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٥)، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٦). وقال ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٧). وقال: في بيان جزاء الكافرين به: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاقًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٨). ورد عليهم هذه الشبهة بدليل كوني عقلي بين فيه أن من قدر على خلق ما هو أعظم منهم كالسماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم، وقال: ﴿لَخَلْقُ

(١) سورة طه، الآية، ١٥، ١٦.

(٢) سورة الزمر، الآية، ٧١.

(٣) سورة الزمر، الآية ٧١.

(٤) سورة التغابن، الآية ٧.

(٥) سورة النمل، الآية: ٦٦.

(٦) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٧) سورة الشورى، الآية: ١٨.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ٩٧، ٩٨.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ . وقال : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾ . واستدل على قدرته على الإعادة بقدرته على الخلق . فقال ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ . وقال في بيان غفلة المكذبين عن النشأة الأولى أو تغافلهم عنها ، وأنهم لو تذكروها ، وتبصروا فيها ما وسعهم إلا أن يؤمنوا بيوم القيامة ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٤﴾ ، قال تعالى في بيان أن قيام الساعة ومجازاة العباد مقتضى حكمته ، وكمال عدله : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٥﴾ . وقال : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٦﴾ أي لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يثاب ولا يعاقب ، وقال ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٧﴾ .

بالجملة فكمال علمه يوجب ألا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات

(١) سورة غافر ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٨١ .

(٣) سورة الروم ، الآية : ٢٧ .

(٤) سورة يس ، الآية : ٧٨ ، ٧٩ .

(٥) سورة المؤمن ، الآية : ١١٥ ، ١١٦ .

(٦) سورة القيامة ، الآية : ٣٦ .

(٧) سورة ص ، الآية : ٢٧ ، ٢٨ .

والأرض، وكمال حكمته يقتضي ألا يترك الناس سدى بلا أمر ولا نهى ولا شرع ولا ثواب ولا عقاب، ومعلوم أن ما حصل في الدنيا لا يكفي للجزاء فلا بد من يوم يتحقق فيه كمال عدل الله وحكمته في الفصل بين عباده، وهو اليوم الذي أعده الله لفصل القضاء بين العباد، وكمال قدرة الله يقتضي ألا يعجز الله شيء، فهو قادر على أن يعيد العظام والرفات والذرات بشراً سوياً ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿١﴾، إلى غير ما تقدم من نصوص القرآن الصريحة في البعث للأرواح والأبدان.

أما السنة فمنها حديث : « كل ابن آدم يلى إلا عجب الذنب، فيه خلق، ومن يركب » (٢)، وستأتي نصوص أخرى في تفاصيل ما يجري على العباد يوم القيامة، وهي متضمنة لقيام الساعة.

وأما جزاء الأعمال : فقد دل على ثبوته قوله تعالى : ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٣). أي يوم الجزاء على الخير والشر، وقال ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ﴾ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾، ودل على ثبوته الحديث القدسي الذي رواه أحمد وأحمد ومسلم من طريق أبي ذر الغفاري، وفيه « يا عبادي إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (١).

(١) سورة يس، الآية : ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم في الفتى وأشراط الساعة، باب : ما بين النفختين (٣٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الفاتحة الآية : ٤.

(٤) سورة النمل، الآية : ٨٩.

وأما العرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب : فالمراد بذلك عرض العباد على الله بعرض كتب أعمالهم عليهم حين تتطايير صحف أعمالهم فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ كتابه بشماله، يقرأ كل ما في كتابه، ويحاسب على عمله، ويثاب المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته، قال تعالى ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۚ﴾ (٤٨) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ﴾ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَاقَرَأُوا كِتَابِيَّةَ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةَ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةَ (٢٥) وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَّةَ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةَ (٢٩) خَذُوهُ فَعُغْلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ﴿٣﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۚ﴾ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾. وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي

(١) أخرجه أحمد (٥ / ١٦٠) ، ومسلم في البر والصلة والأدب ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك (٢٥٧٧) .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : ١٨ : ٣١ .

الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك » فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ (٢) . فقال رسول الله ﷺ : « إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة » إلا عذب » (٣) ففهمت عائشة رضي الله عنها من قوله ﷺ أولاً عموم الهلاك لكل من حوسب ، فكان الحديث معارضاً ليسير الحساب في الآية وانقلاب من أخذ كتابه بيمينه إلى أهله مسروراً ، فاستفسرت عن ذلك من رسول الله ﷺ ، فبين لها أن الحساب الذي ذكر في الآية مجرد عرض أعمال المؤمن عليه ، وأن الحساب الذي ذكر في الحديث أريد به المناقشة في الحساب ، فلا تعارض بين الآية والحديث .

وأما الصراط فمعناه في اللغة الطريق ، ومعناه المقصود منه هنا الجسر الممتد على متن جهنم الذي يمر عليه العباد (٤) إذا انتهوا من الموقف إلى منازلهم في الجنة أو النار .

وهناك ظلمة دون الصراط يكون فيها الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، كما روى مسلم من طريق عائشة رضي الله عنها أن

(١) سورة غافر ، الآية : ١٥ : ١٧ .

(٢) سورة الإنشقاق ، الآية : ٧ ، ٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب (٦٥٣٧) .

(٤) قوله (العباد) المراد بالعباد هم المؤمنون لأن الكفار قد ذهب بهم إلى النار ، قال ابن رجب في التخويف من النار (ص ١٨٥) « واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ، ومشرك يعبد مع الله غيره ، فأما المشركون فإنهم لا يميرون على الصراط ، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط » .

النبي ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فقال: «هم في الظلمة دون الجسر» (١)، وفي هذه الظلمة يكون للمؤمنين نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، فيقول المنافقون لمن صدقوا في إيمانهم: انظرونا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فإذا ما رجعوا حيل بينهم وبين المخلصين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ (١). والدليل من القرآن على الصراط قوله تعالى

(١) قوله (هم في الظلمة دون الجسر) جزء من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ في قصة الخبر اليهودي الذي جاء إلى النبي ﷺ وسأله عن أشياء منها (. . . فقال - رسول الله ﷺ - سل فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر ..) أخرجه مسلم في الحيض باب : بيان صفة منى الرجل والمرأة (٣١٥) .

أما حديث عائشة رضي الله عنها الذي ذكره الشيخ رحمه الله فقد أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار ، باب : في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة (٢٧٩١) عن مسروق عن عائشة قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : على الصراط) .

قال الحافظ ابن رجب في (التخويف من النار) (ص / ١٨٤) بعد ذكره الحديثين (ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر ، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر ، فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطى الأرض من حين وقوع الناس في الظلمة ، ويمتد ذلك إلى حال المرور على الصراط والله أعلم) .

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٢) . فإن المراد بالورود في الآية المرور على جهنم فوق الصراط ، المضروب على متنها ، ثم من الناس من يسقط ، ومنهم من ينجو ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاءً﴾ (٣) ولا يلزم من المرور على الصراط فوقها دخول كل من مرفي النار وتعذيبه بها ، ولا يلزم أيضاً من التعبير بالإنجاء دخول من أنجأهم الله فيها ، فإنه يكفي في صحة التعبير بالإنجاء انعقاد أسباب الهلاك مع تخليصها أهل الخير منه ، كما في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ (٤) . وقوله : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ (٥) . وقوله ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودَ﴾ (٦) . فأخبر سبحانه بإنجائهم ولم يكن أصابهم ولا أصاب من آمن بهم شيء من العذاب الذي أهلك الله به من كذبهم وكفر بهم ، فكان توفر أسباب العذاب إجمالاً كافياً لتصحيح التعبير بالإنجاء من الهلاك ، وقال ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة » إلى أن قال : فيعطون نورهم على قدر أعمالهم ، وقال : فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه ، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه ، يضيء مرة ويطفأ أخرى ، إذا أضاء قدم قدمه ، وإذا طفىء قام ، قال : فيمر ويمرون على الصراط ، والصراط كحد السيف وحصد

(٢) سورة مريم ، الآية : ٧١ .

(٤) سورة هود ، الآية : ٦٦ .

(١) سورة الحديد ، الآية ١٢ : ١٥ .

(٣) سورة مريم ، الآية : ٧٢ .

(٥) سورة هود ، الآية : ٩٤ .

(٦) سورة هود ، الآية : ٥٨ .

مزلة ، فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم ، فمنهم من يمر كأنه شهاب الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملاً ، فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه ، تخريد وتعلق يد ، وتخر رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فيخلصون ، فإذا خلصوا قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أرناك ، فقد أعطانا الله مالم يعط أحداً رواه البيهقي من طريق عبد الله بن مسعود (١) .

وأما الميزان فقد أخبر الله تعالى عنه وعن وزن الأعمال به لحكم كثيرة ، منها ظهور عدل الله تعالى لجميع عباده ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢) . وقال : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (١) . وأخبر النبي ﷺ بوزن

(١) أخرجه الحاكم (٣٧٦/٢ - ٣٧٧) موقوفاً . وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي قال الشيخ الألباني في تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص / ٤١٥) « وفيه يزيد بن عبد الرحمن أبو خالد الداراني ، ولم يخرج له الشيخان شيئاً ، ثم هو وإن كان صدوقاً ، فقد كان يخطئ كثيراً ، وكان يدلّس ، كما في (التقريب) وقد صرح في هذا الأثر بالتحديث ، فأما بذلك تدليسه ، فأما يخشى منه الخطأ فيه ، لكنه قد توبع كما يأتي فأما بذلك خطأه أيضاً ، وقد أخرجه الحاكم أيضاً (٥٩٠١٤ - ٥٩٢) بنماه موطلاً وكذا الطبراني في الكبير (٣٥٧/٩) رقم (٩٧٦٣) من طريق أبي خالد هذا عن ابن مسعود مرفوعاً وقد تابعه زيد بن أبي أنيسه مرفوعاً أيضاً بتمامه عند الطبراني [والبيهقي في البعث والنشور (٤٣٤)] وزيد ثقة ، فصح بذلك الحديث والحمد لله » أ . هـ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

الأعمال، روى مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان» (٢). وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (٣)، وجاء في حديث البطاقة المشهور أن البطاقة التي فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله توضع في إحدى كفتي الميزان، وأن سجلات السيئات توضع في الكفة الأخرى فترجح كفة البطاقة وتطيش كفة سجلات السيئات (٤). ولهذه الأدلة ذكر أهل السنة أن الميزان له كفتان، وأنه توزن فيه الأعمال وصحف الأعمال وأرباب الأعمال، والله أعلم، وعلى كل حال يجب الإيمان بالوزن والميزان، وأن العبرة بالأعمال لا بالشخص نفسه، ولا بالصحف نفسها، إنما الاعتبار في الوزن هو الأعمال في الرجحان والخفة، وشؤون الآخرة من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها إثباتاً ونفيّاً، فعلياً أن نؤمن بما صح من النقل في ذلك كتاباً وسنة، ولا نعارضه بعقولنا،

(١) سورة القارعة، الآية: ٤: ٩.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب: فضل الوضوء (٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في التوجيه، باب: وضع الموازين القسط ليوم القيامة (٧٥٦٣) ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٢١٣/٢) والترمذي في الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٢٦٣٩). وقال «حسن غريب» وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجي من رحمه الله يوم القيام (٤٣٠٠) والحاكم (٥٢٩، ٦/١) وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

تراجع هذه المسألة في كتاب (تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان) للعلامة مرعي بن يوسف الحنبلي.

لقصورها عن إدراكه ، ورحم الله أمراً عرف قدره ، ولم يتجاوز حده ، ومن أنكر ذلك أو تأول ما ورد فيه من النصوص فقد رام ما ليس إليه ، ولا في دائرة تفكيره ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

مبحث في أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأنهما باقيتان لا تفنيان

هذا المبحث يتضمن أمرين ، الأول : خلق الجنة والنار ووجودهما في الدنيا ، والثاني بقاءهما أبد الأبدين وفي كل منهما خلاف بين العلماء ، وفيما يلي بيان مذهب أهل السنة ومخالفهم في الأمرين مع الدليل :

الأمر الأول : اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار موجودتان في الدنيا ، ولم يعرف لهم مخالف في صدر الإسلام ، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) . وقوله تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) فدل التعبير عن إعداد الجنة للمؤمنين بالفعل الماضي على أنها موجودة بالفعل في الدنيا ، وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٣) . وقوله : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٤) . وقوله : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٣ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٣١ .

مرصداً (٢١) للطَّاعِينَ مَبَابٍ (١) فدل التعبير بالماضي على أن النار وجدت فعلاً.

وأما السنة فالأحاديث الدالة على وجودهما الآن كثيرة، منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» (٢). وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها وإلى أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع، فقال: وعزتك، لقد خشيت ألا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها ما فيها، قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها» (٣) فهذان الحديثان صريحان في إعداد كل من الجنة

(١) النبأ، الآية: ٢١، ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في الجناز باب: الميت يعرض مقعده في الغداة والعشي (١٣٧٩) ومسلم في الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (٢٦٦٨).

(٣) أخرجه أبو داود في الستة باب في خلق الجنة والنار (٤٧٤٤) والترمذي في صفة الجنة. باب: =

والنار لأهلها ، وروى مالك في الموطأ وأصحاب السنن من حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة « (١) . وجاء في حديث خسوف الشمس أن النبي ﷺ رأى الجنة والنار وهو يخطب أصحابه وأنه حدثهم عنها (٢) ، وثبت أن الله أسكن آدم وحواء الجنة قبل أن يهبطهما إلى الأرض ، من أجل مخالفتهما لله بأكلهما من الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها .

وأما الإجماع : فإن صدر هذه الأمة لم يزالوا على القول بوجودهما في الدنيا حتى نبتت نابتة من القدرية والمعتزلة فأنكرت ذلك وهم محججون بالنصوص ، وإجماع الأمة قبل وجودهم .

شبهة من أنكر وجود الجنة والنار الآن :

أولاً قالوا : خلق الجنة والنار قبل يوم الجزاء عبث ، لأن كلا منهما تبقى معطلة مدة طويلة دون أن يجزيء بها أحداً ، والعبث محال على الله ،

= ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحف النار بالشهوات (٢٥٦٠) وقال (حسن صحيح) والحاكم (٢٦/١) .

وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٠٨٦) ومن هنا يتبين أن عزو الشيخ لمسلم خطأ .

(١) أخرجه مالك في الموطأ في الجنائز . باب : جامع الجنائز (٤٩) وأحمد (٤٥٥/٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠) والنسائي في الجنائز : باب أرواح المؤمنين (١٠٨/٤) وابن ماجه في الزهد ، باب : ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٧١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٩٥) .

(٢) كما في حديث عائشة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في الكسوف في ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٩٠١) ومن حديث جابر (٩٠٤) وحديث أسماء أخرجه البخاري في الكسوف باب : صلاة النساء مع الرجال في الكسوف (١٠٥٣) ومسلم في الكسوف (٩٠٥) وحديث ابن عباس أخرجه البخاري في الكسوف (١٠٥٢) ومسلم (٩٠٧) .

وأجيب أولاً بأنه معارضة للنصوص الصحيحة الصريحة بالعقل في أمر غيبي لا يعرف إلا من أهل النقل ، وثانياً بأن وجودهما في الدنيا فيه فائدة ، لأن المؤمنين ينعمون في قبورهم ، وأرواحهم نسמת تعلق في شجر الجنة ، والكفار يعذبون في قبورهم بالعرض على النار ورؤية كل منهم لمقعدة فيهما إلى أن يبعثه الله كما تقدم بيانه ، فوجودهما ليس بعبث .

واستدلوا ثانياً: بقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (١) ، وقوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٢) ، قالوا : فلو كانتا موجودتين الآن لهلكتا وذاق كل من فيهما الموت عند النفخة الأولى في الصور من أجل إنهاء الدنيا وتخريبها ، وأجيب بأن كلا من الجنة والنار مستثنى مما يصيبه الهلاك والفناء عند النفخة الأولى ، لأنهما خلقتا للبقاء .

قال الله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (٣) فإنهما داخلتان في عموم من شاء الله بقاءه جمعاً بين الأدلة ، وأيضاً المعنى كل شيء كُتِبَ عليه الهلاك أو ذوق الموت فهو هالك ، والجنة والنار ليستا مما كُتِبَ عليه الهلاك ، لأنهما خلقتا للجزاء ، وأيضاً معنى كل شيء هالك ، إلا وجهه كل عمل حابط إلا ما أريد به وجه الله ، بدليل قوله في صدر الآية : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٤) .

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٦٨ .

(٤) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

واستدلوا ثالثاً : بما ذكره الله عن امرأة فرعون من قولها : ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (١) وبقول رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد اقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم بأن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (٢) . وقوله ﷺ : « من قال : سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة » (٣) ، قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لما طلبت امرأة فرعون من ربها أن يبنّي لها بيتاً فيها ، ولما قال ﷺ إنها قيعان ، وأنها لا تزال يغرس فيها كلما كان التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير من العابدين وأجيب بأن ما ذكرتم دليل على وجود الجنة الآن لا على عدمها إلا أنها لا تزال يخلق الله فيها أنواعاً من النعيم ما ذكره الذاكرون ، بل يجدد الله فيها يوم القيام أنواعاً من النعيم فالإنشاء فيها مستمر اليوم ويوم القيامة ، والنعيم فيها متجدد أبد الأبدين .

الأمر الثاني: اتفق أهل السنة على أن الجنة لا تفتنى ، وذهب جمهور منهم إلى أن النار أيضاً لا تفتنى وقالت طائفة قليلة منهم بفناء النار .

(١) سورة النحر ، الآية : ١١ .

(٢) أخرجه الترمذي . في الدعوات (٣٤٦٢) ، والطبراني في الكبير (٢١٤ / ١١٠) رقم (١٠٣٦٣) وغيرهما . قال الترمذي (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود) وفيه عبدالرحمن بن إسحاق وهو ضعيف إتفاقاً وأعله أبو حاتم وأبو زرعة بالإتقطاع كما حكاه منهما ابن أبي حاتم في العلل (١٧١ / ٢) .

قال الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠٥) « لكن يقويه أن له شاهدين من حديث أبي أيوب الأنصاري وعبدالله بن عمر » وذكرهما . فليراجع .

(٣) أخرجه الترمذي . في الدعوات (٣٤٦٤) ، (٣٤٦٥) وقال عن الأول (حسن صحيح غريب) وعن الثاني (حسن غريب) . والحاكم (١ / ٥٠١ - ٥٠٢) وقال صحيح على شرط مسلم وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٦٤) بشواهده .

والدليل من القرآن على بقاء الجنة قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (٥).

واختلف السلف في الاستثناء من خلود المؤمنين في الجنة بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ (٦) فقيل: إنه استثنى المدة التي يمكثها عصاة المؤمنون في النار قبل دخولهم الجنة من مدة خلودهم في الجنة، فالمعنى يخلد المؤمنون في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة شاء ربك أن يقضيها عصاة المؤمنين في النار قبل دخولهم الجنة، وقيل: إنه استثناء الرب ولا يفعله، كقولك: والله لا أكرم من إلا أن أرى غير ذلك. وأنت لا ترى إلا إكرامه، وقريب منه ما قيل: من أن الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فهم في مشيئة الله، لا أنهم باستقرارهم في الجنة وتمكنهم منها خرجوا من مشيئة الله، ولا ينافي ذلك إرادته إرادة كونية أن يخلدوا فيها، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ شِئْنَا

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٨.

(٣) سورة ص، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٥٦.

(٥) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٦) سورة هود، الآية: ١٠٨.

لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿١﴾ وهو سبحانه لبقاء ما أوحى به إلى رسوله ، وقوله : ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ﴿٢﴾ وهو سبحانه لا يشاء الختم على قلب رسوله ، بل أراد له استمرار الهداية والإمداد بالنور وصفاء البصيرة وقوله : ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ ﴿٣﴾ . وقد شاء سبحانه إعلامهم به ، وتلاوة رسوله القرآن عليهم ، إلى غير هذا من النظائر التي يقصد بذكر المشيئة فيها إثبات كمال الاختيار ، وأن الأمور لم تخرج من دائرة تقديره سبحانه وتصريفه ، واختار ابن جرير أن [إلا] بمعنى لكن ، وعليه يكون الاستثناء منقطعاً ، والمعنى خالدين فيها سوى ما شاء ربك من زيادة النعيم ، أو لكن هنا بعد زيادة النعيم والإكرام على الخلود ما لا يقدر قدره إلا الله ، فليس المراد قطع أمر الخلود ، ولكن المراد زيادة نعيم إلى جانب خلودهم في الجنة ، بدليل ما ختمت به الآية من قوله تعالى : ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ ﴿٤﴾ .

والدليل من السنة على أبدية الجنة قوله ﷺ : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت » ﴿٥﴾ . وقوله : « ينادي منادياً أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً » ﴿٦﴾ . وقوله : « يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٦ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ١٦ .

(٤) سورة هود ، الآية : ١٠٨ .

(٥) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٦) من حديث أبي هريرة .

(٦) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٧) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد

موت» رواه البخاري ومسلم (١).

أما أبدية النار ففيها آراء كثيرة ، للسلف منها رأيان :

الأول : رأي جمهور السلف ، قالوا : إن النار باقية لا تطفئ ، ومن دخل بقي مخلداً فيها أبداً إلا من دخلها من عصاة المؤمنين ، فإنهم يخرجون منها على ما تقدم بيانه في مبحث الشفاعة ، واستدلوا على بقائها وخلود الكافرين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (٢) . وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعِهِ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴿ (٤) . وقوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (٥) وقوله : ﴿ فَذُوقُوا فَلَآنَ نَزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (٦) . وقوله : ﴿ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٧) .

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب وأنذرهم يوم الحسرة (٤٧٣٠) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) سورة البقرة ، الآية : الآية ١٦٧ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية : ٧٥ .

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٣٦ .

(٦) سورة النبأ ، الآية : ٣٠ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ٩٧ .

وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١) .

الرأي الثاني : أن النار تفتنى بعد أن يستوفى الكفار نصيبهم من العذاب فيها ، ونسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة من الصحابة ، وبه قال ابن تيمية وابن القيم وجماعة (٢) ، واستدل لهذا الرأي بقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) . وقال : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (٤) .

قالوا : استثنى من الخلود في الآيتين بقوله في الآية الأولى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وبقوله في الآية الثانية : ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ولم يأت بعد الاستثناءين ما يدل على عدم الانقطاع وانتهاء العذاب ، كما جاء عقب الاستثناء من الخلود في نعيم الجنة ، فإن الآية ختمت بقوله : ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٦ .

(٢) وفي نسبة القول بفناء النار إلى من ذكر من الصحابة رضي الله عنهم وإلى ابن تيمية وابن القيم نظر عند بعض أهل العلم يراجع في ذلك رفع الإستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمير الصنعاني ، توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين للعلامة مرعي بن يوسف الحنبلي ، كشف الأستار لأبطال إدعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية للدكتور علي بن علي بن جابر الحربي اليماني .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٨ .

(٤) سورة هود ، الآية : ١٠٦ ، ١٠٧ .

مَجْدُودٍ^(١) وهو دال على دوام النعيم واستمراره فكان قرينة على ان الاستثناء الذي قبله لا يراد به الإخراج ، إنما يراد به اثبات كمال الاختيار واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿لَا يَبْنِي فِيهَا أَحْقَابًا﴾^(٢) فجعل اللبث في النار مدة محدودة ، فدل على انتهاء العذاب ، واستدلوا أيضاً بأن النار موجب غضبه والجنة موجب رحمته وقد روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال : « لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي سبقت غضبي »^(٣) . وفي رواية : « تغلب غضبي »^(٤) . قالوا فلو بقي الكفار في النار ، ولم تنفئ النار لكان غضبه قد سبق رحمته ، وفي هذا خلف الخبر الصادق ﷺ عنده ، وخلف خبره مستحيل .

قالوا : وما ورد من النصوص الدالة على خلود الكفار فيها أبداً وعدم خروجهم منها فلا نزاع فيه ، لكنه يقتضي البقاء في العذاب ما دامت النار باقية ، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد ، وهناك فرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس قائم ، وبين من ينهدم حبسه وينتقض بناؤه ، فيبطل حبسه وينتهي سجنه بانتقاض البناء ، وقد يناقش هذا بأنه وإن صلح جواباً عن أدلة الخلود فلا يصلح جواباً عن النصوص الصريحة في أن عذابها مقيم ، وأنه كان غراماً ، وأن النار كلما خبت زادها الله سعيراً ، وأنهم

(١) سورة هود ، الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة النبأ ، الآية ٢٣ .

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد باب قوله تعالى وقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (٧٤٥٣) . وفي

باب قول الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ (٧٥٥٣) ، (٧٥٥٤) . ومسلم في

التوبة باب سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه (٣٧٥١) (١٥) من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه (٧٤٠٤) ومسلم في التوبة

باب سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه (٣٧٥١) (١٤) .

لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف بل يزيدهم الله عذاباً، وأنهم كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، اللهم إلا أن يقال : إن الاستثناء بالمشيئة في الآيتين السابقتين مسلط على جميع النصوص التي دلت على دوام العذاب واستمراره، وعلى كل حال فالموضوع من شئون الله فليترك إلى الله سبحانه والله وأعلم .

مبحث في محبة أصحاب رسول الله ﷺ وموالاتهم والرد على الروافض والنواصب

واعلم أن أهل السنة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله ﷺ ويشنون عليهم ويترضون عنهم ، كما أثنى الله عليهم وترضى عنهم ، قال الله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١) وقال : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢) وقال : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣) إلى آخر السورة وقال ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فُضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٤) الآيات إلى ﴿إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) إلى غير هذا من الآيات التي وردت في ثناء الله عليهم وترغيب المؤمنين في حبهم والدعاء لهم ولمن تبعهم بإحسان ، وهم متفاوتون وأنفق فيما بينهم ، فبعضهم فوق بعض درجات ، فأعلاهم درجة أهل بيعة الرضوان ، وكل من آمن قبل فتح مكة وأنفق في سبيل الله وقاتل

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١٨ .

(٣) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

(٤) سورة الحشر ، الآية : ٨ .

(٥) سورة الحشر ، الآية : ١٠ .

لإِعلاء كلمة الله، قال الله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُتَفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١) . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » (٢) رواه مسلم، فدل الحديث على أن من أسلم قبل فتح مكة وقبل صلح الحديبية كعبد الرحمن بن عوف أفضل ممن أسلم بعد صلح الحديبية وبعد فتح مكة كخالد بن الوليد، وإذا كان حال خالد بن الوليد ومن أسلم معه أو بعده من الصحابة بالنسبة لعبد الرحمن بن عوف والسابقين معه إلى الإسلام هو ما ذكر في الحديث ، فكيف بحال من جاء بعد الصحابة بالنسبة إلى الصحابة، رضي الله عنهم، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ ، « لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة » (٣) ، وفي حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدري أذكر بعد

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة قال النووي في شرح صحيح مسلم (٩٣ / ١٦) « قال أهل اللغة النصيف النصف ومعناه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مداً ولا نصف مد .

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أصحاب الشجرة (٢٤٩٧) عن جابر بن عبد الله أخبرني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها » .

قرنه قرنين أو ثلاثة^(١) .

يرى أهل السنة أن حب الصحابة دين وإيمان وإحسان لكونه امتثالاً للنصوص الواردة في فضلهم ، وأن بغضهم نفاق وضلال لكونه معارضاً لذلك ، ومع ذلك فهم لا يتجاوزون الحد في حبهم أو في حب أحد منهم لقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(٢) ولا يخطئون أحداً منهم ، ولا يتبرءون منه ، ولهذا ورد عن جماعة من السلف كأبي سعيد الخدري والحسن البصري وأبراهيم النخعي ، أنهم قالوا : الشهادة بدعة ، والبراءة بدعة ، ومعنى ذلك أن الشهادة على مسلم معين أنه كافر أو من أهل النار بدون دليل يرشد إلى الحكم عليه بذلك بدعة ، وأن البراءة من بعض الصحابة بدعة .

س : ما هو حديث دعاء الكرب^(٣) ؟

روى البخاري ومسلم حديث دعاء الكرب ونصه « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم »^(٤) .

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه (٣٦٥٠) ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٣٥٣٥) . (٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٧ .

(٣) الكرب : بفتح الكاف وسكون الراء هو ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٥٠ / ١١) .

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات باب الدعاء عند الكرب (٦٣٤٦) ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب دعاء الكرب (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . قال النووي في شرح صحيح مسلم (٤٧ / ٧) « وهو حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة . قال الطبري كان السلف يدعون به ويسمون دعاء الكرب .

الكرامات

س ٢ : فضيلة الشيخ سمعنا عن كرامات حدثت مع إخواننا المجاهدين الأفغان فما هي الكرامة ومدى صحتها أفادكم الله وهل نصدقها؟^(١)

الجواب : الكرامة خارقة للعادة أي حادثة تكون خارقة للعادة ، يجريها الله جل شأنه على يد من شاء من الصالحين إكراماً له ، أو إنفاذاً له من موقف رأفة له ورحمة به ، وهي غير المعجزة ، فالمعجزة خارقة للعادة يظهرها الله جل شأنه على يد نبي من أنبيائه ، أو رسول من رُسله بياناً لرسالته ، وتأيداً له في دعوته ، وإقامة للحجة على قومه ، لإثبات أنه رسول من عند الله ، وأنه نبي من أنبياء الله ، هذه تسمى معجزة تجري على يد رسول أو نبي من أنبياء الله والأولى تعتبر كرامة تظهر على يد صالح من الصالحين غير الأنبياء وقد تظهر على يد الأنبياء أيضاً فيما بينهم ، وهي التي ظهرت على يد الرسول ﷺ .

فمثلاً تكثير الطعام في غزوة الخندق كان الطعام لا يكفي إلا خمسة ، أو لعشرة مثلاً ، فكفى جيشاً من الجيوش بإذن الله ، كفى المؤمنين في المدينة ، دعاهم أنس^(٢) وجاءوا لبيت أبي طلحة ، وأم أنس هي التي صنعت الطعام وأعدته ولما جاء الرسول ﷺ أمرها أن تأتي بالطعام ، ودخلوا عشرة عشرة فأطعمت جميع من كان يحفر في الخندق ، وبقي الطعام كما هو وهذا فيما

(١) سؤال موجه للشيخ رحمة الله تعالى في مدينة الطائف .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٨) ، (٤١٠١-٤١٠٢) .

بين الرسول ﷺ والمؤمنين ، لا يراد به إقامة حجة على كافر ، إنما يراد به إكرام المؤمنين بإطعامهم من جوع لأنه قد ظهر عليهم ، وكان الرسول ﷺ محتزماً من شدة الجوع بحزام ضاغط به على جلد بطنه حتى يستطيع أن ينتصب قائماً .

هذا مما ظهر من الكرامات على يد الأنبياء ، وهو يسمى أيضاً معجزة ، ولكن لا يراد بها إقامة الحجة في مثل هذا .

وأيضاً لم يكن عندهم ماء في سفرهم إلا الشيء القليل ، وأمر الرسول ﷺ بقليل من الماء ووضع يده فيه فنبع الماء من بين أصابعه^(١) وهو بين الصحابة رضوان الله عليهم ، وهو شبيه بالخارقة الأولى التي حصلت إكراماً له وللصحابة ، فشربوا وسقوا وتوضئوا ، ومن كان عليه جنابة اغتسل ، ومن أراد أن يتنظف تنظف .

وهناك معجزة أخرى ولكن لا يراد بها إقامة حجة مثل القرآن ومثل انشقاق القمر^(٢) ومثل المعجزات الأخرى التي ظهرت أمام الكفار ، إثباتاً

(١) أخرج البخاري (٣٥٧٣) ، (٣٥٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الوضوء فلم يجده ، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا عن آخرهم .

(٢) أخرج البخاري (٣٦٣٦) من حديث بن مسعود رضي الله عنه قال (انشق القمر على عهد النبي ﷺ شقتين ، فقال النبي ﷺ اشهدوا) .

أخرج البخاري (٣٦٣٧) من حديث أنس بن مالك قال (أن أهل مكة سألو رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر) .

لرسالة نبينا محمد ﷺ .

فالكرامة تظهر على يد الرسول ﷺ ، وعلى يد غيره من الصالحين الذين ليسوا برسل ، ولا أنبياء ، والمعجزة لا تظهر إلا على يد الأنبياء والرسل ، والكرامة عامة في الرسل ، والأنبياء ، وفي الصالحين من غير الأنبياء والرسل ، هذا من تظهر على يده الكرامة وهذا تعريفها .

أما وقوع الكرامة فقد وقعت كما ذكرت للرسول ﷺ ، ووقعت لبعض الصحابة ، روى البخاري أن الرسول ﷺ كان إذا أرسل جماعة ولو اثنين وكانوا في سفر ، أمر واحد منهم على الآخر ^(١) ، وإذا كانوا ثلاثة أمر واحداً واثنين رعية والأمير مسئول عن الاثنين ، هذه طريقة النبي ﷺ وهي وسيلة إلى التأخي ، وإلى التنظيم ، وإلى وحدة مصدر صدور الأوامر حتى لا يختلفوا ، لا بد من أمير عليهم يأمرهم ويطيعوه في حدود المعروف ، خرج اثنان من عنده وأمر واحداً منهم على الآخر وانطلقوا فظهر أمامهم شيء من النور ^(٢) لا يوجد معهم مصباح اصطحبوه من المدينة ، ولا يوجد هناك كهرباء ، إنما هو نور من عند الله ، فلما افترقا كان مع هذا نور إلى بيته ، ومع هذا نور إلى بيته ، حتى وصل كل منهم بيته ومعه نور ، هذا من

(١) الذي ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا أرسل اثنين قال لهما مثالا : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا وأما إذا كانوا ثلاثة فصاعدا فيؤمر عليهم أحدهم وقال : إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ، صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٦٣) وفي الإرواء (٢٤٥٤) .

(٢) أخرج البخاري (١٧٢/٣ ، ١٧٣) من حديث أنس بن مالك أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله وفي بعض الروايات أن الرجلين أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما .

الكرامات التي حصلت على يد بعض الصحابة .

وأيضاً في غزوة من الغزوات كان زعيمها أو قائدها سارية عمر بن الخطاب كان ملهما محدثا كما ذكر الرسول ﷺ عنه « إن كان في الأمة محدثون فعمرو بن الخطاب رضي الله عنه » ^(١) هذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ ، وكان عمر ملهماً وكان يرى الرأي للنبي ﷺ فينزل به القرآن تصديقاً لعمر بن الخطاب ، وهذا الأمر حصل عدة مرات ، فصلاة ركعتين إلى جهة الحجر الأسود عَقَبَ الطواف ^(٢) نزل به القرآن تصديقاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فهذا بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب على المنبر ألهمه الله ، أو أراه الله سارية ، والجيش من ورائه ، فقال له : يا سارية إلزم الجبل أي اجعل ظهرك إلى الجبل حتى لا يأتيك العدو من الخلف ، وهذه خطة حرب علمه إياه ، وهو في غيبة عنه على مسافة أطول من مسافة القصر بعشرات

-
- (١) أخرج البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لقد كان فيمن قبلكم من الأمم أناسٌ محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر) زاد زكريا بن أبي زائدة عن سعد عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ (لقد كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فعمر) .
- (٢) روى البخاري في كتاب الصلاة ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٣٤) من حديث أنس قال : قال عمر : « وافقت بي في ثلاث قلت : يا رسول الله (لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلًى) فنزلت ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى ﴾ وآية الحجاب قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك يحتجن فإنه يكلّمهن البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن : فنزلت هذه الآية) .

المرات ، ومع ذلك سمع سارية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولما حضر سأله نادى عمر في يوم كذا وقال كذا أسمعت ؟ فقال : لقد سمعته ولقد انصرفت إلى الجبل وجعلته في ظهر الجيش فنصرنا الله على أعدائنا .

فهذه كرامة يذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيره من علماء المسلمين كرامة لعمر بن الخطاب ، وكرامة لسارية ولسائر الجيش ، رسم لهم خطة حربية وهو على المنبر في المدينة وذاك أمام الجيش يجاهد في سبيل الله ، هذا من الكرامات التي وقعت في حرب مثل الحرب الذي تعرفوه أنتم ، والقلوب إلى الله ويوجد المخلص ، وغير المخلص ، قد يكون في الجيش بعض المنافقين ، وأيضاً يوجد بعض المخلصين ، وجيش الرسول ﷺ خرج فيه بعض المنافقين في غزوة تبوك ، وأرادوا أن يغتالوا ﷺ ، فالجيوش لا تسلم من أن يكون فيها خائن أو فيها من يدبر سوءاً للجيش ، وخرج عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة أحد ، ومعه كثير من المنافقين ، وكثير من ضعفاء القلوب ، ولما وصلوا إلى مكان القتال رجع عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بثلاث الجيش ، فكادت تحصل فتنة في الجيش ، وكادوا ينقسم بعضهم على بعض ، وبعضهم يحدث نفسه بالانصراف وفي ذلك يقول الله جل شأنه : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ (١) قد يحدث هذا ، وبالفعل حدث ذلك في الجيش الذي خرج فيه جماعة من المنافقين ، ورجع منه جماعة ، فأنزل الله الملائكة وحاربت المشركين كما أنزل ملائكة في غزوة بدر ، وكانت الملائكة تنزل في مواطن كثيرة في الحروب ، وهذا

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٢٢ .

من الكرامات التي حصلت للمؤمنين في غزوة بدر ، وحصلت لهم في غير غزوة بدر ، وتحصل للمسلمين في الوقت الحاضر ، قد يكون عند إنسان إلهام يلهمه الله إياه ، ولا يصل إلى درجة اليقين حتى يكون علم غيب كما حصل لأبي سعيد الخدري ^(١) في قصة الرقية التي ذكرت من قبل .

أقول إن الكرامات لها حقيقة وعرفتها لكم ، وأنها تظهر على يد صالح من المسلمين ، وأنها خارقة للعادة ، وقد تظهر على يد رسول من رسل الله ونبي من أنبيائه ، أما المعجزة فلا تظهر إلا على يد نبي إثباتاً لرسالته أو لنبوته .

(١) الحديث سبق تخريجه ، ص ١٦ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

التعريف بأهل السنة والجماعة
وتمييزهم عن الفرق الإسلامية

أهل السنة والجماعة

سئل الشيخ رحمه الله تعالى : من هم أهل السنة والجماعة ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : أهل السنة والجماعة من كان على مثل ما كان عليه النبي - ﷺ - بأن عملوا بالكتاب والسنة والإجماع فما كان صحيحاً صريحاً من ذلك وبلغهم التزامه ، وما كان محل نظر واجتهاد بحثوه فإن انتهى البحث إلى وفاق فيها وإلا عمل بما أداه إليه اجتهاده دون خصومة أو عداوة أو سب لمن خالفه في ذلك رعاية لحق الأخوة الإسلامية ، وأهل الفرقة والاختلاف هم الذين لم يعملوا على ما ذكر من الأدلة الصحيحة الصريحة أولم يرد وماتنازعوا فيه من المسائل الاجتهادية إليها ، وأعجب كل منهم برأيه أو رأي ما وافقه ولم يرجع عنه ونصره وقاتل من أجله ومنشأ الفرقة والخلاف بالظن والهوى وتقديم العقل على ماصح من النقل وأول الفرق الضالة ظهوراً الخوارج والشيعة وقد قاتل الصحابة الخوارج دون خلاف منهم في الإقدام على قتالهم وحرق على من غلا فيه من شيعته ، وأراد قتل عبدالله بن سبأ فهرب منه .

وأصول الفرق المبتدعة خمسة : الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجهمية ، وحكي عن ابن المبارك أن الجهمية كفار ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة وهذا انبنى على أن الثنتين والسبعين فرقة لم تكفر ببدعتها ، ومن المتأخرين من كفرهم جميعاً ، والمعروف عن السلف إطلاق القول بتكفير الجهمية المحضة وفي تكفير الخوارج والروافض خلاف ، ومن نفى من القدرية العلم والكتابة فكافر ومن أثبتهما ونفى خلق الله للأفعال ففاسق .

الفرق الإسلامية

تمهيد :

كان الناس أمةً واحدةً على الحق بما أودع الله فيهم من فطرة الإسلام وبما عهد إليهم من الهدى والبيان ، فلما طال عليهم الأمد قست قلوبهم فاجتالهم الشياطين عن الصراط المستقيم ، وسلكت بهم بنيات الطريق فمتزقت وحدتهم ، واختلف كلمتهم ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً . قال - تعالى - : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا ﴾ (١) .

وقال : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (٢) .

وقال ، ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فزبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » (٣) . الحديث . وقد أمر الله - تعالى - في كتبه ، وعلى السنة رسله بوحدة الكلمة ، والاعتصام بشرعه ، وحذر من الفرقة والاختلاف ، وبين عاقبة ذلك بما ذكر من أحوال الأمم الماضية ، وما حاق بها من الدمار ، وزصابتها من الهلاك ، وحثهم على البلاغ والبيان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، نصرة للحق ، وإزالة للشبهة ، وإحباطاً لكيد دعاة السوء ، واستوائهم النفوس الضعيفة . قال الله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب : ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥) واللفظ له وأخرجه مسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٥٨) ولفظه (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) .

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) . وقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٣) .

وعن العرياض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ ، موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ! كأنها موعظة مودّع ، فماذا تعهد إلينا؟ فقال : « أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يعش منكم بعدي ، فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٤) . إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث (٥) .

* ومع ذلك دب الخلاف بين الناس ، فما من أمة من الأمم إلا وقد اختلفت بهم الأهواء حتى وضع كل لنفسه أصولاً عليها يبني مذهبه ، وإليها

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) سورة الزنعم ، الآية : ١٥٩ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٧/٤) وأبو داود في السنة باب : في لزوم السنة (٤٦٠٧) والترمذي في العلم باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) وقال (حسن صحيح) ، وابن ماجة في المقدمة باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢) ، (٤٣) ، (٤٤) من طرق عن العرياض بن سارية رضي الله عنه وقد صححه غير واحد من أهل العلم راجع تعليق على السنة لابن أبي عاصم للشيخ الألباني (٢٧) . وعلى مشكاة المصابيح (١/ ٥٨) .

(٥) ويحسن بنا في هذا المقام أن ننقل ماقاله العلامة الألباني حفظه الله عن هذا الحديث إتماماً للفائدة فقال في السلسلة الصحيحة (٥٢٧/٦) «والحديث من الأحاديث الهامة التي تخص المسلمين على التمسك بالسنة ، وسنة الخلفاء الراشدين الأربعة ومن سائر

يرجع في خصومته، فتناقضت مذاهبهم، وصار كل واحد حرباً على أخيه، وشغل بذلك عن كتاب الله، وهدى رسوله عليه الصلاة والسلام، إلا أنه - سبحانه - جرت سنته، واقتضت حكمته، أن يقيض للحق في كل عصر مائة تقوم عليه، وتهدي الناس إليه، إنجازاً للوعد بحفظ دينه، وإقامة للحجة، وإسقاطاً لمعاذير، قال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (١). وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢). وقال ﷺ : « افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى وأثنتين وسبعين فرقة وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة (٣) كلها في النار إلا

=سيرتهم، والنهي عن كل بدعة، وأنها ضلالة، وإن رآها الناس حسنة، كما صح عن ابن عمر رضي الله عنه، والأحاديث في النهي عن ذلك كثيرة معروفة، ومع ذلك فقد انصرف عنها جماهير الملمين، لافرق في ذلك بين العامة والخاصة، اللهم إلا القليل منهم، بل إن الكثير منهم ليعدون البحث في ذلك من توافه الأمور، وأن الخوض في تمييز السنة عن البدعة، يثير الفتنة، ويفرق الكلمة، وينصحون بترك ذلك كله، وترك المناصحة في كل ما هو مختلف فيه ناسين أو متناسين أن من المختلف فيه بين أهل السنة وأهل البدعة كلمة التوحيد، فهم لا يفهمون منها وجوب توحيد الله في العباد، وأنه لا يجوز التوجه إلى غيره تعالى بشيء منها، كالاستعانة والاستعانة بالموتى من الأولياء والصالحين (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [سورة الكهف] الآية : ١٠٤) أ . هـ .

(١) سورة فاطر، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في السنة باب : شرح السنة (٤٥٩٦) والترمذي في الإيمان باب : ماجاء في افتراق هذه الأمة وابن ماجه ف يالفتن ، با : افتراق الأم (٣٩٩١) والحاكم (١/٦، ١٢٨) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال الترمذي (حسن صحيح) وقال الحاكم في الموضع الأول (احتج مسلم بمحمد بن عمرو) ورد الذهبي بقوله (قلت : ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفرد بل بانضمامه إلى غيره) وقال في الموضع الثاني (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي !! والصواب أن الحديث حسن قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣) (أن محمد بن عمرو فيه كلام ولذلك لم يحتج به مسلم إنما روى له متابعة ، وهو حسن الحديث) وقد قال الحافظ في (التقريب) (صدوق أو هام) والله أعلم .

واحدة . وفي الرواية قالوا ومن هي يارسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي » (١) . وفي رواية ، قال : « هي الجماعة » . رواه أبو داود ، والترمذي وابن ماجه وغيرهم . وفي الحديث : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ... » (٢) .

* وقد تبين من ذلك أن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، وإن شعارها كتاب الله ، وهدى رسوله ، عليه الصلاة والسلام ، وما كان عليه سلف الأمة الذين يؤمنون بمحكم النصوص ويعملون بها ، ويردون إليه ماتشابه منها ، وأما الفرق الضالة ، فشعارها مفارقة الكتاب ، والسنة وإجماع سلف الأمة ، واتباع الأهواء ، وشرع ما لم يزدن به الله من البدع وآراء الزائفة بناء على أصول وضعوها ، يوالون عليها ، ويعادون ، فمن وافقهم عليها ، أثنوا عليه وقربوه ، وكان في زعمهم من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفهم تبرأوا منه ونبذوه ، وناصبوه العداوة والبغضاء وربما رموه بالكفر ، والخروج من ملة الإسلام لمخالفته لأصولهم الفاسدة .

* هذا ، وليس في نصوص الكتاب والسنة ما يعتمد عليه في تعيين الفرق ، ولا بيان ما يربح إليه في تمييز بعضها من بعض ، وإن كان فيها التحذير من فرق الضلال ، وذكر عددهم ، وبيان شعارها إجمالاً ، ولسنا بمكلفين بتعيينها ، وتحديدتها ، ولا نحن في ضرورة إلى ذلك في عقيدة ، أو عبادة ، أو معاملة ، أو دعوة إلى الحق ، بل يكفينا في جميع شئوننا أن يتميز لدينا الحق من الباطل

(١) وجه ذلك أن النبي ﷺ قال : « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة قالوا : من هي يارسول الله ؟ قال (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي » رواه الترمذي (٦٢٤١) وغير من حديث بن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وله مشاهد عن أنس رضي الله عنه أخرجه الطبراني في (٧٢٤) وبه يرتقي إلى درجة السن انظر السلسلة الصحيحة () .

(٢) رواه البخاري كتاب المناقب (٣٦٤٠ ، ٣٧١١ ، ٤٧٥٩) . ومسلم في صحيح الجامع الصحيح كتاب الأمانة عن ثوبان رضي الله عنه رقم (١٠٣٧) .

بالحجة والبرهان، وبالحق يعرف رجاله والدعاة إليه فلا يعيب الشريعة إن خلت من ذلك، ولا ينقص قدر العلماء أن يضربوا صفحاً عن استقصاء الفرق الضالة حتى يبلغوا بها ما ذكر في الحديث من العدد، ومع ذلك، فقد حمل بعض العلماء حب الاستطلاع، والولع، والبحث أن يصنّفوا في تعيين الفرق، ويذكروا لكل فرقة مابه تتميز عن الأخرى إشباعاً للرغبة، واستجابة لداعي الفكر، وحاولوا أن يبلغوا بما جمعوا وقسموا وأصلوا وفصلوا ما ذكر رسول الله ﷺ في الحديث من غير أن يتجاوزوه أو يقفوا دونه.

* ومن أجل أن المسألة اجتهادية، ولا خبر فيها عن المعصوم تباينت مناهجهم في التصنيف، واختلف مذاهبهم في التعيين، فمنهم من أخذ في عد الفرق من غير أن يبنى على أساس، أو يستند إلى قانون يضبط ما ذكر من عدد الفرق، ومذاهبها، ومنهم من أصل أصولاً يتفرع عنها ماسواها، ووضع قواعد تضمنت المسائل التي وقع فيها النزاع، وذكر كبار الفرق التي ينشعب عنها ما عداها. ومن هؤلاء الشهرستاني في كتابه: «الملل والنحل». وإليك كلمته في أصول المذاهب، وكبار الفرق، فقال:

المقدمة الثانية :

في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية : اعلم أن لأصحاب المقالات رقاً في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى نص، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود، فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق .

ومن المعلوم الذي لا مرأى فيه أن ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما في مسألة ماعد صاحب مقالة . فتكاد تخرج المقالات عن حدّ الحصر والعدد، ويكون من انفراد بمسألة في أحكام الجوهر مثلاً معدوداً في أعداد أصحاب المقالات . فلا بدّ إذن من ضابط في مسائل هي : أصول، وقواعد يكون

الاختلاف فيها اختلافاً يعتبر مقالة ، ويعد صاحبها صاحب مقالة وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط ، إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيفما اتفق وعلى الوجه الذي وجد لا قانون مستقر ، لا أصل مستمر ، فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير ، حتى حصرتها في أربع قواعد هي : الأصول الكبار .

* القاعدة الأولى : الصفات ، والتوحيد فيها ، وهي تشتمل على مسائل : الصفات الأزلية إثباتاً عند جماعة ، ونفيّاً عند جماعة ، وبيان صفات الذات ، وصفات الفعل ، ، وما يجب لله - تعالى - وما يجوز عليه وما يستحيل ، وفيها الخلاف بين الأشعرية ، والكرامية ، والمجسمة والمعتزلة .

* القاعدة الثانية : القدر ، والعدل ، وهي تشتمل على مسائل : القضاء ، والقدر ، والجبر ، والكسب في إرادة الخير ، والشر ، والمحذور ، والمعلوم إثباتاً عن جماعة ، ونفيّاً عند جماعة ، وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية ، والجبرية ، والأشعرية ، والكرامية .

* القاعدة الثالثة : الوعد ، والوعيد ، والأسماء ، والأحكام ، وهي تشتمل على مسائل : الإيمان ، والتوبة ، والوعيد ، والإرجاء ، والتكفير والتضليل إثباتاً على وجه عند جماعة ، ونفيّاً عند جماعة ، وفيها الخلاف بين المرجئة ، والوعيدية ، والمعتزلة ، والأشعرية ، والكرامية .

* القاعدة الثالثة : السمع ، والعقل ، والرسالة ، والأمانة ، وهي تشتمل على مسائل : التحسين ، والتقبيح ، والصالح ، والأصلح ، واللطيف ، واعصمة في النبوة ، وشرائط الإمامة نصاً عند جماعة ، وإجماعاً عند جماعة ، وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص ، وكيفية إثباتها على مذهب من قال بالإجماع ، والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج ، والمعتزلة ، والكرامية ، والأشعرية . فإذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من

هذه القواعد عددنا : مقالاته مذهباً ، وجماعته فرقة وإن وجدنا واحداً انفرد بمسألة ، فلا نجعل مقالاته مذهباً ، وجماعته فرقة بل نجعله مندرجاً تحت واحدة ممن وافق سواها مقالاته ، ورددنا باقي الفروع التي لا تعد مذهباً مفرداً ، فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية وإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبينت أقسام الفرق ، وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل بعضها في بعض .

كبار الفرق الإسلامية

أربع

القدرية الصفاتية الخوارج الشيعة

ثم يتركب بعضها مع بعض ، ويتشعب عن كل فرقة أصناف ، فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة ، ولأصحاب كتب المقالات ، طريقان في الترتيب .

أحدهما : أنهم وضعوا المسائل أصولاً ثم أوردوا في كل مسألة : مذهب طائفة طائفة ، وفرقة فرقة .

والثاني : أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولاً ، ثم أوردوا مذاهبهم في مسألة مسألة ، وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة لأنني وجدتها أضبط للأقسام وأليق بأبواب الحساب ، وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحيحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله ، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية ، في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ، ونفحات الباطل .

* ومهما يكن المنح الذي سلكه من ألف في الفرق الإسلامية ، وأياً كان اجتهادهم في تعيين الفرق ، وتمييز بعضها من بعض لتبلغ العدد الذي ورد في الحديث ، فلن يبرئهم ما وضعوا من الأصول والضوابط من معرة التكلف ، ولن يعصمهم من مزالق التخمين ، وما يوجه إليهم من طعنات النقاد .

فإن النصوص وإن دلت على حدوث الفرق في هذه الأمة ، وبيّنت عدد الفرق إجمالاً لم تخص بحدوث الفرق عهداً دون عهد ، والأمة لا تزال تتابع أجيالها ، وتختلف آراؤها ، والمستقبل غيب لا يعلمه إلا الله ، فربما

حدث من البدع ، ومذاهب الضلال ما ليس في الحسبان مما لا يمكن رده إلى مذاهب الفرق الأولى .

* وإذا كان ذلك على ما وصفت كان تعيين الفرق رجماً بالغيب واقتحاماً لمتاهات لا تزيد من رمى بنفسه فيها إلا حيرة ، مع ما في ذلك من التكلف في ضم بعض الفرق إلى بعض بإلغاء ضرب من الخلاف خشية أن يتجاوز العدد ما ذكر في الحديث ، أو جعل الواحدة فرقتين باعتبار نوع من الخلاف حذراً أن ينقص العدد عما ذكر في الحديث إلا أن التأجيل ، ووضع القواعد على النحو الذي صنفه «الشهرستاني» وغيره أقرب إلى الضبط وزسرع لفهم والتحصيل ، وأبعد عن نشر الكلام ، وزدخل في صناعة التأليف . لذلك اكتفيت بذكر أصول الفرق الكبار مع مراعاة ترتيبها حسب حدوثها من غير استقصاء ، أو محاولة بلوغ العدد المذكور في الحديث .

وذكر جملة من الفرق المشهورة التي تشعبت عنها مع بيان شيء مما يتميز به كل منها .

* الخوارج :

خرج جماعة من المسلمين على الخليفة الثالث عثمان بن عفان لأمر تقموها منه ، وأحداث أنكروها عليه ، وما زال بهم اللجاج في الخصومة معه حتى قتلوه . ولما انتهت الخلافة إلى علي بن أبي طالب كان ممن اختلف عليه وقاتله : طلحة بن عبيد الله القرشي ، والزبير بن العوام . فأما الزبير فقتله ابن جرموز ، وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم فقتله ، وكانت معهما عائشة - رضي الله عنها - على جمل لها ، ولكنها رجعت سالمة مكرمة لم يعترض عليها أحد ، وتسمى هذه الموقعة بـ «موقعة الجمل» (٣٦هـ) . واختلف على علي - أيضاً - معاوية ومن تبعه - رضي الله عنهم - ودارت الحرب بين الفريقين في صفين حتى كان التحكيم الذي زاد الفتنة اشتعالاً ودب الخلاف

في جيش عليّ ، وخرج عليه ممن كان من أنصاره فرقة تعرف بالحرورية ، وبالشراة . واشتهرت باسم الخوارج .

* وحديث العلماء في الفرق الإسلامية عن الخوارج إنما هو عن هؤلاء الذين خرجوا على عليّ - رضي الله عنه - من أجل التحكيم . أما طلحة والزبير ، ومعاوية ، ومن تبعهم ، فلم يعرفوا عند علماء المسلمين بهذا الاسم .

ثم صارت كلمة الخوارج تطلق على كل من خرج على إمام من أئمة المسلمين ، اتفقت الجماعة على إمامته في أي عصر من العصور دون أن يأتي ذلك الإمام بكفر ظاهر ليس له عليه حجة ، وإذن فأول من أحدث هذه البدعة في هذه الأمة ، الجماعة التي خرجت عليّ بن أبي طالب سنة ٣٩ هـ ، وأشدّهم في التمرد ، والخروج عليه ، الأشعث بن قيس ، ومسعود بن فديك التميمي ، وزيد بن حصين الطائي ، والذي دعاهم إلى ذلك مسألة التحكيم المشهورة في التاريخ ، ورضا الملوثة به مع أنهم الذين أمروه به ، واضطروه رليه ، ثم أنكروه عليه فقالوا : لم حكمت الرجال ، لاحكم إلا الله .

* ورؤوسهم ستة : الأزارقة ، والنجدات ، والصفريّة ، والعجاردة ، والأباضية ، والثعالبة ، وعنها تنفرع فرقهم .

* ومن أصولهم التي اشتركت فيها فرقهم ، البراءة من عليّ ، وعثمان وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، وابن عباس - رضي الله عنه وتكفيرهم .

والقول بأن الخلافة ليست في بني هاشم فقط ، كما تقول الشيعة ، لا في قريش فقط ، كما يقول أهل السنة ، بل في الأمة عربها وعجمها ، فمن كان أهلاً لها علماً ، واستقامة في نفسه ، وعدالة في الأمة جاز أن يُختار إماماً

للمسلمين ، والخروج على أئمة الجور ، وكل من ارتكب منهم كبيرة .
ولذلك سمو بالخوارج . والإيمان عندهم : عقيدة ، وقول ، وعمل .

* وقد وافقوا في هذا أهل السنة في الجملة ، وخالفوا غيرهم من الطوائف . ومن أصولهم - أيضاً - : التكفير بالكبائر ، فمن ارتكب كبيرة فهو كافر . وتخليد من ارتكب كبيرة في النار إلا النجيدات في الآخرين . ولذا سمو وعيدية ، ومن أصولهم - أيضاً - القول بخلق القرآن .

وإنكار أن يكون الله قادراً على أن يظلم . وتوقف التشريع والتكليف على إرسال الرسل ، وتقديم السمع على العقل على تقدير التعارض ، فمن وافقهم في هذه الأصول فهو منهم ، وإن خالفهم في غيرها ، ومن وافقهم في بعضها ، ففيه منهم بقدر ذلك ، وقد اجتمعوا بحروراء برئاسة عبد الله بن الكواء ، وعتاب بن الأعور ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وعروة بن حدير ، ويزيد بن عاصم المحاربي ، وحر قوص بن زهير المعروف بذي الثدية . وكانوا في اثني عشر ألف رجل ، فقاتلهم عليّ يوم النهروان ، فما نجا منهم إلا أقل من عشرة ، فرّ منهم اثنان إلى عمان ، واثنان إلى كرمان ، واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى موزان ، فظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع .

* وأول من بويع منهم بالخلافة عبد الله بن وهب الراسبي ، فقبلاً من الحكمين ، وعمن رضي بهما ، وكفرّ هو ومن بايعه علياً لتحكيمه الرجال ، ورضاه بذلك .

الفرق وتشعبها

* الأزارقة : هم جماعة من الخوارج ينسبون إلى أبي راشد نافع بن الأزرق ، خرج آخر أيام يزيد بن معاوية ، ومات سنة ٦٥ هـ . وبايع الأزارقة من بعد موته قطري بن الفجاءة ، وسموه بأمرير المؤمنين ، ومن بدعهم تصويب قاتل عليّ عبد الله بن ملجم . وفي ذلك يقول عمران بن حطان مفتي الخوارج :

ياضربة من منيب ماأراد بها

إلا ليلغ من ذي العرش رضواناً

إني لأذكره يوماً فأحسبه

أو في البرية عند الله مـيـزاناً

ومنها تكفير من قعد عن الجهاد معهم ، وتكفير من لم يهاجر إليهم ، وإسقاط الرجم لعدم وجوه في القرآن ، وإسقاط الحد عن قذف المحصنين دون المحصنات ، وعدم جواز التُّقية في قول أو عمل ، وإباحة قتل أطفال المخالفين لهم ونسائهم ، وعدم أداء الأمانة لمن خالفهم .

* النجدات العاذرية :

ينسبون إلى نجدة بن عامر الحنفي ، وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحاق بالأزارق ، فاستقبله أبو فديك ، وعطية بن الأسود الحنفي في الجماعة الذين أنكروا على نافع الأزرق بدعه ، فأخبروه بما أحدثه من تكفير القعدة من القتال معه ، وغير ذلك من بدعه ، فكتب إليه ينصح له ، فلما أبى نافع أن يرجع ، بايعه على الإمامة أبو فديك ، وعطية ومن معهما ، وسموه بأمرير المؤمنين .

ومن بدعهم : جواز التقية في القول والعمل ، وتناصفهم فيما بينهم بلا إمام ، فإن عجزوا عن ذلك إلا بالإمام جاز لهم أن يقيموه .

وسموا بالعاذرية لأنهم يعذرون من أخطأ في أحكام الفروع لجهالته دون من أخطأ في الأصول : كمعرفة الله ، ورسله ، والإقرار بما جاء به محمد ﷺ ، من عند الله جملة . ولم يلبث أبو فديك وعطية أن اختلفا عليه ، وقتله أبو فديك ، ثم اختلف أبو فديك وعطية ، وبريء كل منهما من الآخر ، وصار لكل منهما أتباع . وسمي أتباع أبو فديك فدكية ، وأتباع عطية : العطوية ، وقد أرسل عبد الملك بن مروان ، عثمان بن عبيد الله بن معمر إلى أبي فديك ، فحاربه أياماً ، وقتله ، وفر عطية إلى أرض سجستان .

* العجاردة :

هم طائفة من الخوارج ينسبون إلى عبد الكريم بن عجرد ، وهم من أصحاب عطية بن الأسود الحنفي ومن بدعهم : البراءة من الأطفال حتى يدعوا إلى الإسلام عند بلوغهم ، ومن بدعهم - أيضاً - : أن سورة يوسف ليست من القرآن ، وأنهم يتولون القعدة ، ويرون الهجرة فضلة لا فرضاً .

وقد افرقت العجاردة فرقاً كثيرة منها : الميمونة أتباع ميمون بن خالد وهو على مذهب المعتزلة في القدر . ومن بدعه - أيضاً - جواز نكاح بنات البنات والبنين ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات . ومنها الحمزية أتباع حمزة بن أدرك ثبتوا على قول ميمون في القدر ، وقالوا بجواز إمامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ، أو تقهر الأعداء .

* ومنها الأطرافية : فرقة من الحمزية رئيسهم غالب بن شاذان السجستاني سموا أطرافية لأنهم أصحاب يعذرون أصحاب الأطراف في

ترك ما لم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما عرفوه بالعقل ، ومذهبهم : كالذرية في تحكيم العقل ، ومنها الشُعبيية أصحاب شعيب بن محمد الذي تبرأ من ميمون لما أظهر القدر . ومنها الجازمية أصحاب جازم بن علي كان على قول شعيب في القدر .

※ الثعالبة :

هم أصحاب ثعلبة بن عامر ، كان مع عبد الكريم بن عجرد يداً واحدة إلى أن اختلفا في أمر الطفل ، فقال ثعلبة بولايته حتى نرى منه إنكار الحق ورضا بالجوز . فتبرأت العجاردة من ثعلبة ، ونقل عنه - أيضاً - أنه لا يحكم في الطفل بشيء حتى يبلغ ، ويدعى إلى الإسلام ، فإن أجاب فيها ، وإلا كفر !! وقد افترقت الثعالبة فرقاً كثيرة . منها : الشيبانية ، وهم أتباع شيبان بن سلمة ، خرج أيام أبي مسلم الخراساني وأعانه على نصر بن سيار وإلى خراسان من قبل هشام ، وقتل أناساً ممن يوافقون في المذهب ، وأخذ أموالهم ، فبرئت منه الثعالبة ، ولما قتل أخبروا بتوبته ، فلم يقبلوها ، لأنه لم يرد المظالم ، ولم ينصف أولياء الدم . ومن بدعهم : تشبيه الله بخلقه ، وموافقة جهم في قوله بالجبر ، واعتقاد أن الولاية والعداوة من صفات الله الذاتية ، لا من صفات الفعل . ومن لم يقبل توبة شيبان يسمون بالزيادة نسبة لرئيسهم زياد بن عبد الرحمن . ومها : الرشيدية أتباع رشيد الطوسي ، ومن بدعهم : إخراج نصف العشر زكاة لما سقي بالأنهار . ومنها المكرمية أصحاب أبي مكرم بن عبد الله العجلي ، ومن مقالته : تكفير تارك الصلاة لجهله بربه ، وغفلته عن معرفته ، وعدم مبالاته بالتكليف . وقالوا بإيمان الموافاة ، بمعنى أن الله يوالي عباده ، ويعاديهم على ما يوافوانه به عند الموت من خير أو شر لا على أعمالهم قبل ذلك . ومنها المعلومية والجهولية : وهما في الأصل من الجازمية . فالمعلومية ، قالت : لا يكون العبد مؤمناً حتى

يعرف الله بجميع أسمائه وصفاته . وقالوا فعل العبد مخلوق له ، فبرئت منهم الجازمية . والمجهولية قالت : من علم البعض وجهل البعض كان مؤمناً .

* الأباضية :

هم أتباع عبد الله بن أباض التميمي ، الذي خرج أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، قال : إن مخالفينا من أصل القبلة كفار غير مشركين وأباح الحرب لا غير . وحرّم قتلهم ، وسببهم غيلة ، وأباح ذلك بعد إقامة الحجّة ، ونصب القتال . وقال : مرتكب الكبيرة موحد لا مؤمن ، وكافر نعمة لا كفرأ يخرج من الملة ، وأنه مخلّد في النار ، وأفعال العباد مخلوقة لله مكتسبة للعبد .

وهم فرق كثيرة . منها الحفصية أصحاب حفص بن أبي المقدام ، تميز عن الأباضية بجعله الفرق بين الشرك والإيمان ، معرفة الله وحده ، فمن عرفه فهو مؤمن ، وإن كفر بالرسول وما جاءوا به . ومن ارتكب كبيرة فهو كافر غير مشرك .

* ومنها الحارثية :

أصحاب الحارث بن مزيد الأباضي ، خالف الأباضية في القدر فقال فيه بقول المعتزلة ، ولذا كرهوه . وقال بالاستطاعة قبل الفعل لا معه . وقال بإثبات طاعة لا يراد بها وجه الله ، كما قال أبو الهذيل من المعتزلة .

الشيعة

الشياع : القوة والانتشار ، يقال : شاع الخبر إذا انتشر ، وكثر التكلم به . وشيعة الرجل : خواصه ، وجماعته الذين ينتشرون ويتقوى بهم لنسب يجمعهم ، أو لاتباعهم إياه في مذهبه ، وسيرهم على منهجه وسننه ويُجمع الشيعة على شيع ، وتُجمع شيع على أشياع .

والمراد بالشيعة هنا : كل من شايع علي بن أبي طالب خاصة ، وقال بالنص على إمامته ، وقصر الإمامة على آل البيت . وقال بعصمة الأئمة من : الكبائر ، والصغائر ، والخطأ ، وقال : لا ولاء لعلي إلا بالبراء من غيره من الخلفاء الذين في عصره قولاً وفعلاً ، وعقيدة ، إلا في حال التقية . وقد ثبت بعض الزيدية الولاء دون البراء .

فهذه أصول الشيعة التي يشترك فيها جميع فرقهم ، وإن اختلفت كل فرقة عن الأخرى في بعض المسائل ، فمن قال ممن ينتسب إلى الإسلام بهذه الأصول فهو شيعي . وإن خالفهم فيما سواها ومن قال بشيء منها ، ففيه من التشيع بحسبه .

ورؤوس فرق الشيعة خمسة :

الزيدية ، والإمامية ، والكيسانية ، والغلاة ، والاسماعيلية ، ومن العلماء من لم يجعل الاسماعيلية فرقة رئيسية .

الزيدية

الزيدية : هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومن مقالته : إن الإمامة تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل للمصلحة في ذلك .

*** ومن أجل هذا رأى انعقاد الخلافة لأبي بكر وعمر مع أن علياً أفضل منهما عقيدة ، وكان لا يتبرأ منهما ، ولما بلغ شيعة الكوفة عنه أنه لا يتبرأ منهما رفضوه ، فسموا رافضة ، ومن مذهبه : سوق الإمامة في أولاد فاطمة : الحسن ، والحسين ، وأولادهما ، وجواز خروج إمامين في قطرين على أن يكون كل منهما من أولاد فاطمة . ويتحلى بالعلم ، والزهد ، والكرم ، والشجاعة .**

*** وقد عاب عليه أخوه محمد الباقر أخذه العلم عن واصل بن عطاء الغزال من أجل أنه كان على جدهما علي الخطأ في قتال الخارجين عليه .**

وعاب عليه : رأيه بأن الخروج شرط في كون الإمام إماماً ، وكان يذهب في القدر إلى مذهب القدرية ، وبذلك نعرف السبب في أن أتباع زيد كلهم معتزلة . وقد خرج زيد على هشام بن عبد الملك أيام خلافته ، وبويع له بالخلافة ، فقتل ، وصلب بكناسة الكوفة عام ١٢١ هـ . وكان ابنه يحيى إماماً بعده أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وذهب إلى خراسان ، فبعث إليه أميرها نصر بن سيار ، سلم بن أحوز ، فقتله عام ١٢٥ هـ ، ثم انحرفت الزيدية بعد عن القول بصحة إمامه المفضول ، وطعنوا في الصحابة ، كالإمامية .

*** وما أجمعت عليه الزيدية :** تخليد من ارتكب كبيرة من المؤمنين في النار ، وتصويب علي ، وخطئة مخالفه ، وتصويبه في التحكيم ، وإنما أخطأ

الحكمان ، ويرن السيف والخروج على أئمة الجور ، وإنه لا يصلي خلف فاسق .

وقد افرقت الزيدية ثلاث فرق : جارودية ، وسليمانية ، وبترية .

✽ **الجارودية :** هم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي ، مات عام ١٥٠ هـ . وقد سماه أبو جعفر الباقر سر حزب (الشيطان) . ومن مقالته : إن النبي ﷺ نص على إمامة عليّ بالوصف دون الاسم ، وإن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي ، وبذلك خالف إمامه زيد بن علي . ومن أصحاب أبي الجارود فضيل الرسان ، وأبو خالد الواسطي .

✽ **السليمانية :** هم أتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي ظهر أيام أبي جعفر المنصور ، ومن مقالته : إن الإمامة شورى ، وإنها تنعقد ولو برجلين من خيار الأمة ، وإنها تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل . إلا أنهم كفروا عثمان للأحداث التي نسبت إليه ، وكفروا عائشة ، وطلحة ، والزبير لإقدامهم على قتال علي بن أبي طالب ، وطعنوا في الرافضة من أجل قولهم بالبداء وبالتيقّة .

✽ **البترية والصاحية :** أما البترية ، فأتباع كثير الثواء الملقب بالأبتر مات سنة ١٦٩ هـ تقريباً . وأما الصاحية ، فأصحاب الحسن بن صالح بن حي الكوفي الهمداني مات عام ١٦٧ هـ ومذهبهما في الإمامة مثل مذهب السليمانية ، إلا أنهم يتوقفون في كفر عثمان لتعارض نصوص فضائله ، والأحداث التي نسبت إليه ، ويتوقفون كذلك في إكفار قتلته .

ذكر في مقالات الإسلاميين أن الزيدية ست فرق الثلاث السابقة والنعمية ، أتباع نعيم بن اليمان ، واليمانية ، وهم أتباع محمد بن اليمان واليعقوبية ، وهم أتباع يعقوب بن علي الكوفي .

الإمامية

الإمامية : قالوا : بالنص الصريح على إمامة علي في مواضع ، وبالإشارة إليه بعينه في مواضع أخرى ، ، وقالوا : إن الإمامة ركن الدين ليس في الإسلام شيء أم منه ، فلا يجوز أن يركه الرسول ﷺ ، لاختيار الأمة ، بل يجب أن يعين له شخصاً ، وقد عين له علي بن أبي طالب بالنص عليه ، والإشارة إليه . وقالوا : بتكفير بعض الصحابة ، واتفقوا على إمامة الحسين ، فعلي زيد العابدين ، فمحمد الباقر ، ثم افترقوا بعد ذلك فرقاً كثيرة في الوقوف بالإمامة عند الباقر ، وسوقها إلى ابنه جعفر ، ثم فيمن كان إماماً من أولاد جعفر الستة : محمد ، وإسحاق ، وعبد الله ، وإسماعيل ، وعلي ، وإليك بعضها :

✽ **الباقرية :** هم أصحاب أبي جعفر محمد الباقر ، وهم يثبتون إمامته بالنص من أبيه زين العابدين عليه ، ويزعمون أنه لم يميت ، وإنه المهدي المنتظر .

✽ **الجعفرية أو الناوسية :** نسبة إلى رجل يُقال له : ناوس أو عجلان بن ناوس من أهل البصرة ، أو قرية تسمى ناوسا ، ومن مذهبهم سوق الإمامة إلى جعفر الصادق بنص أبيه الباقر عليه ، ويزعمون أنه لم يميت ، وإنه المهدي المنتظر .

✽ **الشميطية :** هم أصحاب يحيى بن أبي شميطة . يقول : يموت جعفر الصادق ، ونصه على إمامة ابنه محمد ، وإنه المهدي المنتظر .

✽ **الأفطحية أو العامرية :** ينسبون إلى رجل يُقال له : عمار ، كان يقول : يموت جعفر الصادق ، ونص على إمامة ابنه عبد الله الأفطح .

* الموسوية : ينسبون إلى موسى الكاظم . قالوا : إن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم بنصه عليه ، ثم إن هارون الرشيد حمل موسى إلى بغداد ، وحبس لإظهاره الإمامة . ويقال : إنه دس له سماً فمات . ودفن ببغداد . ثم من قال : بموته سموا : بالقطعية . ومن قال : لا ندري أمات أم لا ! سموا : بالمطورة . لقول علي بن إسماعيل فيهم ، ما أنتم إلا كلاب ممطورة ، ومن قال بغيبته ، ولم يسبق الإمامة فيمن بعد سموا : بالوقفية .

* الاثنا عشرية : فرقة من الموسوية ، قالت : بموت موسى ، وسموا القطعية ، كما تقدم ، وهؤلاء ساقوا الإمامة في أولاد موسى بنص كل منهم على من بعده ، فزعموا أن الإمام بعد موسى : علي الرضا ، ثم محمد التقي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن العسكري ، ثم ابنه القائم المنتظر الذي اختفى في سرداب في سرّ مَنْ رأى وهو الإمام الثاني عشر .

* الاسماعيلية الواقفية : قالوا : بموت جعفر الصادق ، ونص على إمامة ابنه إسماعيل ، ثم انتقلت منه إلى ابنه محمد بن إسماعيل لموت إسماعيل في حياة جعفر ، وقالوا : بغيبة محمد ورجعته .

* الاسماعيلية الباطنية : فرقة من الاسماعيلية ساقوا الإمامة بعد محمد بن إسماعيل بن جعفر في أئمة مستورين ، ثم ظاهرين ، وهم الباطنية ، وهي الفرقة المشهورة في الفرق بهذا الاسم . ومن مقالتهم أن الأرض لا تخلو من إمام حي ، وإما ظاهر مكشوف ، وإما باطن مستور . وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ! ومن مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية ! وسموا باطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً ، ولهم ألقاب أخرى ، منها أنهم يسمون بالعراق - أيضاً - القرامطة أو المزدكية . وبخراسان : التعليمية والملاحدة . وهم يسمون

أنفسهم : الاسماعيلية لامتيازهم عن الموسوية الاثنا عشرية بالقول بإمامة
إسماعيل بن جعفر دون أخيه موسى الكاظم .

ومن مقالاتهم - أيضاً - أنهم لا يقولون بإثبات الصفات لله ، ولا نفيها ،
فراراً من التشبه بالموجودات والمدعومات ، ولهم سوى ذلك كثير من
الشناعات الكفرية .

الكيسانية

الكيسانية : هم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب . ويقال : إنه تتلمذ على محمد بن الحنفية . وقد زعم أتباعه أنه جمع العلوم كلها ، وجمع أسرار علوم علي وابنه محمد ، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل ، ومن أجل ذلك ضل منهم كثير ، وجاءوا بالكفر : كإنكار أركان الإسلام ، والشك في البعث ، والقول بالتناسخ ، والحلول والرجعة بعد الموت . ومن فرق الكيسانية :

* **المختارية :** وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي كان خارجياً ، ثم زبيرياً ، ثم شيعياً كيسانياً ، ومن مقالاته القول : بإمامة محمد بن الحنفية فأعلن علي ، أو بعد الحسن والحسين . وقد تبين خيبته لمحمد بن الحنفية ، فأعلن برأئته منه ، والذي ساعد على ظهوره أمره انتسابه إلى محمد بن الحنفية ، وقيامه بثأر الحسين ، واشتغاله بقتل الظلمة . ومن مذهبه جواز البداء على الله علماً ، وإرادة ، وأمر ليبرر رجوعه فيما أبرمه مع دعواه أنه يوحى إليه . ومن المختارية من قال : بأن محمد بن الحنفية لم يزل ، وأنه المهدي ، ومن هؤلاء : كثير عزة ، وإسماعيل بن محمد الحميري الشاعران ومنهم من قال : بموته ، وانتقال الإمامة إلى غيره .

* **الهاشمية :** قالوا بسوق الإمامة من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأن والده أفضى إليه بالأسرار التي أفضى بها علي إلى ولده محمد بن الحنفية .

* **البيانية :** هم أتباع بيان بن سمعان التميمي النهدي ، قالوا بسوق الإمامة من أبي هاشم إلى بيان ، ومن مقالاتهم : أن علياً حل فيه جزء من

واتحد بجسده ، فكان به إلهاً ، وعلم به الغيب ، وانتصر به في الحروب . .
إلخ !! ثم ادّعى النبوة .

* الرزامية : هم أصحاب رزام من غلاة الشيعة ، قالوا : بإمامة علي بن عبد الله بن عباس بعد أبي هاشم بوصية منه ، ثم انتقلت منه إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه إبراهيم بن محمد صاحب أبي مسلم الخراساني حتى انتهت إلى أبي جعفر المنصور ، ومن مذهبهم : إسقاط التكليف ، والحلول وتناسخ الأرواح .

* الغلاة : هم الذين غلوا في أئمتهم حتى ألّهُوهم ، ويجمعهم القول بتشبيه الأئمة بالله : كالنصارى في عيسى ، وغيره ، أو تشبيه الله بالأئمة : كاليهود ، والقول بالبداء ، والرجعة ، والحلول ، وتناسخ الأرواح والإلهية . ومن بحث وأنصف تبين له أن أصول الغلاة دخلت عليهم من تعاليم اليهود والنصارى ، ومانى ، ومزدك التي انتشرت في العراق ، ولهم في كل بلد لقب ، فهم يلقبون في أصفهان : بالخرمية ، والكردية . وفي الري : بالمزدكية ، والسبادية . وفي أذربيجان : بالذقولية . وفي موضع بالمحمرة ، وفيما وراء النهر : بالمبيضة ومن فرقهم ما يأتي :

* السبانية : أتباع عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي ، أظهر الإسلام ، وأثار الفتن الدينية والسياسية ، فوضع قاعدة حلول الله في علي ، ومنه تشعبت فرق الغلاة الذين قالوا : بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي . ومنهم من قال : بحياة علي ، وغيبته ، ورجعته ، وهو الذي أثار الفتن على عثمان ، وألبَّ عليه فيرقاً من الأمة ، وقد نفاه علي إلى سباط المداخن لما علم فيه من الغلو ، وإحداث الفتن ، ويظهر أن فكرة حياة الإمام ، والغيبة ، والرجعة أنشأها عبد الله بن سبأ حينما يئس الشيعة من إقامة دولة لهم ليصرفهم بها عن البيعة لخليفة موجود إلى إمام مفقود .

* **الكاملية** : أتباع زبي كامل ، ومذهبهم تكفير من لم يبايع علياً والطعن في علي لعدم قتالهم ، والخروج عليهم ، ومع ذلك غلا أبو كامل في علي ، ورأى أن الإمامة نور ينتقل من شخص لآخر ، ويتفاوت . ففي شخص يقوى حتى يكون نبياً ، وفي آخر يكون إماماً . وقال كغيره من الغلاة بفكرة الحلول الكلي ، والجزئي ، وتناسخ الأرواح .

* **العلانية** : أتباع العلماء بن ذراع الدوسي الأسدي ، زعم أن علياً أفضل من محمد! ثم منهم من زعم أن علياً هو الذي سمي محمداً إلهاً! وبعثه ليدعو إليه ، فدعا إلى نفسه ، وذموه لذلك ! فسموا بالذميمة . ومنهم من آله علياً ومحمداً ، أو فضل علياً ! سمو بالعينية . ومنهم من ألهمهما و قدم محمداً وسموا بالميمية . ومنهم من آله أصحاب الكساء : محمداً وعلياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً . وقالوا : هم شيء واحد حلت فيهم الروح بالسوية .

* **المغيرة** : أتباع المغيرة بن سعيد البجلي مولى خالد بن عبد الله القسري ، زعم أن الإمام بعد محمد الباقر هو محمد بن عبد الله بن الحسن الذي خرج في المدينة ، وزعم أنه حي لم يميت ، ثم زعم الإمامة لنفسه ، ثم ادعى النبوة . وفي زعمه أن الله صورة ، وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من النور ، وله قلب تنبع منه الحكمة إلى غير ذلك من الشناعات .

* **المنصورية** : أتباع أبي منصور العجلي ، زعم أنه إمام حين تبرأ منه الباقر وطرده ، ثم زعم بعد وفاة الباقر أن روحه انتقلت إليه ، وله كثير من المزاعم . منها أنه عرج به إلى السماء . ومنها أن الكسف الساقط من السماء هو الله أو علي . ومنها أن الرسالة لا تنقطع ، ومنها تسمية الجنة والنار وأنواع التشريع بأسماء رجال لإسقاط التكاليف ، واستحلال الدماء والأموال ، وقد أخذه يوسف بن عمر الثقفى إلى العراق أيام هشام بن

عبد الملك ، وصلبه لحبث دعوته صنف من الخزمية .

*** الخطامية :** أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي ، انتسب أبو الخطاب إلى جعفر الصادق أولاً ، فلما تبرأ منه جعفر وطرده ، زعم الإمامة لنفسه ، ومن مزاعمه : أن الأئمة أنبياء ، ثم الهة ! وأن جعفرًا إله ظهر في صورة جسم ، أو لبس جسمًا فرآه الناس ! ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على حبث دعوته بسبخة الكوفة ، وقد افترق أصحاب أبي الخطاب بعده إلى فرق ، منها : المعمرية ، أتباع معمر بن خيثم زعموا أن الإمام بعد أبي الخطاب معمر ، وهؤلاء ينكرون فناء الدنيا ، ويرون أن ما يصيب العالم فيها من خير وشر هو الجزاء . ومنها : البزيفية أتباع بزيع بن موسى ، زعموا أنه الإمام بعد أبي الخطاب ، وهؤلاء ينكرون الموت لمن بلغ من الناس النهاية في الكمال ، ويزعمون أن من مات فارق فقط ورفع ، ويزعمون أن المؤمن يوحى إليه . ومنها العجلية ، زعموا أن الإمام بعد أبي الخطاب عمير أو عمر بن بيان العجلي . ومنها : أتباع مفضل الصيرفي الذي قال بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته . وقد تبرأ جعفر الصادق بن محمد الباقر من هؤلاء كلهم ، لأنهم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة .

*** الكيالية :** أتباع أحمد بن الكيال ، كان له مزاعم لا أساس لها من العقل ، ولا مستند لها من السمع ، فتركه من انخدع به ، ادعى أنه إمام ، ثم ادعى أنه القائم وله تأويلات لنصوص الدين . منها : حملة الميزان على العالمين ، والصراط على نفسه ، واللجنة على الوصول إلى عمله من البصائر ، والنار على الوصول إلى ما يضاده .

*** الهشامية :** أتباع هشام بن الحكم ، وهشام بن سالم الجواليقي ، وكلاهما من أهل التشبيه ، فأما هشام بن الحكم ، فقال فيما نقل عنه : إن الله - تعالى - جسم ذو أبعاد له قدر من الأقدار ، وكان لا يشبه شيئاً من

المخلوقات . ولا يشبه شيء منها . ونقل عنه أنه قال : إنه شبر بشبر نفسه ، إلى آخر شناعاته . وغلا في عليّ حتى جعله إلهاً واجب الطاعة . وأما هشام الجواليقي ، فقال : إن الله - تعالى - على صورة إنسان أعلاه مجوف ، وأسفله مصمت ، إلى آخر شناعاته ، وأجاز المعصية على الأنبياء دون الأئمة لعصمتهم .

* النعمانية : هم أتباع محمد بن علي بن النعمان أبي جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق ، ومذهبه في حدوث علم الله : كمذهب هشام بن الحكم ، وكذلك مذهبه في ذات الله ، إلا أنه يقول : إنها نور على صورة إنسان .

* اليونسية : هم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين ، وهو من المشبهة ، يزعم أن الملائكة تحمل العرش ، وأن العرش يحمل الله وأن أطيح الملائكة من وطأة عظمة الله على العرش .

* النصيرية والإسحاقية : النصيرية أتباع محمد بن نصير النميري ، والإسحاقية ينسبون إلى إسحاق بن الحارث ، وكلاهما من غلاة الشيعة يرون ظهور الروحانية في صور جسمية خيرة أو خبيثة ، ويزعمون أن الله يظهر في صورة إنسان ، وأن جزءاً منه حلّ في عليّ به يعلم الغيب ، ويفعل ما لا طاقة لأحد به من البشر ، إلا أن النصيرية أميل إلى مشاركة عليّ لله في الألوهية . الإسحاقية أميل إلى مشاركة عليّ لمحمد في النبوة ، وكلاهما يرى - أيضاً - إباحة المحارم ، وإسقاط التكاليف .

ومن الرافضة - أيضاً - جماعة يقولون : بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأنه لم يزل حياً ، ويتنظرون خروجه ، مع أن جيش أبي جعفر المنصور قد قتله بالمدينة ، وأقر بذلك فرقة من أتباع إمامهم محمد .

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مقالات للمؤلف

مبدأ وميثاق (١)

الإسلام عقيدة وقول وعمل ، فالعقيدة إيمان راسخ بأن الله رب كل شيء ومليكه ، خلقاً ، وتقديراً ، وملكاً ، وتدبيراً ، وأن العبادة بجميع أنواعها حق له وحده لا يشركه فيها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

فله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة الصحيحة .

ترى جماعة أنصار السنة المحمدية أن تمر هذه النصوص كما جاءت اقتداء منهم فيها بسلف هذه الأمة ، وخير قرونها فيفسرونها بمعانيها التي تدل عليها حقيقة في لغة العرب التي بها نزل القرآن ، وكانت لسان النبي عليه الصلاة والسلام مع تفويض العلم بكيفياتها إلى الله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تشبيه ، ولا تمثيل ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٢) ولا يلزم من ذلك تشبيه الله بعباده ، كما لم يلزم من الإيمان بذات له تعالى على الحقيقة ، مع الكف عن الخوض في كنهها .

وذلك لأن الله أعلم بنفسه من خلقه ، وأرحم بهم منهم بأنفسهم ، وكلامه أبلغ كلام وأبينه ، وله سبحانه الحكمة البالغة فيستحيل أن تتوارد النصوص ، وتتابع الآيات ، والأحاديث على إثبات أسماء الله وصفاته بطريقة ظاهرة واضحة ، والمراد غير ما دلت عليه حقيقة ، ويقصد الله منها أو

(١) مقالة للمؤلف رحمة الله بمجلة أنصار السنة المحمدية عندما عين رئيساً لها .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٤٢ .

يقصد رسوله عليه الصلاة والسلام إلى معان مجازية من غير أن ينصب من كلامه دليلاً على ما أراد من المعاني المجازية اعتماداً على ما أودعه عباده من العقل وقوة الفكر، فإن ذلك لا يتفق مع كمال علمه تعالى وسعة رحمته، وفصاحة كلامه وقوة بيانه، وبالعكس حكيمته، ولأن يتركهم الله دون أن يعرفهم بنفسه، ويعرفهم به رسوله عليه الصلاة والسلام بوحيه، خير لهم وأيسر سبيلاً، لعدم وجود المعارض للشبه الباطلة التي زعموها أدلة وبراهين، وما هي إلا الخيالات ووساوس الشياطين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فمن جحد شيئاً من هذه النصوص، أو تأولها على معان مجازية من غير دليل يرشد إلى ما تأولها عليه فقد أُلْحِدَ في آيات الله، وأسمائه، وصفاته، وحق عليه ما توعد الله به الملحدين في ذلك بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (١) ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقد زادت السنة عن نصوص الكتاب في إثبات الأسماء، والصفات تأكيداً، وبياناً فقضت على قول كل متأول يحرف كلام الله عن مواضعه، كما فعلت اليهود في تحريفها لكتاب ربها وتلاعبها بشريعة نبيها.

العقيدة الصحيحة أيضاً إخلاص العبادة لله، وإفراده تعالى بجميع أنواعها ما ظهر منها كالصلاة، والزكاة، والحج، وما بطن منها كالتوكل على الله، والإنابة إليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عقابه ونقمته، والاستغاثة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الأقوال،

(١) سورة ، الآية :

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٨١ .

والأعمال، والأخلاق التي تدخل في مسمى الإسلام، كما تدخل العقيدة وإن تفاوتت منازلها في الدين وكان لكل منها درجة تخصصها حسب ما يتوقف عليها من العباد، وما يتبعها من الآثار.

إن العقيدة السليمة الخالصة التي تستمد من الكتاب والسنة، ولا يخالطها شيء من شوائب الشرك، وألوان البدع، والخرافات لتبعث من دان لله بها إلى العمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، وتجعل منه رجلاً مثالياً في الحياة، إن حكم عدل، وإن قال فقوله سديد، وإن عمل كان على جادة الكتاب والسنة، وإن عاشر الناس. وجدوا منه خير سيرة. فمظهره يشرح للناس الإسلام، ويفسره تفسيراً عملياً بقوله وعمله وخلقه، ومن ضعف يقينه أو كانت عقيدته مدخولة قد شابها كثير من البدع والخرافات، أو غلب عليه الغرور والاعتداد برأيه، وإن خالف وحي السماء، أو طغت عليه الشبه، واستولت عليه الشكوك والأوهام، ضرب في كل واد وأخذ في بنيات الطريق وضل عن سواء السبيل.

من أجل ذلك نجد جماعة أنصار السنة المحمدية يكثر من الكلام في التوحيد في دروسهم، وخطبهم، وكتاباتهم، ولهم في ذلك خير أسوة، وأسوتهم في ذلك أئمة الهدى، وقادة الإصلاح المؤيدون من الله بوحيه ونصره، أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

هذا وإن جماعة أنصار السنة المحمدية قد أخذت على نفسها أن تعتصم بكتاب الله، وتهتدي بهدي رسوله ﷺ، وتجعل سيرة السلف الصالح نصب أعينها عقيدة، وقولاً، وعملاً لا تؤثر على ذلك شيئاً، ولا ترضى به بديلاً

من آراء الرجال الضالة، وأهوائهم الزائفة، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) وما في معناه من الآيات والأحاديث، والتزمت ما ألزمها الله به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وعهدت إلى برئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها بمصر، ورئيسها السابق، فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الدعوة إلى الدين، ونشر التوحيد خير الجزاء، فكان لزاماً عليّ أن أقوم بهذا الواجب وأسير بالجماعة على هدي كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ابتغاء مرضاة الله في نشر دينه، وتحقيقاً لمبدأ التعاون في نصرته الحق.

وأرجو الله أن يهيء لنا جميعاً من أمرنا رشداً، وأن يلهمنا الرشداً، والصواب في القول، والعمل، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الدعوة إلى العلم والعمل (١)

الحمد لله مولى النعم، واسع الجود والكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دافع النقم، وكاشف الغمم، بيده ملكوت السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليفة، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه. وبعد، فالعلم نور يتبين به الضار من النافع، ويتميز به الخبيث من الطيب، فمن أخذه به أخذ بحظ وافر، سيما علوم الدين التي تفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، فتبصر العبد بربه، وتعرفه بحقه سبحانه وحق عباده، تكسبه رشداً بعد غي، وتفتح منه أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وبذلك ينعم في دنياه، ويسعد السعادة الأبدية في آخره، ولا يكاد يعرف إنسان ناجح في الحياة العملية من عبادة، أو دراسة، أو كتابة، أو سياسة، أو صناعة، أو زراعة، أو غير ذلك إلا من كان على بينة وبصيرة بالوسائل العلمية التي يتوقف عليها عمله.

من هذا كان للعلم مزيته وفضيلته، ومكانته في الحياة العاجلة والآجلة، ولهذا سارع في طلبه العقلاء، وتنافس فيه المتنافسون، وبه تفاوت الكثير من الناس في منازلهم ودرجاتهم حسب تفاوتهم في مداركهم وتحصيلهم

(١) مقالة للمؤلف بمجلة التوحيد التابعة لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر العدد الخامس السنة الثالثة والعشرون.

وإنتاجهم، وبه انتظم الكون ونهضت الأمم، وكان لمن برز فيه القدر المعلى، والمقام الأسمى.

ولما يكون ذلك لمن سدد الله خطاه، وبصره بشئون دينه ودنياه، فعلم وعلم، وكان مثالا يحتذى في قوله وعمله، وسيرته، وخلقه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١)، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)، وقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢).

وليست منافع العلم وآثاره، وأجره وثوابه، وقفاً على من علم وعلم، وألف ودون، بل ينال ذلك بفضل الله ورحمته من أعان عليه بوسائله المتنوعة، وأسبابه الكثيرة، من طبع الكتب النافعة، والرسائل المفيدة ونشرها بين طلاب العلم، وتيسير طريق وصولها إلى أيديهم، وإنشاء المباني المناسبة لدراستهم ومسكنهم، وبذل ما يلزم لفقرائهم من النفقات، والسخاء بما

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة فاطر، الآيات: ١٩: ٢٢.

(٣) سورة الرعد، الآيات: ١٩: ٢٢.

يكفل لهم راحة بالهم ، وتفرغهم لما قصدوا إليه ليتوفروا على الدراسة والتحصيل ، ويتمكنوا من التأليف والتبليغ ، فإن للوسائل حكم مقاصدها ، والساعي في الخير كفاعله : « وإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(١) ، وفي الحديث : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس »^(٢) .

ولقد انتدب في عصرنا جماعة من ذوي الوجاهة والثراء للإسهام في نشر العلوم الإسلامية ، وأخذتهم أريحية الكرم والجود ، وهزت مشاعرهم الآيات والأحاديث التي حثت على البلاغ ونشر الدين ، فبذلوا الأموال الطائلة في طبع الكتب والرسائل النافعة ، استجابة لما وقر في قلوبهم من الإيمان الصادق ، وغيره على الإسلام وأهله ، ورغبة في الأجر والثوبة عند الله ، وليكون لهم ذلك لسان صدق في الآخرين ، فيقتفي آثارهم من بعدهم من المحسنين ، ويصنع مثل صنيعهم ، وتلهج ألسنتهم بالدعاء بالرحمة والمغفرة لهم .

أسأل الله أن يوزع الجميع شكر نعمه ، ويهب لنا عزيمة صادقة ، وهمة عالية ، ونية صالحة ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، ويجعل ما ذكر من الثناء والمحامد حافزاً لأهل الخير إلى الإكثار من فعل البر

(١) أخرجه البخاري رقم (١) وفي الإيمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة (٥٤) من حديث عمر بن الخطاب وفي غير موضع ومسلم (١٩٠٧) .

(٢) أخرجه البخاري في العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة (٧٣) ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٦) .

والإحسان، ابتغاء مرضاة الله، وطلباً للحسنى والثوبة عنده يوم لا ينفع المرء إلا ما قدمت يداه، إنه جواد كريم رءوف رحيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من أسباب الإنحراف والصدود عن الحق^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فللصدود عن الحق أسباب عديدة، وموانع كثيرة، منها الغرور الفكري، والتقليد عن غير بينة وبصيرة، وتحكم العادات السيئة في النفوس، والأنفة والاستكبار، والحسد الممقوت، وطاغوت الافتتان بالمركز والجاه وكثرة المال، وما إلى ذلك، وكلها أمراض أخلاقية وبيلة، وأدواء مستعصية فتاكة، والحديث عنها يطول، فليكن حديثي في هذه الحلقة عن الغرور الفكري :

الغرور الفكري هو إعجاب الإنسان بعقله، وافتتانه برأيه، وإنزاله فوق منزلته، وإعطاؤه من القداسة ما ليس بأهل له، حتى يدخل فيما لا يعنيه وما ليس في وسعه وحدود طاقته، فيعارض العبد به ربه في خلقه وتشريعه فضلاً عن معارضته لنظرائه ومن هو أوسع منه فكراً وأكثر تجربة من العلماء.

لقد وجد الشيطان منفذاً لوسوسته في اغترار قوم بعقولهم وعلومهم فاستهوهم وزين لهم أن يخوضوا فيما ليس من شأنهم، وأن يهجموا على بحث ما ليس في وسعهم بحثه.

من ذلك تفاصيل القضاء والقدر، وأسماء الله وصفاته وكيفيات ذلك،

(١) مقالة للمؤلف بمجلة التوعية الصادرة في موسم الحج عام ١٣٩٦ هـ.

فاضطربت أفكارهم ، وتفرقت بهم السبل عن الجادة والصراط المستقيم ، فمنهم من غلا ، في نفي ذلك زعماً منه أنه سلك مسلك العدل والتنزيه لله عن الظلم والجور ، وعارضوا بذلك نصوص الإثبات للقضاء والقدر ، ومنهم من غلا في الإثبات حتى سلب المكلفين اختيارهم وأعمالهم ، زعماً منهم أن نصوص عموم مشيئة الله واقتداره تنافي ثبوت الاختيار والكسب للمكلفين ، فعارضوا بذلك الحس وأدلة الشرع والعقل ، ولم يكن من اقتحم باب البحث في كنه الله وكيفيات صفاته فغلوا في ذلك نفيًا أو إثباتًا بأهدى سبيلاً من هؤلاء ، بل وقع الجميع في حيرة ومتاهاة لا نجاة لهم منها إلا بمعرفتهم قدر أنفسهم ، والحدود التي يجب أن تنتهي إليها أفكارهم ويعلموا أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً ، ويلزموا ما جاء في شريعة الله فما تبين من ذلك وجب اعتقاده ، وما لم يتبين من التفاصيل والكيفيات وجب التسليم له ، والقول بما قال الراسخون في العلم ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا ﴾ (١) . وحرّم الخوض فيه ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢) .

واستهوى الشيطان من هؤلاء المغرورين طائفة أخرى ، فزين لها أن تسن قوانين من عند أنفسها لتتحاكم إليها ، وتفصل بها في خصوماتها ، وسول لها أن تضع قواعد بمحض تفكيرها وهواها ، تنظم بها اقتصادها وسائر معاملاتها ، مجادة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وانتقاصاً لتشريعهما وزعماً منها أن تشريع الله لا يصلح للتطبيق والعمل به في عهدهم ، ولا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

يكفل لهم مصالحهم، ولا يعالج ما جد من مشاكلهم، حيث اختلفت الظروف والأحوال عما كانت عليه أيام نزول الوحي واتسع نطاق المعاملات، وكثرت المشكلات، فلا بد لتنظيم المعاملات، والفصل في الخصومات من قواعد وقوانين جديدة، يضعها المفكرون من أهل العصر الواقفون على أحوال أهلهم، المطلعون على المشاكل العارفون بأسبابها وطرق حلها لترتكز على واقع الحياة، وتتناسب مع أحوال الناس وظروفهم الحاضرة، ومع مستوى ثقافتهم وحضارتهم الراهنة.

فهؤلاء لم يقدرُوا عقولهم قدرها، ولم ينزلوها منزلتها، ولم يقدرُوا الله حق قدره، ولم يعرفوا حقيقة شرعه، ولا طريق تطبيق منهجه وأحكامه، ولم يعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فعلم ما كان وما سيكون من اختلاف الأحوال وكثرة المشاكل، وأنه أنزل شريعة عامة شاملة، وقواعد كلية محكمة، وقدرها بكامل علمه، وبالعقل حكمته فأحسن تقديرها، قد جعلها صالحة لكل زمان ومكان، فمهما اختلفت الأزمنة والحضارات، وتباينت الظروف والأحوال فهي صالحة لتنظيم معاملات العباد وتبادل المنافع بينهم، والفصل في خصوماتهم، وحل مشاكلهم، وصلاح جميع شئونهم في عبادتهم ومعاملاتهم.

إن العقول التي منحها الله عباده ليعرفوه بها، وليهتدوا بفهمها لتشريعهم إلى ما فيه سعادتهم في العاجل والآجل قد اتخذوا منها خصماً لدوداً لله فأنكروا حكمته، وحسن تدبيره وتقديره، وضاق صدره ذرعاً بتشريعه وأساء الظن به فانتقصه ورده، وقد يصابون بذلك وهم لا يدرون، لأنهم بغرورهم بفكرهم عميت عليهم معالم الحق والعدل فكانوا من

الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١) وَكَانُوا مِنْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿(٢)﴾ .

إن الله سبحانه كثيراً ما يذكر أناس في القرآن بأحوال المعتدين الهالكين ويحثهم على أن يسيروا في الأرض لينظروا ما كانوا فيه من قوة ورغد عيش وحضارة، وبسطة في العلم نظر عظة واعتبار، ليتنبكوا طريقهم اتقاء لسوء مصيرهم ولفت النظر في بعض السور إلى جريمة الغرور الفكري، لشدة خطره، ويبين أنه الفتنة الكبرى التي دفعوا بها في صدور الرسل وردوا بها دعوتهم، ليعرفنا بقصور عقول البشر انها لا تصلح لمقاومة دعوة الرسل وليحذرننا من خطر الغرور الفكري الذي هلك به من قاوم المرسلين قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿(٣)﴾ .

إن اعتبار الإنسان لفكره واعتداده به درجات، منها المحمود ومنها المذموم، فما جاوز الحد وبلغ درجة الإعجاب بالرأي والعصبية له، ودفع

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٨، ٢٩ .

(٣) سورة غافر، الآية: ٨٢، ٨٥ .

الحق به بعد أن يتبين على نحو ما مضى الحديث عنه فهو الممقوت ، وما وقف بالمفكر عند حده فاعتقد ما فهم من الدليل عن بيّنة وبصيرة واعتز به لكونه الحق في نظره دون أن يعارض به صريح كتاب ولا صحيح سنة ولا إجماع أمة فليس بممقوت ، بل هو الواجب عليه ، وعلى تمسكه به يحمّد ، لكن ينبغي له أن ينصف مناظره من نفسه ، ويحترم فكر صاحبه كما يجب أن يقابله بمثل هذا الاحترام ليستمر البحث والمناظرة ، ويتبين الحق من قريب مع المحافظة على الأخوة وأواصر المحبة والوئام . والله الموفق . وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

سئل الشيخ رحمه الله تعالى : هل يجوز شراء أسلحة لمحاربة الكافرين من أموال الزكاة ؟

فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : إن العداوة التي بين المؤمنين والكافرين عداوة قديمة مستأصلة ، وأن الخصومة التي بين الفريقين خصومة مستحكمة ، وأن قلوب الكافرين لم تزل ولا تزال تتوهج فيها جمرات الغيظ ، وتشتعل فيها نيران الضغائن والأحقاد لا يكاد يخبو لهيها أو تخمد جمرتها ، بل لا تزال تزداد يوماً بعد يوم ، وتتخذ ألواناً مختلفة من الكيد والتبیت وأشكالاً من الحروب النارية خفية وجهرة سرّاً وعلانية ، وما خفي منها أشد ضرارة وأعظم فتكاً بالمسلمين مما ظهر ، ولذا حذرنا الله من موالاتهم واتخاذ بطانة منهم ، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَآ أَنتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿ (١) .

تارة تكون المعركة بأسلحة مادية وتدور رحاها في الجو أو البحر أو على بساط الأرض بالطائرات والغواصات والدبابات وأمثال ذلك من الأسلحة الفتاكة ، وتارة تكون نظرية فكرية تدور رحاها في عالم الأفكار بإلقاء الشبه ونشر نظريات الإلحاد ونحوها لتشكيك المسلمين في دينهم ،

وزلزلة العقيدة الإسلامية في نفوسهم ، ومحو ما في قلوبهم من حق ويقين ، وآونة تكون حرب أعصاب وفتن توهن العزائم ، وتبعث الرعب في القلوب ، وتحطم وحدة المسلمين ، وتفرق جماعتهم بما تلقى في نفوسهم من بذور الأثرة وأسباب العداوة والبغضاء ، وتجعل بعضهم حربا على بعض إلى غير ذلك من ألوان الكيد والحروب فلا بد للمسلمين أن يواجهوهم بمثل أسلحتهم يواجهونهم بأسلحة مادية يضعونها في نحورهم ، ويقضون بها عليهم ويواجهونهم بأدلة علمية يثبتون بها الحق في قلوب المؤمنين ، ويمحون بها الشبه حتى لا تكون فتنة ولا إلحاد ولا حيرة ولا شكوك يواجهونهم بإيجاد يقظة في الأمة الإسلامية ونشر الوعي فيها حتى ينكشف لهم ما بخصومهم من الكيد والدس وحتى لا يغتروا بالبهرج الكاذب والمظاهر الخداعة ولا يأخذ التهريج من نفوسهم مأخذه .

وكل هذه المواجهات والمكافحات أنواع من الجهاد في سبيل الله يفجوز أن يستعان في القيام بها بأموال الزكاة وغيرها من تبرعات المحسنين من أغنياء المسلمين وبيوت الأموال في الدول الإسلامية عن طريق ولاية الأمور ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى ، وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة وأن الله لسميع عليم .

والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

فتاوى تتعلق بالصلاة

حكم تارك الصلاة

س : سماحة الشيخ : ما حكم تارك الصلاة في المسجد مع العلم أنه يصلي في البيت وهل صلاته مقبولة مع العلم أنه يسمع النداء ؟

الجواب : أبدأ بذكر الدليل ، وأختار لكم من الأدلة الدليل الذي يتصل بكم وهو في القرآن وفي السنة .

الرسول ﷺ كانت له حروب مع الكفار وهذا أمر معروف ، وله غزوات ، وقد نزل في السنة الخامسة أو التي بعدها صلاة الخوف ^(١) وصلاة الخوف تُصلى والإنسان في ميدان القتال سواء كان ميدان القتال خارج البلد ، أو كان في حدود البلد ، ومعروف أن العدو إذا دهم المسلمين صاروا لا يقوون على الصلاة العادية التي نصليها في المساجد ، فكان الرسول ﷺ يصلي بهم صلاة الخوف جماعة فمن أنواع صلاة الخوف ما أذكره الآن في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ ^(٢) هذا في الحرب ، والنداء موجه للنبي ﷺ ، إذا كنت فيهم في المسلمين الذين معك في القتال فأقمت لهم الصلاة ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ ^(٢) أي يكبر لصلاة الجماعة ، ويكون معه نصف الجيش مثلاً ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ ^(٢) والنصف الباقي الذي يكون من ورائكم ، أي أن النصف الأول كان يصلي

(١) راجع حديث صلاة الخوف عند البخاري (٩٤٣) ومسلم (٦/١٢٥) نووي .

(٢) سورة النساء ، الآية رقم ١٠٢ .

مع الرسول ﷺ ركعتين إذا كانوا في غير سفر وإذا كانوا في سفر يصلون ركعة، فإذا صلوا ركعتين قاموا وكملوا لأنفسهم وسلموا، والرسول ﷺ مكانه يقرأ القرآن، ويسبح ويذكر الله حتى يكمل من كان خلفه الركعتين الأخيرتين، وتذهب الطائفة الأولى إلى مكان الطائفة المتخلفة التي تحرس من صلى مع النبي ﷺ، وتأتي الطائفة الأخرى وتصلي مع الرسول ﷺ الركعتين الأخيرتين ويسلم الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم يقومون فيصلون الركعتين الباقيتين، وإذا كانوا في سفر صلت الطائفة الأولى ركعة، ويتنظر النبي ﷺ يقرأ القرآن، والطائفة الأخرى تأتي وتصلي الركعة الثانية وتذهب إلى مكان الطائفة المتخلفة التي هي في الحراسة فتأتي المتخلفة وتصلي الركعة الثانية مع النبي ﷺ ثم تقوم تقضي ما عليها من الركعة الباقية ويسلم الرسول ﷺ حينما ينتهي من الركعة الثانية.

ترتيب الصلاة معروف أنه فرض، وأن سلام المأموم لا يكون قبل سلام الإمام في الصلاة العادية لأنه لو سلم قبل الإمام بطلت صلاته بل يجب على المأموم أن يركع بعد الإمام إذا ركع، وأن يسجد بعده، وأن يقوم بعده، وأن ينخفض بعده وأن يكبر تكبيرة الإحرام بعده، وهذا النظام يختلف في صلاة الخوف، فتركت أركان من قضاء الركعتين، أو الركعة وسبق الإمام بها وكذلك سلامهم قبل الإمام، وهذا الأمر لو كان في الصلاة العادية دون خوف لبطلت الصلاة، ومع ذلك غُضَّ الطرف عنه من أجل المحافظة على صلاة الجماعة، فصلاة الجماعة التي يترك من أجلها فروض لا فرض واحد فروض سبق الإمام، وقضاء ركعات، وهو يقرأ يسبقونه، ويسلمون،

ويذهبون إلى العدو، والجماعة التي تُركت فيها هذه الأركان ألا تكون واجبة، شيء تترك واجبات، وأركان من أجله، لا بد أن يكون واجباً، والذي يقول لا يكون واجباً لا يقبل كلامه أحد، ولا عقل، ولا يقبله الفكر هذا مما استدل به العلماء القائلون بوجوب الصلاة في جماعة والواجب على المسلمين أن يصلوا في جماعة إلا لأعذار تبيح لهم التخلف عنها، مثل مرض شديد أو أحد الأفراد وعليه حراسة ويخشى أنه لو ترك المكان وفيه أشياء مهمة، هذا بعد أن يرجع من ذهب يصلي جماعة مع زميله وليس بلازم أن يكون مع الجماعة الأولى، وله أن يصلي منفرداً إذا صلى أولئك جماعة يكون لمفرده وهو الذي يصلي ويصلي معه واحد يتصدق عليه بأن يكون مأموماً معه، وإن كان المأموم الذي صلى هو الذي يصلح للقراءة ويجودها فيصلّي إماماً ويصلي المفترض التي كانت عليه النوبة مأموماً، هذه طريقة للحرص على صلاة الجماعة في صلاة الخوف، ومن صلاة الخوف أن العدو إذا كان هجم بالفعل ولا يقوى قائد الجيش ولا الجيش على أن ينقسموا قسمين، ولا على أن يقيموا الصلاة في جماعة لأن العدو يتغلب عليهم، ويأتيهم من كل جانب من الجوانب إذا كانوا كذلك وصلوا وهم رجال يمشون على أرجلهم، وهم راكبون على خيولهم وعلى إبلهم، وعلى حميرهم، وصلوا وهم راكبون ويتكلم كل واحد منهم ويحذر صاحبه، ويضرب عدوه بالسيف، ويستقبل القبلة ويستدبرها، وهذا تجاوز الشرع فيه تجاوزاً كلياً للمحافظة على أداء الصلاة في وقتها، هذا لما نزلت صلاة الخوف أما قبل أن تنزل صلاة الخوف، فكان لهم أن يؤخروا الصلاة عن وقتها كما حصل في غزوة الخندق، وأخروا الصلوات النهارية حتى غربت الشمس

فما صلى الرسول ﷺ صلاة العصر إلا بعد أن غربت عليهم الشمس .

وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١) أي صلوا الصلاة العادية التي علمتكم إياها على لسان الرسول ﷺ وفي عمله ، أما ما دام الخوف شديداً فصلوا رجلاً أو ركباناً ، وقال تعالى في سورة النساء أيضاً عقب صلاة الخوف : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (٢) أي يصلي وهو واقف أو على جنبه مستقبل القبلة ومستدبرها إذا كان العدو أمامه وله بالمرصاد وكامن له في مكان منخفض ويتحين له الفرصة لكي يصيده بسلاحه فبدلاً من أن يراه الخصم في وجهه فيرميه بالنبال ينزل في مكان منخفض فيحتمي به ثم يركبه ، ويصيده بدلاً من أن الكافر هو الذي يصيد المسلم ، ويصلي راقداً على جنبه وهو قوي قوة الفيل ، ويصلي على جنبه خداعاً لهذا الكافر وطلباً لسفك دمه والقضاء عليه ، هذا درس نأخذه من صلاة الخوف .

وهذا بيان لأهمية الصلاة وأنهم يحتاجون إليها وقت الجهاد كما يحتاجون لإقامتها في وقتها في غير وقت الجهاد ، فإذا كانت الصلاة معتنى بها في الشرع إلى هذا الحد حتى في الجهاد في سبيل الله ، فكيف الحال والرجل آمن مطمئن جالس في بيته في مكيف مع أهله ، وعلى فراش لين سهل ، فكيف الحال وأنا في هذا الأمن والرخاء وهذه النعمة الوفيرة ،

(١) سورة النساء ، آية رقم ١٠٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية رقم ١٠٣ .

يجب على الإنسان أن يرعى حق الله في يسره وعُسره ومنشطه ومكرهه في الجهاد وفي غير الجهاد .

ومن هذا يتبين أن صلاة الجماعة واجبة ولا يصح للإنسان أن يترك الصلاة في المسجد مع الجماعة، وهو قادر على ذلك إلا لمثل الضرورة التي ذكرت لكم في مسألة النيابة، أو في حريق مثلاً ماذا يفعل جماعة الإطفاء ماذا يفعلون عندهم ضرورة لو تركوها وذهبوا للصلاة الجماعة، أو صلوا صلاة الخوف، قد تشتعل النار وتتغلب على الجماعة الذين بقوا أمام الحريق، والحريق لا يقف في وجهه شيء ولا يخاف، وهو ليس مثل الكفار إذا كان أمامه جماعة يخاف منهم، الحريق ليس له قلب وليس عنده روح حتى تُرهب وتخاف في مثل هذا يتركون الجماعة ولو خرج الوقت، ويتركون الصلاة في وقتها، ويشتغلون في الحريق وبعد أن ينتهي الحريق ويطفأ يصلون جماعة، هذا شيء اضطهرهم لترك الصلاة في جماعة، بل اضطهرهم لتأخير الصلاة عن وقتها، والضرورة تبيح لنا المحظورة التي هي من هذا الجنس وقد مثلت للضرورة .

أما النائم على فراشه ويريد أن يتمتع بأولاده، وأهله، ويكمل شرب الشاي، وتفوته صلاة الجماعة، أو رجل عنده ضيوف واستحى أن يخرج بهم إلى المسجد، هذا يستحي من المخلوق ولا يستحي من الخالق .

أما ترك الصلاة ففيها رأيان مشهوران رأي الجمهور وهو أشهر وأكثر ويكاد يكون إجماعاً وليس بإجماع لكن من كثرة القائلين به يكاد يكون

إجماعاً هو أن تركها كبيرة من الكبائر، تركها كسلاً إذا خرج الوقت، ويقولون له صل فلم يقم إلى الصلاة، صلى العصر لأن الشمس كادت أن تغيب، ولم يصل حتى غابت الشمس، يقول إن شاء الله سأصلي خذنا على جناحك، إذا دخلت الجنة اعمل كذا، الله يصلحك، روح عني، أنا ابتليت بك اليوم، أنا كذا أي يقول كلمات ليست طيبة هذا عند جمهور العلماء يُقتل إذا غابت الشمس لكن يرون أنه يدفن في مقابر المسلمين بعد أن يغسل، ويكفن، ويصلى عليه صلاة الجنازة، هذا الرأي هو أشهر الرأيين .

الرأي الثاني : يقول به جماعة من العلماء يقولون إذا ترك الصلاة كسلاً وفتوراً، وبنه فلا يصلي هذا يقتل عند خروج الوقت، أي عند مغيب الشمس أو يستتاب ثلاثة أيام فإن لم يتب بعد ثلاثة أيام قُتل كفراً، ولا تصلى عليه صلاة الجنازة، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويلف في ملابسه، ويوضع في قبر وحده أو يدفن في مقابر الكفار، ولا يرث ماله المسلمون، بل يُجعل ماله في بيت مال المسلمين، أي يصادر ويسدد منه الدين، هذا هو الحكم الثاني .

أفيرضى إنسان لنفسه أن يختلف فيه أئمة المسلمين.

فريق يقول إنه يقتل، ولكنه مسلم .

وفريق يقول إنه كافر يقتل مرتداً بعد أن يستتاب ثلاثة أيام .

أيرضى مسلم لنفسه بأن يُختلف فيه هذا الاختلاف؟ هذا ما لا يرضى به

عقل .

هذا هو جملة القول في حكم تارك الصلاة أصلاً، ولكنه غير جاحد لها وحكم تارك الصلاة في الجماعة من جهة وجوبها عليه إلا لعذر ويوجد فتاوى في هذا الموضوع في الافتاء، إذا أرسل من جانبكم رسالة واحد إلى الافتاء باسم سماحة الرئيس العام الشيخ عبدالعزيز بن باز يُطلبُ منه الفتوى التي هي في حكم ترك الصلاة، والفتوى التي هي في حكم ترك الصلاة أثناء إطفاء الحريق، والذي سبق التحدث عنها، إذا طلبتم منهم الفتاوى في هذا الموضوع، وفي ترك الصلاة جماعة بغير عذر، تأتي إليكم الفتوى، وتعملون منها نشرات وتوزعون منها فيما بينكم.

ودليل آخر لوجوب صلاة الجماعة الرسول عليه الصلاة والسلام علم أن جماعة يتخلفون عن الصلاة أي تكرر هذا منهم عدة مرات، ويصلون في بيوتهم، وقد يصلون جماعة في البيت، يصلي بزوجته، ويصلي بأولاده، ويعودهم على الصلاة في البيت بدلاً من الصلاة في المسجد ولو جماعة، والرسول عليه الصلاة والسلام علم بحال هؤلاء فقال: «لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام وأن أمر برجل فيصلي بالناس وأن أمر بحطب فيحطب وأن أذهب إلى قوم يصلون في بيوتهم ويتخلفون عن الصلاة في المسجد فأحرق عليهم بيوتهم»^(١) قال العلماء: كان يحرقها لولا ما فيها من النساء والصبيان، أي لولا ما فيها ممن لا تجب عليهم الصلاة جماعة في المسجد لحرقتها عليهم، ولكنه عليه الصلاة والسلام رحم من في البيوت من أرباب الأعذار من الصبيان والنساء، ومن لا يقوى، ومن لا يجب عليه أن يأتي إلى المسجد من المستضعفين والمرضى، فرحم هؤلاء وترك تحريق البيوت

(١) رواه البخاري [٦٤٤]، ومسلم [٢٥١].

عليهم ثم كان هذا البلاغ منه على ملاء من الصحابة كافياً لأن يسارع أولئك إلى المساجد ليصلوا الصلوات الخمس جماعة في بيت الله سبحانه وتعالى .

هذا دليل أيضاً من الأدلة ولكنني بدأت بما يتصل بالنواحي الحربية بما هو أوثق بجماعتكم من الجماعة الذين جلسوا في بيوتهم في أمن وسلام .

وصلّى الله على سيدنا محمد ﷺ .

تحية المسجد

والإمام يخطب يوم الجمعة (١)

اتفق العلماء على طلب تحية المسجد في الجملة لمن دخل المسجد، كما اتفقوا على طلب الإنصات والإصغاء للخطيب يوم الجمعة في الجملة أيضاً، واختلفوا فيما ينبغي لمن دخل والخطيب يخطب للجمعة: هل الإنصات والاستماع فلا يصلي التحية؟ أم يصلي التحية. فذهب إلى الأول من الأئمة الأربعة مالك وأبو حنيفة، وإلى الثاني منهم الشافعي وأحمد (٢). وهاك مأخذ الفريقين ومنزع المذهبين، وبيان ما يعطيه الحجاج من الحق:

احتج الأولون أولاً: بعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ (٣). قالوا: أمر الله تعالى بالإنصات والاستماع للقرآن، فالخطبة كذلك، إذ هي قرآن، وفي أداء التحية وقتئذ تشاغل وإعراض عن امتثال الأمر، فلا يجوز.

ثانياً: بقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا قلت لصاحبك: أنصت والإمام

(١) مقالة للمؤلف رحمه الله بمجلة التوحيد الصادرة في مصر العدد الخامس.

(٢) قال النووي في (المجموع) (٤/ ٥٥٢): «مذاهب العلماء فيمن دخل المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب مذهبتنا (أي الشافعية) أنه يستحب له أن يصلي ركعتين تحية المسجد ويخففهما ويكره تركهما. وبه قال الحسن البصري، ومكحول، والمقبري، وسفيان بن عيينة، وأبو ثور، والحميدي، وأحمد، وإسحاق، وابن المنذر، وداود، وآخرون. وقال عطاء بن أبي رباح، وشريح، وابن سيرين، والنخعي، وقتادة، ومالك، والليث، والثوري، وأبو حنيفة، وسعيد بن عبدالعزيز، لا يصلي شيئاً» وقال بنحو ذلك في شرح صحيح مسلم (٦/ ١٦٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

يخطب يوم الجمعة فقد لغوت»^(١) متفق عليه، قالوا: اعتبر إرشاده لجليسه إلى الخير، وأمره بالمعروف لغواً مع قصر زمنه، فالتشاغل بالتحية أولى أن يكون لغواً فيمنع.

ثالثاً: بما رواه الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إذا دخل أحدكم والإمام على المنبر فلا صلاة ولا كلام حتى يفرغ الإمام»^(٢).

والجواب عن الثلاثة جملة أنها مخصوصة بمن دخل فلا يعمه حكمها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما»^(٣)، فإنه إذا تعارض الخاص والعام قضى بالخاص على العام.

ويخص الأول: أن إطلاق القول بأن الخطبة قرآن دعوى لا دليل عليها، نعم يجوز أن يكون فيها منه آية أو أكثر، ومع ذلك فالحكم للغالب، ويخص الثاني: أن مصلي الركعتين يطلق عليه منصت، ونظيره في ذلك: ما رواه أبو هريرة في افتتاح الصلاة أنه قال: يا رسول الله، سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول فيه^(٤)؟ فأطلق السكوت على القول سرّاً، فهنا كذلك، ويخص الثالث: أنه حديث ضعيف، فيه: أيوب بن نهيك، قال أبو زرعة

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب: الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب (٩٣٤) ومسلم في الجمعة باب الإنصات يوم الجمعة في الخطبة (٨٥١) من حديث أبي هريرة.

(٢) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٨٤ / م) «رواه الطبراني في الكبير وفيه أيوب بن نهيك وهو متروك ضعفه جماعة وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ».

(٣) رواه مسلم في الجمعة باب: التحية والإمام يخطب (٨٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في الأذان باب ما يقوله بعد التكبير (٧٤٤). ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة (٥٩٨).

وأبو حاتم: إنه منكر الحديث (١) فلا تقوم به حجة .

رابعاً واستدلوا: بما رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن خزيمة من طريق عبد الله بن بسر قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس والنبي ﷺ يخطب، فقال له: «اجلس فقد آذيت» وفي رواية: «وأنيت» (٢) قالوا: أمره بالجلوس دون التحية فدل على عدم مشروعيتهما حينئذ .

والجواب عنه من وجوه: الأول: أنه يحتمل أن يكون هذا الرجل قد صلى التحية في مؤخر المسجد على مرأى منه ﷺ، ثم تقدم ليتمكن من سماع الخطبة فتخطى الأعناق فأنكر عليه .

الثاني: يحتمل أن يكون الرجل دخل في أواخر الخطبة، وقد ضاق الوقت بحيث لا يتمكن من التحية قبل الإقامة فلا يطالب بها، ويدل على ذلك ما في بعض الروايات: «فقد آذيت وأنيت» أي: أبطأت .

الثالث: أن معنى قوله ﷺ: «اجلس» النهي عن تخطي الأعناق، بدليل قوله: «فقد آذيت»، وأما التحية فقد وكله عليه الصلاة والسلام إلى ما علمه الرجل قبل ذلك من ضرورة التحية، ومع هذه الاحتمالات لا يقوى الحديث المذكور على الاحتجاج به في محل النزاع ذلك جملة حجج المنافقين وقد بينا ما فيها من أخطاء .

(١) قال ابن حجر في الفتح (٢/٤٧٥) .

(٢) أخرجه أبو داود في الجمعة باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة (١١١٨) وليس فيه وأنيت والنسائي في الجمعة باب النهي عن تخطي رقاب الناس والإمام على التبر يوم الجمعة (١٠٣/٣) وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها باب ماجاء في النهي عن تخطي الناس يوم الجمعة (١١١٥) وابن خزيمة (١٨١١) والحاكم (٢٨٨/١) وصححه ووافقه الذهبي . قال ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/١٤٤) وضعفه ابن حزم بما لا يقدره وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٣٢٦) .

ذلك جملة حجج المانعين ، وقد بينا ما فيها من عيوب .

واحتج الآخرون أولاً: بقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما»^(١) وهو قاض على عموم ما ذكروا من الأدلة، ولا مطعن فيه، قال النووي: لا أظن عالماً يبلغه هذا اللفظ صحيحاً فيخالفه^(٢).

ثانياً احتجوا: بما رواه جابر بن عبد الله قال: جاء رجل والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقال: «صليت يا فلان» فقال: لا، قال: «قم فاركع»، وفي رواية: «فصل ركعتين» رواه الجماعة^(٣)، وهذا الرجل هو: سليك الغطفاني^(٤)، وأجاب المانعون بأنها واقعة حال لا عموم لها. ويدل على اختصاصها بسليك ما روي من حديث أبي سعيد أن الرجل كان في هيئة بذة فقال له: «أصليت»، قال: لا، قال: «صل ركعتين»، وحض على الصدقة^(٥). وأيضاً في هذا الحديث عند أحمد أن النبي ﷺ قال: «إن هذا

(١) مر تخريجه، ص ١٧٨.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٦٤/٦).

(٣) أخرجه البخاري في الجمعة باب إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره أن يصلي ركعتين (٩٣٠) ومسلم في الجمعة باب تحية المسجد والإمام يخطب (٨٧٥). والترمذي في الصلاة باب: ما جاء في الركعتين إذا جاء في الركعتين إذا جاء الرجل والإمام يخطب (٥١٠) وقال (حسن صحيح).

(٤) أخرجه مسلم من حديث جابر السابق قال جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر فقعده سليك قبل أن يصلي فقال له النبي ﷺ أركعت ركعتين قال: لا، قال: قم فأركعهما.

(٥) أخرجه النسائي في الجمعة باب حث الإمام على الصدقة يوم الجمعة والإمام في الخطبة (١٠٦/٣) والترمذي في الصلاة باب ما جاء في الركعتين إذا جاء الرجل والإمام يخطب (٥١١) وقال (حسن صحيح) وابن خزيمة (١٧٩٩) وحسنه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة.

الرجل دخل في هيئة بذة وأنا أرجوا أن يفطن له رجل فيتصدق عليه» (١) ، ورد بأن الأصل عدم الخصوصية ، وما ذكروه من قصد الصدقة لا يمنع القصد إلى التحية - أيضاً - معها فيكون كل منهما جزء علة للأمر ، ولو كان للفت النظر إلى الرجل فحسب لقال : إذا رأيت ذا بذة فتصدقوا ، أو إذا كان أحدكم ذا بذة فليصل ركعتين حتى ينتبه له فيتصدق عليه .

وأجابوا عن حديث سليك - أيضاً - بأن النبي ﷺ سكت حتى فرغ سليك في صلاته ، فقد جمع سليك بين التحية والإنصات ، فلم يبق في حديثه حجة لمن أجاز التحية وقتئذ . ورد بأن حديث سكوت النبي ﷺ حتى يفرغ سليك : ضعيف ، فإن الدارقطني الذي أخرجه من حديث أنس بن مالك وقد ضعفه ، وقال الصواب أنه من رواية سليمان التيمي مرسلأ أو معضلاً (٢) فلا صحة فيه ، على أنه لو ثبت لكان مخالفاً لقاعدتهم ، فإن

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/٣) والنسائي في الزكاة باب إذا تصدق وهو محتاج إليه هل يرد عليه (٦٣/٥) .

(٢) أخرجه الدارقطني في الصلاة باب في الركعتين إذا جاء الرجل والإمام يخطب (١٥/٢) من طريق عبيد بن محمد العبدى ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن أنس قال : « دخل رجل من قيس ، ورسول الله ﷺ يخطب ، فقال : له النبي ﷺ « قم فاركع ركعتين » وأمسك عن الخطبة حتى فرغ من صلاته » قال الدارقطني « أسنده عبيد بن محمد العبدى عن معتمر عن أبيه عن قتادة عن أنس ، ووهم فيه ، والصواب عن معتمر عن أبيه مرسل ، كذا رواه أحمد بن حنبل وغيره عن معمر » . ثم أخرجه (١٦/١) عن أحمد بن حنبل ثنا معتمر عن أبيه قال : جاء رجل والنبي ﷺ يخطب فقال : يا فلان أصليت ؟ قال : لا ، قال ، فصل ، ثم انتظره حتى صلى « انظر : فتح الباري (٤٧٥/٢) .

وأيضاً أخرجه (١٦/١) عن أبي معشر عن محمد بن قيس أن النبي ﷺ حين أمره أن يصلي ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ من ركعتيه ، ثم عاد إلى خطبته « قال الدارقطني « هذا مرسل لا تقوم به الحجة ، وأبو معز اسمه نجيح وهو ضعيف » . قال العلامة الطيب آبادي رحمه الله في =

العمل بعد الشروع فيه لا يجوز قطعه عندهم ، لا سيما إذا كان واجباً فعلى كلا الأمرين لا حجة لهم فيه ، وقد تعللوا بأجوبة أخرى يأباهما النظر فلا داعي إلى سردها .

وبالجملة فلكل منزع ، وقد عرفت وجه الصواب في ذلك ، وهو ضرورة ^(١) صلاة تحية المسجد للدخول والإمام يخطب للأحاديث الصحيحة الصريحة الثابتة في ذلك مع ضعف جميع الأحاديث التي تمسك بها المانعون ، ولا نرى ما يحملنا على ترك الصحيح الثابت ، والتحول عنه إلى الضعيف الواهي اللهم إلا العصبية الممقوتة والتقليد الأعمى ، هداًنا الله إلى سواء السبيل .

= (التعليق المغنى على الدارقطني) (١٦/١-١٧) « وأيضاً هذه الزيادة - إمساكه عن الخطبة - معارضة لقول النبي ﷺ : « إذا جاء أحدكم والإمام يخطب ، أو قد خرج فليصل ركعتين ، وهذا حديث جيد الإسناد متفق على صحته المروى في الصحاح ، ومعارضة ليس مما تقوم به الحجة لضعفه ولإرساله ، فكيف يترك العمل به ؟ بل ترد هذه الزيادة ، والله تعالى أعلم » .

(١) لعل الشيخ رحمه الله يذهب إلى الوجوب فقد قال : ابن رشد في (بداية المجتهد) (٤٨٤/١) « والجمهور على أن ركعتي دخول المسجد مندوب إليها من غير إيجاب وذهب أهل الظاهر إلى وجوبها » والله أعلم .

س : هل صلاة التراويح ثلاث عشرة ركعة أم اثنتان وعشرون ؟

فأجاب رحمه الله تعالى بقوله : ثبت عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل عائشة - رضي الله عنها - كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت : ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً ، قالت عائشة - رضي الله عنها - ، فقلت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي^(١) . رواه البخاري في صحيحه ، وثبت عن مسروق أنه سأل عائشة - رضي الله عنها - عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، فقالت : سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر^(٢) رواه البخاري في صحيحه ، وثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة^(٣) يعني بالليل رواه البخاري في صحيحه ، وثبت عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ صلى ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى من القابلة فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال : قد رأيت

(١) أخرجه البخاري في صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان (٢٠٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري في التهجد باب كيفية صلاة النبي ﷺ ؟ وكما كان النبي ﷺ يصلي من الليل ؟ (١١٣٩) .

(٣) أخرجه البخاري في التهجد باب كيف صلاة النبي ﷺ ؟ وكما كان النبي ﷺ يصلي من الليل ؟

(١١٣٨) وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل (٧٦٤)

بلفظ « كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة » .

الذي صنعتهم ، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم ، وذلك في رمضان ^(١) رواه البخاري ومسلم ، وثبت عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر ، إحدى عشرة ركعة ، يسلم بين كل ركعتين ، ويوتر بواحدة ، رواه مسلم وأبو داود والنسائي ^(٢) .

فمن هذا ونحوه من الأحاديث يتبين أن رسول الله ﷺ لم يزد في صلاة الليل على إحدى عشرة ركعة كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - ، وثلاث عشرة ركعة كما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وأنه كان ينقص من ذلك أحياناً ، وقد استمر العمل على صلاة الليل إحدى عشرة ركعة في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر - رضي الله عنهما - باتفاق ، ثم اختلف الفقهاء هل صارت صلاة الليل - التراويح - في شهر رمضان آخر خلافة عمر - رضي الله عنه - عشرين ركعة سوى الوتر في الجماعة ، أو الذي جد هو صلاتها جماعة بعد أن كان المسلمون يصلونها فرادى ، أما عدد الركعات فأحدى عشرة ركعة لم يتغير عما كان عليه من قبل ؟

وسبب اختلافهم في ذلك الاختلاف ما أمر به عمر - رضي الله عنه - من عدد ركعات التراويح وما فعل في عهده ، فقد روى مالك في الموطأ عن ^(١) أخرجه البخاري في التهجد ، باب : تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب (١١٢٩) ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٦١) .

^(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب : صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة (٧٣٦) وأبو داود في الصلاة باب : في صلاة الليل (١٣٣٧) والنسائي في الصلاة ، باب : إيدان المؤذنين الأئمة بالصلاة (٣٠١٢) .

محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أنه قال : أمر عمر - رضي الله عنه -
أبي بن كعب وتيمماً الداري أن يقوم بالناس بإحدى عشرة ركعة قال : وقد
كان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام ، وما كنا
ننصرف إلا في بزوغ الفجر» ^(١) وروى مالك ^(٢) عن يزيد بن رومان أنه
قال : كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث
وعشرين ركعة» ^(٣) ، وأرى أن صلاتها إحدى عشرة ركعة أفضل ، فإنه على
تقدير عدم صحة ما روي أنها صليت في عهد عمر - رضي الله عنه - عشرين
أو ثلاث وعشرين ركعة فالأمر ظاهر ، وعلى تقدير صحة صلاتها عشرين
أو ثلاث وعشرين ركعة في عهد عمر - رضي الله عنه - فالعمل بما ثبت عنه
ﷺ وعُمل به في عهد أبي بكر وصدر من خلافة عمر - رضي الله عنهما -
مقدم على ما حدث بعد باجتهاد ، والخطب في هذه المسألة سهل ، فإنه
خلاف في أي العملين أفضل ؟

وأما ما جرى عليه العمل بالمملكة العربية السعودية في صلاة التراويح
في عصرنا ، فبعض الأئمة يصليها بالمساجد جماعة إحدى عشرة ركعة ،
وبعضهم يصليها بالمساجد جماعة ثلاثاً وعشرين ركعة ، عملاً ببعض ما ثبت
في نظرهم من الآثار عن عمر رضي الله عنه .

(١) بزوغ الفجر : هي أوائله وأول ما يبدو منه . يعني بذلك أنهم كانوا لا يقضون صلاتهم لطول
القيام إلا لقرب الفجر - قاله الباجي في المنتقى (٢٠٩ / ١) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في الصلاة في رمضان باب : ما جاء في قيام رمضان (٤) .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ في الصلاة في رمضان باب ما جاء في قيام رمضان (٥) والبيهقي في
السنن الكبرى (٢ / ٤٩٦) وقد ضعفه النووي في (المجموع) (٣٣١٤) بقوله (رواه البيهقي
ولكنه مرسل فإن يزيد بن رومان لم يدرك عمر) . وكذلك ضعفه العيني في (عمدة التاري)
(٣٥٧ / ٥) بقوله (سنده منقطع) .

سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن بعض المسلمين في غرب تنزانيا يصلون الجمعة ثم يصلون الظهر . فما حكم الجمع بين الصلاتين هاتين ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : ثبت أن الجمعة في عهد النبي ﷺ لم تكن تصلى بالمدينة إلا في مسجد واحد ، وأن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يأتون إليه ﷺ من أطراف المدينة ومن العوالي ونحوها ليصلوا معه الجمعة ، واستمر العمل على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - فلم يثبت أن أحداً جمع في عهده ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين - رضي الله عنهم - بالمدينة في غير المسجد النبوي أو في العوالي ونحوها مما هو حول المدينة ، بل كانوا يقصدون إلى المسجد النبوي لإقامة الجمعة فيه لعدم الحاجة في ذلك الوقت إلى إقامتها في أكثر من مسجد ^(١) ، وعندما وجدت الحاجة تعددت المساجد من أجل ذلك ^(٢) رأى بعض الفقهاء كالمالكية أن من شروط

(١) ما ذكره الشيخ مأخوذاً بالاستقراء كما قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (١/ ١١١ - ١١٢) فقال : (قال الشافعي ولا يجمع في مصر وإن عظم ولا في مساجد إلا في مسجد واحد ، وذلك لأن النبي ﷺ والخلفاء بعده لم يفعلوا إلا كذلك) . وقال ابن المنذر في الأوسط (٤/ ١١٦) (أن الناس لم يختلفوا أن الجمعة لم تكن تصلى في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين إلا في مسجد النبي ويعطل سائر المساجد وفي تعطيل الناس الصلاة في مساجدهم يوم الجمعة لصلاة الجمعة واجتماعهم في مسجد واحد أبين البيان بأن الجمعة خلاف سائر الصلوات وأن الجمعة لا تصلى إلا في مكان واحد) .

(٢) وقد أخرج عبد الرزاق في المصنف (٥١٩٠) بسند صحيح عن ابن خزيمة قلت لعطاء رأيت أهل البصرة لا يسعهم المسجد الأكبر كيف يصنعون ؟ قال لكل قوم مسجد يجتمعون فيه ، قلت : الحق عليهم التجميع في مساجدهم ثم يجزي ذلك عنهم من التجميع في المسجد الأكبر إن لم يسعهم ؟ قال : نعم . قال الشيخ الألباني في الأجوبة النافعة (ص / ٨٢) (ينبغي الحيلولة دون تكثير الجمع والحرص على توحيدها ما أمكن اتباعاً للنبي وأصحابه من بعده وبذلك =

صحة الجمعة أن تكون في مسجد، مع اختلاف بينهم في شروطه، ورأى آخرون كالحنفية أنها لا تصح إقامتها إلا في مصر تقام فيه الحدود، وتنفذ فيه أحكام الإسلام مع اختلاف بينهم في تفسير المصر، اعتماداً من الفريقين على ما كان من فعل النبي ﷺ - وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم -، لكن الاستدلال بذلك لما ذهب كل منهما إليه غير صحيح، لأن مجرد الفعل ليرفع المداومة عليه إنما يدل على السنة والكمال، لا على توقف الصحة على ذلك، بل دل الدليل على صحتها في قرية وفي غير المسجد، فإن مصعب بن عمير^(١) وأسعد بن زرارته^(٢)، جمع بالمسلمين بالمدينة قبل هجرة النبي ﷺ

= تتحقق الحكمة من مشروعية صلاة الجمعة وفوائدها أتم تحقيق، ويقضي على التفرق الحاصل بسبب إقامتها في كل المساجد كبيرها وصغيرها حتى أن بعضها ليؤكد أن يكون متلاحق في بعض البلاد).

(١) قال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الحبير) (١١٥/١) (وروى الدارقطني من طريق المغيرة بن عبد الرحمن بن مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال: «أذن النبي ﷺ الجمعة، قبل أن يهاجر، ولم يستطع أن يجمع بمكة، فكتب إلى مصعب بن عمير: أما بعد؛ فانظر اليوم الذي تهجر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، ففقدوا إلى الله بروكعتين»). قال الشيخ الألباني في (إرواء الغليل) (٦٨/١) «سكت عليه الحافظ، ولم أره في سنن الدارقطني فالظاهر أنه في غيره من كتبه، وإسناده حسن إن سلم من دون المغيرة، وهو ابن عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عياش أبو هاشم المخزومي وقد احتج به الشيخان وفيه كلام يسير».

وروى الطبراني في الكبير (٢٦٧/١٧) رقم (٧٣٣) والأوسط (٦٢٩٤) بمعهذه عن أبي مسعود الأنصاري قال: أول من قدم من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير، وهو أول من جمع بها يوم الجمعة، جمعهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ، وصلى بهم».

قال الحافظ ابن حجر في (التلخيص) (١١٥/١): «وفي إسناده صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف» وأقره الشيخ الألباني في الإرواء (٦٨/١). والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب الجمعة في القرى (١٠٦٩) وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها في باب فرض الجمعة (١٠٨٢) وغيرهما وقال ابن حجر في (التلخيص الحبير) =

إليها ، ولم تكن حينئذ تقام بها الحدود ، ولا تنفذ فيها الأحكام لضعف شوكة المسلمين ، وأقيمت الجمعة بقرية جواثي بالبحرين في عهد النبي ﷺ (١) ، فدل ذلك على أنه لا يشترط المصير ولا المسجد لصحة صلاة الجمعة .

ويرى جمهور العلماء أنه لا يجوز تعددها في البلد الواحد مراعاة لجمع الكلمة ، وإشعاراً بالوحدة ، إلا لحاجة تدعو إلى ذلك ، كتباعد أطراف البلد ، أو ضيق المسجد عن أهله ، أو وجود خصومة بين سكانه ينشأ عنها خطر عند الاجتماع ، فيجوز تعددها بقدر الحاجة ، دفعاً للمشقة ورفعاً للخرج عنهم قال الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٣) ولأنها صليت في أماكن عند الحاجة ، وعلى هذا يتبين أن الجمعة إذا أقيمت في غير المصير وفنائها كانت

= (١١٥/١) « وإسناده حسن » .

وحسنه الشيخ الألباني في (إرواء الغليل) (٦٧/١) . وبينه وبين الحديث السابق مخالفة فإن فيه أن أسعد بن زرارة هو أول من جمع بهم وفي هذا الحديث قال عبدالرحمن ابن كعب بن مالك عن أبيه كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة ، فقلت له : إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال : لأنه أول من جمع بنا في حَزْمِ النَّبِيِّ من حَرَّةِ بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخصومات قلت : كم أنتم يومئذ ؟ قال أربعون . وقد جمع ابن حجر بينهما بقوله (ويجمع بينه وبين الأول بأن أسعد كان أمراً ، وكان مصعب إماماً) . وقال الشيخ الألباني في (الإرواء) (٦٩/١) .

« ويمكن أن يقال أن مصعباً أول من جمع في المدينة نفسها ، وأسعد أول من جمع في بني بياضة وهي قرية على ميل من المدينة) . والله أعلم .

(١) يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

باطلة عند الحنفية، وعلى من صلاها أن يصلي الظهر.

وأن من صلاها في غير مسجد ولو متحدة في مصر بطلت جمعته عند المالكية، ووجب عليه عندهم أن يعيدها جمعة في مسجد ما دام الوقت، مع استيفاء بقية شروطها وإلا صلاها ظهراً، وأنها إذا أقيمت في مصر جماعة في مساجد متعددة لغير حاجة أصبحت عند جمهور الفقهاء ممن صلاها في الجامع العتيق أو ممن سبق بها غيره، وبطلت على غيره، وعند العلم بالتساوي تبطل على الجميع، ويجب على من بطلت جمعته من هؤلاء أن يصلي ظهراً، فإن أقيمت في مسجد جماعة بمصر ولم تتعدد به أو تعددت لحاجة تدعو إلى ذلك مع استيفاء باقي شروطها صحت عند الجميع.

ولهذا يعرف أن السبب في صلاة بعضهم الظهر بعد أن صلى الجمعة إنما هو فقد شرط صحة الجمعة في رأيه أو في مذهب من قلده، مع اتفاق الجميع على أن الله لم يفرض على المسلمين في كل يوم وليلة إلا خمس صلوات.

وقد تقدم أن اشتراط المصر في صحة إقامتها، أو اشتراط المسجد في صحتها لا ينهض الدليل على إثباته، وأن المنع من تعددها في البلد الواحد لا حاجة يتفق مع ما كان عليه العمل في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، كما يتفق مع الحكمة التي من أجلها شرعت الجمعة، لكن غاية ما يدل عليه ذلك أنه يسن عدم تعددها في البلد الواحد إلا لحاجة، وعلى هذا فالصواب أن من صلى الجمعة في المسجد الذي حصل به التعدد في البلد لغير حاجة فصلاته صحيحة وقد أساء لتركه السنة ولا يصلي ظهراً بعد صلاته الجمعة، والله الموفق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سئل الشيخ رحمه الله تعالى : هل صلاة العيد تجزيء عن صلاة الجمعة ؟

اختلف العلماء فيما إذا كان العيد يوم الجمعة ، فقال جماعة : من صلى العيد مع الإمام سقطت عنه الجمعة ولا ظهر عليه أيضاً ذلك اليوم ، واستدلوا بما رواه النسائي في سننه « المجتبى » بسنده عن وهب بن كيسان قال : اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير ، فأخر الخروج حتى تعالى النهار ، ثم خرج فخطب فأطال الخطبة ، ثم نزل فصلى ، ولم يصل للناس يومئذ الجمعة ، فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : أصاب السنة ^(١) ، وبما رواه أبو داود في سننه بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال : صلى بنا ابن الزبير في يوم عيد في يوم الجمعة أول النهار ، ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانا ، وكان ابن عباس بالطائف ، فلما قدم ذكرنا ذلك له ، فقال : أصاب السنة ^(٢) ، وبما رواه أبو داود أيضاً عن عطاء قال : اجتمع يوم الجمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير رضي الله عنهما فقال : عيدان اجتمعا في يوم واحد ، فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما ، حتى صلى العصر ^(٣) ، فترك ابن الزبير صلاة الجمعة ذلك اليوم وهو الإمام إذ ذاك وقول ابن عباس : أصاب السنة ، وعدم إنكار أحد من الصحابة عليه ، وعدم خروجه ذلك اليوم عند الزوال لصلاتها أو صلاة الظهر بالناس دليل على سقوطها وسقوط الظهر يومئذ عنه وعن من صلى العيد معه ، بل دليل على

(١) أخرجه النسائي في صلاة العيدين ، باب : الرخصة في التخلف عن الجمعة لمن شهد العيد

(٣/ ١٩٤) صححه الألباني في صحيح النسائي (١١٥٠١) .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب تفريع أبواب الجمعة (١٠٧١) .

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة باب تفريع أبواب الجمعة (١٠٧٢) .

سقوطهما عنهم وعن غيرهم ممن لم يصل معه العيد ذلك اليوم .

ثم أن هذه المسألة من مسائل العبادات والعبادات مبنية على التوقيف في مثل ذلك ، فكان عمل ابن الزبير رضي الله عنهما في حكم المرفوع .

لكن قال أبو البركات ابن تيمية في المنتقى عقب ذكر عمل ابن الزبير : قلت : وجه هذا أنه رأى مقدمة الجمعة قبل الزوال فقدمها واجتزأ بها عن العيد . أ. هـ (١) .

ويقال أيضاً إن إسقاط صلاة الجمعة والظهر عن من صلى العيد خارج عن الأصول التي فرضت على المكلفين خمس صلوات في كل يوم وليلة ، وعن الأصول التي دلت على إقامة كل من الصلوات في جماعة ، وهؤلاء قد صلوا الجمعة أو الظهر وحدانا حينما لم يخرج لهم ابن الزبير ، وكان المشروع لهم على مقتضى دليلهم ألا يصلوها أصلاً اكتفاء بصلاتهم العيد ، أو أن يصلوها جماعة بمقتضى دليل مشروعية الجماعة في الفرائض .

وقال أكثر الفقهاء : لا يرخص لمن صلى العيد في ترك الجمعة ذلك اليوم ، ولا لغيرهم بل يجب على من توفرت فيه شروط وجوبها أن يصلوها ، لأن أدلة وجوبها عامة لم تفرق بين من صلى العيد ذلك اليوم ومن لم يصله ، والأصل بقاء ذلك حتى يثبت من أدلة الشرع ما يدل على خلافه .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثالث

مباحث في القرآن

مباحث الأدلة

أولاً : القرآن :

القرآن في الأصل مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، ومعناه في اللغة الجمع والضم. قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾^(١) وقرآنه أي قراءته ﴿فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٢) أي جمعه لك في صدرك، فاتبع ذلك الذي جمع تلاوة وبلاغاً وعملاً، وقد صار علماً بالغلبة على الكتاب العزيز في عرف علماء الشرح، ويعرف بأنه كلام الله الذي أنزله على محمد ﷺ، ليتعبد الناس بتلاوته وبأحكامه، وليكون آية له على رسالته، يتحدى بها قومه وطالهم أن يأتوا بمثلها، فإذا ما عجزوا دل ذلك على صدقه فيما ادعاه من الرسالة.

وسمى قرآنا لجمعه ما تحتاج إليه الأمة في سعادتها وصاحبها عاجلاً وأجلاً من عقائد، وعبادات، وأخلاق ونظم المعاملات قال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣)، وقال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) ولما فيه من الجمع بين السور والآيات.

وعلى هذا لا تسمى الأحاديث النبوية قرآناً لأن ألفاظها من الرسول وإن كان معناها وحياً. ولا تسمى الكتب الأولى كالتوراة قرآناً لنزلها على غيره

(١) سورة القيامة، الآية ١٧. (٢) سورة القيامة، الآية: ١٨.

(٣) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٤) سورة النحل، الآية: ٨٩.

من الأنبياء ولا يسمى الحديث القدسي قرآناً لأنه ليس مما يتعبد بتلاوته ولا آية تحدى بها الرسول أمته .

القراءة المتواترة ما وافقت العربية ورسم المصاحف العثمانية وتواتر نقلها . والقراءة الشاذة ما نقلت أحاداً على أنها قرآن ، وقيل فيها أنها ما وراء السبعة ، وقيل ما وراء العشرة كقراءة ابن مسعود ﴿ فصيام ثلاثة أيام متتابعات ﴾ ، وقراءته ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهم ﴾ وقد اختلف في القراءة الشاذة هل تسمى قرآناً أو لا والجمهور على أنها ليست بقرآن لعدم تواترها ثم اختلفوا في الاحتجاج بها فقليل أنها حجة تثبت بها الأحكام فإنها إن كانت قرآناً فلا إشكال عنها لا يمنع من كونها وحياً ، فإذا رويت عن طريق صحيح كانت حجة كسائر الأحاديث الثابتة ، وبذلك وجب التابع في صيام كفارة البمين ، وقيل ليست بحجة وبيانه أن الرسول ﷺ كان واجبا عليه أن يعلم القرآن من أمته جماعة تقوم بهم الحجة القاطعة لبلوغهم عدد التواتر ، وإذا كان كذلك لم يتطور منهم التواطؤ على عدم نقل ما سمعوه من القرآن وعلى هذا فمن انفرد بقراءة فإن نقلها على أنها قرآن فهو مخطيء ولا فهي إما مذهب فهمه من القرآن أو خبر أحاد ومع التردد بينهما لا يصح الاحتجاج . وأجيب عن ذلك بتسلم تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام من أمته جماعة تقوم بهم الحجة ولا تتواطأ على ترك ما سمعت لكن يكفي في عدم تواطئها على الترك نقل البعض وإن كان أحاداً فيكون ذلك قرآناً وعلى تقدير أن ناقله لم يسمه قرآناً فهو كحديث نبوي أو قدسي فكان حجة تثبت بها الأحكام لأنه خبر عن المعلوم .

حفظ الدين جملة :

أنزل الله القرآن وجمعه خاتم الكتب السماوية كما جعل نبيه محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وجعل إليه بيان القرآن وتفضيل آياته وأحكامه بقوله وعمله وسيرته قال تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (١) ووعد سبحانه الأمة بحفظ كتابه وتكفل لها ببقاء دينه لتقوم به الحجة دائماً وتسقط المعاذير حيث لا نبي بعد محمد ﷺ ولا تشريع بعد تشريعه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٢) فقيض سبحانه لهذا الكتاب المبين من يحفظه من الزيادة فيه والنقص منه ومن التقديم والتأخير في آياته، أو كلمات، وتحريف ألفاظه، أو معانيه بسوء فهمها وبيانها بغير ما قعد منها وأريد بها من التأويلات الباطلة والآراء الزائفة قصداً أو عن غير قصد فما من عصر من العصور إلا وفيه من أئمة الدين وأهل البصيرة فيه من ينفي عن كتاب الله ويدفع عن سنة رسوله ﷺ ما كاد به أعداء الإسلام لهذا الدين الحنيف من تأويلات ادخلوا بها الريب والشكوك على من يستهويهم زخرف القول ومن شبهات موهولها على ضعفاء العقول إنجازاً من الله لوعيده في كتابه وتصديقاً لقول نبيه ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق ظاهره... » (٣) الحديث وإبقاء للحجة على الخلق وحفاظاً لهذا النور وهذه الهداية رحمة بالعباد .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٩ .

(١) سورة النحل ، الآية : ٤ .

(٣) ورد عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم وهو حديث متواتر كما نص على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم شيخ الإسلام بن تيمية في إقتضاء الصراط (٦٩ / ١) . والكتاني في نظم المتناثر (٩٣) والألباني في صلاة العيدين (ص ٣٩ ، ٤٠) والسلسلة الصحيحة رقم (٢٧٠) .

نقل القرآن تواتراً ووصوله إلينا خطأ وكتابة

أولاً : وصوله إلينا تواتراً بطريق الحفظ :

عني النبي ﷺ بأداء ما حمله من آياته الوحي فبلغ رسالة ربه امتثالاً لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (١) وقد نصح للأمة وبيّن لها غاية البيان، فكان يعلم أصحابه ما نزل عليه من القرآن تلاوة له وحفظاً ودراسة لمعانيه وكان يأخذهم بالعمل بما فيه .
بذلك جمع الله لهم بين حفظ أصل الدين

وفهم نصوصه وسلامة العقيدة وحسن السيرة كما قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل . قال : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً (٢) .

وكثر حفظة القرآن من الصحابة المهاجرين والأنصار الرجال منهم والنساء، فمن المهاجرين الخلفاء الراشدين وحفصة وأم سلمة وغيرهم، ومن الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وأبو زيد قيس بن السكن الخزرجي وزيد بن ثابت وغير هؤلاء كثير، كالذين قتلوا يريدونه وكانوا زهاء سبعين رجلاً، وكالقراء الذين استحربهم القتل في موقعة اليمامة وغيرها، وإن كان بعض هؤلاء قد أخذ القرآن من النبي ﷺ مباشرة غضاً طرياً وحفظه في حياته، وبعضهم أخذ بعضه عن النبي ﷺ وأخذ ببقيته من إخوانه

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

(٢) رواه ابن جرير في (تفسيره) ٢٤٥ / ١١ .

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع التفاوت بينهم في ذلك بالأحاديث الصحيحة في حفظ من ذكر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم مستفيضة كحديث خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب ، ثم قاموا بواجب البلاغ وعنوا بتبليغ من أدركهم من التابعين كتاب الله قراءة وبيانا ، وقد تقدم ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته اقفه عند كل آية ، وأسأله عنها فحفظ التابعون رضي الله عنهم القرآن وفهموه ممن سبقهم وساعدتهم على ذلك ما قام به أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنه من جمع المصحف على ماسيجي بيانه . وهكذا استمر حفظ أهل كل عصر لكتاب الله واشتدت عناية المسلمين به حتى حفظه الصبيان في الكتاتيب ، ولو شاء إنسان في الوقت الحاضر مع بعد العهد بين نزول القرآن أن يجمع القرآن من الصدور من دون اعتماد على المصاحف لوجد في كل دولة من الدول الإسلامية جماعة كثيرة تمليه من حفظها دون رجوع إلى المكتوب لديها والحاضر شاهد عيان بذلك لمن أنصف هذا ، ولو لم يكن سوى ذلك في نقل القرآن لكان كافياً في ثبوت التواتر ، فكيف وقد نقل إلينا متواتراً أيضاً بطريق الكتابة وإليك بيانه :

ثانياً : وصوله إلينا تواتراً بطريق الكتابة :

كما عني النبي ﷺ بتبليغ القرآن بالمشافهة وضبطه بالتلاوة والدراسة ، عني بتبليغه بالكتابة أيضاً ، فكان كلما نزل عليه الوحي بالقرآن دعا كاتبه وأملى عليه ما نزل فكتبه في الصحف والأكتاف ونحوها ، مما كان يستعمل للكتابة في عهدهم . ثبت أنه لما نزل عليه قوله تعالى ﴿ لا يستوى القاعدون

من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴿١﴾ قال النبي ﷺ للبراء: ادع لي زيدا يجيء باللوح والدواة والكتف (١) . . . الخ. رواه أصحاب السنن، ولم تكن الكتابة وقفاً على زيد بن ثابت، بل كان لرسول الله ﷺ كثير من الكتاب منهم في الجملة الخلفاء الراشدون والزيير بن العوام، وخالد بن سعيد العاصي وأخوه ابان، وحنظلة بن الربيع الأسدي ومعيقب ابن أبي فاطمة، وعبد الله بن الأرقم الزهري وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحج، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، والكل هؤلاء من قریش أسلموا قبل الفتح وكتبوا له الحكمة وكتب له بالمدينة أبي بن كعب وزيد بن ثابت، إلا أن زيدا كان أكثر الصحابة كتابة لرسول الله ﷺ، وبذلك اشتهر ومن أجله اختاره أبو بكر وعمر لجمع القرآن ورضيه المسلمون، فقام بذلك خير قيام مع الاستعانة بإخوانه من الصحابة رضي الله عنهم كما هو واضح في بحث جمع القرآن.

جمع القرآن

أولاً : جمعه في عهد أبي بكر :

توفي رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في صدور أصحابه ومكتوب في اللحاق والأكتاف ونحوهما، ولم يكن جمع على هيئة كتاب واحد حيث لم تدع الحاجة إلى ذلك لوجوده ﷺ بين أظهرهم ووجوههم إليه في كل ما اختلفوا فيه، وتوفر هو على حفظه وغير ذلك مما يساعد على صيانتها من التحريف والأمن عليه من الضياع.

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن في باب . ومن سورة النساء (٣٠ ، ٢١) وقال حسن صحيح .

فلما كان عهد أبي بكر واشتدت الفتنة ، وكانت حروب الردة وقتل كثير من القراء في موقعة اليمامة ، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر رضي الله عنهما أن يجمع القرآن ، وبعد نقاش اقتنع أبو بكر بما أشار به عمر ، فأرسل إلى زيد بن ثابت وعرض عليه جمع القرآن وراجعته في ذلك حتى شرح الله صدره لما شرح له صدر أبي بكر رضي الله عنهم ، روى البخاري وغيره أن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ^(١) ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني فقال إن القتل قد استحر ^(٢) بقراء القرآن ، وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك . ورأيت في ذلك الذي رأي عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه . والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان علي أثقل مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ . قال : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر

(١) مقتل أهل اليمامة : أي عقب قتل أهل اليمامة . والمراد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الوقعة مع مسيلمة الكذاب وكان من شأنها أن مسيلمة إدعى النبوة وقوي أمره بعد موت النبي ﷺ بإرتداد كثير من العرب ، فجهز إليه أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة فحاربوه أشد محاربة ، إلى أن خذله الله وقتله ، وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة وقيل أكثر . قاله الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) [١٢/٩] .

(٢) استحرى أي اشتد وكثر (فتح الباري ١٢/٩) .

رضي الله عنهما ، فتتبع القرآن من العصب (١) واللخاف (٢) وصدور الجال ووجدت آخر سورة التوبة من أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ (٣) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر (٤) ، وبهذا يتبين فضل أبي بكر وزيد ومن أعانهم على جمع القرآن رضي الله عنهم فإنهم بذلك قد حفظوا لنا أصل الدين كما حفظوه بالجهاد في سبيل الله .

وفي قراءة الكثير من الصحابة له بعد جمعه على النحو الذي جمعه عليه زيد ومن أعانته تقرير للجمع إجماع على صحته ومن قرأ بقراءة أخرى فإنما اختار لنفسه حرفاً من الحروف السبعة التي بها نزل القرآن من غير أن ينكر على مبدأ الجمع أو ما جمع .

ثانياً : جمع عثمان القرآن وكتابة المصاحف وإرسالها إلى الأمصار :

ثبت أن القرآن أنزل على سبعة أحرف بالتدريج ، ماروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : أقرأني جبريل القرآن على حرف ، فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف (٥) رواه البخاري . وأذن ﷺ لكل من أصحابه أن يقرأ بما أخذ عنه من تلك الأحرف ، تيسيراً لهم ، وتخفيفاً عنهم ، ولم يكن بينهم من الأخلاف ، فيما

(١) العصب : جريد النخل فتح الباري (١٤ / ٩) .

(٢) اللخاف : الحجارة الرقاق فتح الباري (١٤ / ٩) .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

(٤) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب جمع القرآن (٩٨٦) .

(٥) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤٩٩١) .

يدعو إلى المنع من ذلك لقلته واجتماع الصحابة وقلة عددهم بالسنة لمن بعدهم ، ولوجود الرسول ﷺ بين أظهرهم ورجوعهم إليه فيما اختلفوا فيه ، ولم تدع الحاجة في عهد أبي بكر وعمر أيضاً لأكثر من جمع القرآن من غير ترتيب بين سورته ، ولا إلى إلزام الناس أن يقرأوا بحرف واحد من السبعة . ولما انتهت الخلافة إلى عثمان رضي الله عنه ، وكثر المسلمون وانتشروا في البلاد وكانت موقعة أرمينية وأذربيجان ظهر لحذيفة بن اليمان كثرة اختلافهم في القراءة ، ففرع من ذلك ، وأرسل إلى عثمان رضي الله عنه يشير عليه أن يحفظ كتاب الله بما يراه قبل أن يختلف المسلمون فيه كما اختلف اليهود والنصارى في كتابهم ، فقام رضي الله عنه بذلك خير قيام على النحو المذكور فيما رواه البخاري من حديث أنس أن حذيفة رضي الله عنه قدم على عثمان وكان يغازل أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القرآن ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كاختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفظة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (١) .

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب جمع القرآن (٤٩٨٧) والترمذي في تفسير القرآن باب في سورة التوبة (٣١٠٤) .

قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها ، فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١) فألحقناها في سورتها في المصحف (٢) ولا ضير على عثمان رضي الله عنه في أن يلزم الناس بقراءة القرآن على حرف واحد وترك سائر الأحرف السبعة التي أقرأهم إياها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ، وقد أوضح ابن جرير هذا بقوله : إن أمره إياهم لم يكن أمراً يجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر . ويزيل الشك من قراءة الأمة ، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد أن يكون في نقله القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض الأحرف السبعة ، وإذا كان ذلك كذلك لم يكن القيم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما يكون عليهم نقله (بل كان الواجب عليه من العقل ما فعلوا) إذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للإسلام وأهله فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ماله فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك ، فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي ﷺ «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف» بمعزل لأنه معلوم أنه لا حرف من حروف

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب جمع القرآن (٤٩٨٨) .

القرآن مما اختلف القراءة في قراءته بهذا المعنى يوجب المرء به كفر المماري به في قول أحد من علماء الأمة وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمرء الكفر من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون إليه وتظاهرت عنه بذلك الرواية . . .).

حكم القراءة بالأحرف السبعة

وسئل الشيخ رحمه الله تعالى عن : حكم القراءة بالأحرف السبعة في الصلاة وفي غيرها ؟

فأجاب بقول : أراد أبو بكر بن مجاهد أن يجمع المشهور من قراءات قراء العراقيين والحرميين والشام ، لأنهم الذين عنوا أكثر من غيرهم بنصوص الشريعة حفظاً لها وفهماً لفقها وإعداد الوسائل التي يتوقف فهمها عليها ، فجمع على رأس المائة الثالثة ببغداد قراءات سبعة من أئمة القراءة المشهورين بهذه الأمصار ، ليوافق عدد الحروف التي في حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وكان أول من جمع قراءة هؤلاء ولم يعتقد هو ولا غيره أن هذه القراءات هي الأحرف السبعة ، ولا منع أحد آنذاك القراءة بغير قراءتهم : بل قال بعض أئمة القراء : لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قرائها في زمانه في رأس المائتين ، بل يجوز لمن ثبت عنده قراءة الأعمشي شيخ حمزة الزيات أو قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، ونحوهما كما ثبتت لديه قراءة حمزة أن يقرأ بلا نزاع من العلماء المعترين ، بل أكثر العلماء الذين أدركوا قراءة حمزة كأحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة كانوا يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع ونحوه من أهل المدينة وقراءة يعقوب الحضرمي ونحوه من أهل البصرة على قراءة حمزة ، وكان الأئمة من قراء العراق الذين ثبت لديهم قراءة العشرة ، يجمعون ذلك في الكتب تأليفاً ، ويقرءون في الصلاة وفي غيرها ، وهذا متفق عليه بين العلماء ، وإغما ينكر على من قرأ بقراءة لم تثبت عنده ، ولم يكن عالماً بها ، فإن القراءة سنة متبعة ، فمن علم منها شيئاً قرأ به ، وليس

لأحد أن ينكر عليه ذلك ، ومن جهل منها شيئاً حرم عليه القراءة به سواء كان من القراءات السبعة أو غيرها .

٢- إن الأحرف السبعة لا تتناقض بل تتحد في أصل معناها أحياناً ، وتختلف اختلاف تنوع أحياناً لا اختلاف تضاد ، فتفيد كل آية حكماً ، وتكون كل قراءة بالنسبة للأخرى كالآية بالنسبة لآية أخرى ، والجميع حق فيما أفاد من الأحكام لا يجوز لأحد أن ينكره أو يترك العمل به .

٣- مصحف عثمان رضي الله عنه هو أحد الأحرف السبعة وهو موافق للعرضة الأخيرة ، وقال طوائف من القراء والفقهاء ، وعلماء الكلام إن مصحف عثمان مشتمل على الأحرف السبعة ، إذ لا يجوز أن تهمل الأمة نقل شيء من هذه الأحرف ، وحيث اتفقوا في خلافة عثمان على نقل هذا المصحف دون سواه دل ذلك على أنه مشتمل على الأحرف السبعة ، وأيضاً لو كانت خارجة عن رسم المصحف لنهى عن القراءة بها ، لكن لم ينه عن القراءة بأي حرف منها ، فكان داخلاً في رسم المصحف ، وأجيب عن ذلك بما ذكره ابن جرير في مقدمة تفسيره من أنه ليس من الواجب نقل كل حرف من الأحرف السبعة ، بل يكفي حفظ القرآن في حرف منها ، وقد اختير الحرف الموافق للعرضة الأخيرة ، ولم تكن القراءة بالأحرف السبعة واجبة على كل واحد من الأمة ، ولا على كل الأمة بحيث لا يفوتها في جملتها حرف منها ، فإن القراءات نزلت رخصة لهم ، وتسهيلاً عليهم ، فلما سهلت عليهم القراءة بحرف واحد اتفقوا على حرف منها دفعاً لخطر الفرق .

٤- ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم منصوصاً ، بل كان باجتهاد الصحابة ، بخلاف ترتيب الآيات في السورة ، فإنه توقيفي .

٥- أمثلة للقراءات :

أ- ﴿والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى، والذكر والأنثى﴾ .

ب- ﴿إن كانت إلا رقة واحدة فصيام ثلاثة أيام متتابعات﴾ .

ثلاثتها عن ابن مسعود رضي الله عنه .

٦- الخلاف في القراءة بما خرج عن رسم المصحف العثماني :

روي عن كل من مالك وأحمد رويتان :

جواز القراءة بها في الصلاة وغيرها ، لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بها في الصلاة .

والرواية الثانية : المنع لأنها ليست من الحروف السبعة ، لأنها لم تثبت متواترة ، وبتقدير ثبوتها متواترة فهي منسوخة بالعرضة الأخيرة ، التي رُوِجت في مصحف عثمان رضي الله عنه ، ونقل عن أبي البركات ابن تيمية المنع من القراءة بها في القراءة الواجبة والجواز في غير الواجبة ، وبذلك تعرف الرد على من يدعي الاتفاق على المنع من القراءة بما خرج عن رسم المصحف .

قال القاضي أبو بكر ابن الباقلاني : يجب القطع بنفي قرآنية ما لم يثبت من القراءات أنه من الأحرف السبعة ، وجمهور العلماء على أنه لا يجب القطع بالنفي ، ولذلك جوزوا القراءة بها في الصلاة مطلقاً أو في غير الواجب ، ولم يكفر من أثبت البسملة قرآناً بين كل سورتين للفصل ، وعلى أنها آية أو بعض آية من كل سورة .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الرابع

رؤية لواقع العالم الإسلامي

س ١ : فضيلة الشيخ في الوقت الذي نرى فيه العالم الإسلامي اليوم من فرفة وانقسام وضياع لمقدسات المسلمين وموالاته لبعض دول الغرب الكافرة ، والبعض الآخر لقوى الشرق يسأل الشباب المسلم عن دوره تجاه دينه وتجاه أمته الإسلامية حتى تعود للمسلمين عزتهم ومقدساتهم ؟

الجواب : الجواب عن هذا نأخذه من تاريخ المسلمين .

أولاً : كيف كثروا بعد أن كانوا قلة ، وكيف اجتمعت قلوبهم على قلب رسول الله ﷺ وكانوا جبهة وقوة بعد ضعف ، وكيف انتصروا على أعدائهم ؟ وبماذا كان هذا الانتصار ؟ وبما كانت هذه الوحدة وهذا التآلف بينهم ؟ وبما كان هذا التآخي ، وعلى أي شيء كان التآخي ؟ إذا نظرنا في تاريخ المسلمين وجدناهم كالجسد الواحد يتأثر كل فرد منهم بما يصيب أخاه ؛ وكل جانب أو بلد من البلاد التي كان يسكنها المسلمون في الصدر الأول في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، والصحابه ، والتابعين ومن تبعهم في القرون الثلاثة الأولى نجدهم جميعاً كانوا وحدة لا تتجزأ ، ويحس واحد منهم بإحساس الآخر ، انظر إلى المادة أو الغذاء أو الدينامو إن شئت أن تسميه دينامو الذي بعث في قلوبهم تلكم القوة ، وأثار تلكم القلوب وأحياها ، وجعل فيها إن شئت قل الصواريخ التي تصيب أعدائهم ، وإن شئت قل السهام والنبال ، وإن شئت قل السيوف ، أذكر ما شئت من العدد الحربية والقوة القلبية والشجاعة النفسية ، أذكر ما شئت من هذا ، مبعثه أمر واحد وهو الاعتقاد والإيمان بكتاب الله - جل شأنه - وبما جاء في سنة رسوله

ﷺ مما يتصل بأسماء الله وصفاته، وبما يتصل بتوحيد العبادة والإخلاص فيها لله وحده وبما يتصل بالجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته ونصرة لدينه وإحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل وقضاءً على الكفر وأنصاره، هذا المعنى هو مبعث الإخاء والقوة التي في قلوب المسلمين والشجاعة التي في قلوب المسلمين.

وأضرب لكم مثلاً بأمر واقع في غزوة الحديبية ^(١) الرسول ﷺ كان معه ألف وأربعمائة مقاتل، ولما وصل إلى المكان المسمى بالحديبية وهو قريب من وادي فاطمة، بركت ناقته وأرادوا أن يسيروها بالإكراه فقال: دعوها فإنها مأمورة فتركوها ثم بلغه أن أهل مكة في شدة وفي إباء أن يقبلوا دخوله، وأرسل إليهم عثمان بن عفان ليرى شأنهم فتأخر بالرد على النبي ﷺ ووقع في نفوس الكثيرين أنه قُتل أو أُسر.

وكان القصد من إرسال عثمان إلى هناك لكي يتبين الأمر، فلما تأخر وظنوا به الظنون عاهد النبي ﷺ أصحابه على القتال وألا يفروا من وجه الكفار حتى ولو جاءوا بجميع ما عندهم من قوة، بايعوه جميعاً وسميت البيعة ببيعة الرضوان.

في الوقت نفسه ^(٢) اجتمعت قريش للنظر في كيفية مواجهة النبي ﷺ، وذلك بعد أن أبلغهم بدليل بن ورقاء الخزاعي بقوله إنني قد جئتكم من عند

(١) حديث صلح الحديبية أخرجه البخاري (٢٧٣١)، (٢٧٣٢).

(٢) سقط من الشريط وقمنا بتكملة العبارة من كتاب الرحيق المختوم لصياغة الجملة.

هذا الرجل ، وسمعتة يقول قولاً فإن شئتم عرضتهم عليكم فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم : هات ماسمعتة فقال : سمعتة يقول إنا لم نأتي لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا أن يخلوا بيني وبين الناس ، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإن أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن أمره .

وعلى أثره بعثت قريش مكرز بن حفص فلما رآه ﷺ قال : هذا رجل غادر فلما جاء وتكلم قال له مثل ما قال لبديل فرجع إلى قريش وأخبرهم .

ثم قال رجل من كنانة اسمه الحليس بن علقمة : دعوني آتة فقالوا آتته فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فبعثوا له واستقبله القوم يلبون ، فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، فرجع إلى أصحابه فقال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت وما أرى أن يصدوا وجرى بينه وبين قريش كلام كثير فقال عروه بن مسعود الثقفي إن هذا قد عرض عليكم خطه رشد فأقبلوها ودعوني أن آتية فأتاه فجعل يكلمه فقال له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل فقال له عروة عند ذلك : أي محمد أرايت لو استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً وأرى أوباشاً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك فقال له أبو بكر : أمصص بظر اللات أنحن نفر عنه ؟ قال : من ذا ؟ قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لو لا يد كانت له عندي لم أجزله بها لأجبتك وجعل يكلم النبي

ﷺ ، وكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة مدجج بالسلاح واقفاً على رأس النبي ﷺ ، ولم يعرفه ومع أنه يعرفه أيام الكفر وكان من أصدقائه ، والمفيد أنه أشار إلى يده بالسلاح وقال : كف يدك وهدده بقطعها إذا لم يكفها ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : المغيرة فقال له : يا غدر بالأمس غسلنا سوءتك ، فقال لو أن له عندي يداً لقابله بمثلها ، يقصد لماذا أهنته وأسأت إليه كما أساء إلي ، لكن له الفضل ، وله المنة فأعرف له الجميله وسكت عنه وكف يده ، لكن قال كلمة سيئه هي التي يسمونها اليوم حرب أعصاب ، قال للنبي ﷺ جئت بجيش بعضه غفاري ، وبعضه جهني ، وبعضه من المهاجرين ، وبعضه من الأنصار ، وهم قسمان أوس ، وخزرج ، وبين الفريقين ما بينهما من العداوة والبغضاء في زمن الجاهلية ، وهم أخلاط جئت بهم من كل ما هب ودب ، وهم خليط ، كيف أمنت على نفسك أن تحارب قومك ويحمي هؤلاء ظهرك ، يريد أن يفترهمة النبي ﷺ وأن يخدعه ، ويخدع قومه حتى يمهّد بذلك للصلح والرجوع دون أن يدخل مكة ، ولكن أبو بكر لم يستطع أن يصبر وأن يترك الجواب للنبي ﷺ بل قال له أمصص بظر اللات ، البظر هو الذي يقطع في الختان من البنت ، واللات صنم يُعبد وقريش يعبدونه ، فقال له سخرية به واستهزاءً بإلهه وبالكفار جميعاً ، إن أخوة الإيمان أقوى من أخوة النسب ، ولننظر إلى هذا الرباط الروحي ، الرباط القلبي ، رباط الإيمان يجمع بين القلوب أكثر مما يجمع النسب بين القلوب .

كان الإيمان حلقة اتصال بين المؤمنين .

كان الإيمان رباطاً انبنى عليه الإخاء الصادق ، وانبت عليه الأخوة الصادقة ، وإخلاص كل منهم للآخر ، وإخلاص الجميع لله وحده ، والرضا بقضائه وقدره رضا يجعله لا يجبن عن القتال ، ولا يتأخر عن مواجهة الكفار أعداء الله ، وأعداء المسلمين كما قال تعالى في بداية سورة الممتحنة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (١) وكما أمر الله تعالى المسلمين بأن يؤاخي بعضهم بعضاً ، وأن يربطوا بينهم برباط الإيمان ، وأن يجعلوه مقدماً على النسب ، وقال في سورة براءة ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢) .

فبين أن قلوب المؤمنين يجب أن تكون ممتلئة بحب الله ، وبحب رسول الله ، وبالحب بين المؤمنين فيما بينهم وأن يكون هذا الحب مقدماً على كل شيء من متاع الدنيا وحطامها ، ومن الأقارب ، ومن الأزواج ، ومن الأولاد ، ومن كل شيء إلا الله ورسوله ، وإلا التشريع الإسلامي ، فهذا يجب أن يكون في قلوبهم مقدماً على كل شيء .

بهذا حقق الله للمسلمين القوة التي لا يستطيع الكفار أن يدفعوها مهما كان عددهم .

(١) سورة الممتحنة ، الآية رقم ١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية رقم ٢٤ .

كان الروم كثرة ، والمسلمون قلة ، ومع ذلك انتصروا عليهم .

كان كسرى ، والفرس قوة في الجاهلية ، وفي صدر الإسلام يخشاهما
ويقدرهما الناسُ قدرهما ، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يقفوا في وجوه
المسلمين .

وقد بشر الرسول ﷺ المسلمين بأنهم سينتصرون على الروم ، وأنهم
سينتصرون على كسرى ، وأنهم سيسكنون بلادهم ، ويعمرونها بالإسلام ،
وأنهم سيأخذون كثيراً من أموالهم ، وتُفتحُ عليهم الدنيا بكثرة هذا كله ،
نتيجة لما لديهم من إيمان جعله الله جل شأنه حياة لهم وقوة لهم ، فلم
يخشوا على أنفسهم من القتال ولا من الجهاد في سبيل الله ، ولم يتفرقوا
فيما بينهم ، وكان المشركون يخشون منهم ، وهم على مسافة بعيدة ، وينزل
بهم الرعب على مسافات كثيرة فكانوا ينصرون بمجرد السماع ، وهذا من
فضل الله جل شأنه جزاءً للمسلمين على ما وهبهم من قوة إيمان ، وقوة
إحياء ، وحب في الله ، وبغض في الله ، وعمل بتشريع الله سبحانه
وتعالى .

هذا الذي كان في الأول هو العلاج الذي يجب أن يكون اليوم ، ولم
تجتمع كلمة المسلمين إلا بمثل ما اجتمعت عليه كلمة آبائهم ، وأجدادهم من
المؤمنين الأولين .

هذا هو الطريق الذي رسمه الله وبينه رسوله ﷺ . وعمل به المسلمون
الأولون ، فإذا رجع المسلمون إليه في الوقت الحاضر رجع إليهم مجدهم ،

ونصرهم ، ووحدتهم ، ورعبوا أعدائهم ، وما داموا على الوضع الذي هم عليه ، ولم يتحولوا عنه لا قدر الله فهم في شر ، وفرقة ، وخصومات ، وأحقاد ، وضغائن أسأل الله السلامة والعافية .

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الخامس

الشعر والاتجاهات البلاغية

الموازنة بين الشعراء والاتجاهات البلاغية

تبدأ هذه المرحلة بعد القرن الثالث الهجري وفي هذه المرحلة رسخت بعض القيم الأدبية بنيت عليها الموازنة بين الشعراء والاتجاهات البلاغية لأمرين :

الأول : المباحث البلاغية التي وضحت إعجاز القرآن فقد كان لها الأثر العظيم في تنشيط الدراسات .

الثاني : التراث الأدبي اليوناني الذي ترجم إلى اللغة العربية ، وخاصة كتابي أرسطو عن الشعر ، ومن أشهر ما ألف في ذلك كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري ، لأبي القاسم الأمدي .

لقد أجرى فيه المقارنة بين هذين الشاعرين في جزئيات النصوص ، ولم يتنصر لأحدهما على الإطلاق بل تخلص من الحكم الكلي بينهما ، ومع ذلك فإن البحري فضل جيد شعر أبي تمام على جيد شعره ومن أشهر الكتب في هذه المرحلة أيضاً كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني .

ذكر فيه أن أهل الأدب فريقان في المتنبي ، فريق أطنب في مدحه ، وغلا في تقريظه ، وفريق حاول أن يحطه عن منزلة بوأها إياها أدبه واجتهد في اخفاء فضائله ، فحاول الجرجاني في هذا الكتاب إنصاف المتنبي من خصومه ، والحد من الغلو فيه .

المرحلة الرابعة : تبدأ من آخر القرن الرابع الهجري إلى آخر القرن الخامس ، وتعتبر أخصب مرحلة في النقد وتعتبر هذه المرحلة موضوع الاتجاه البلاغي منها ، فقد صار الأدبا يعشرون ما في النصوص أولاً خير في حسن وجمال أو تنج وتعقيد بما في علوم البلاغة من تشبيه وأستعارات وكناية ، وما فيها من محسنات البديع من منابه ، وطباق وتورية ، وفي ذلك مزج بين البلاغة والنقد ، وقد نشأ عنه أعمال نقدية خالدة .

بدأت علوم البلاغة تأخذ طريقها في الاستغلال منذ ألف عبدالله بن المعتز كتابه «البديع» الذي جمع فيه بعض ما وجدته في القرآن واللغة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أشعار الصحابة والأعراب وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع .

ويتضح من كلام ابن المعتز الحقائق الثلاث الآتية

١- أن أنواع البديع كانت مدونة ملاً في النصوص الأدبية قبل ابن المعتز .

٢- أنه أول من ألف كتاباً أظهر فيه خصائص البديع ، فسمى ذلك بعده بعلم البديع .

٣- قسم ابن المعتز البديع إلى أقسام رئيسية كالاستعارة والجناس ، والمطابقة واستشهد لكل منها بنماذج من الشعر والنثر .

ثم أتى أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين الشعر والنثر ، وذكر فيه قواعد بلاغية في نماذج تطبيقية تساعد من التزمها على البعد عن التعقيد وعن الإخلال بالبلاغة والفصاحة وتساعد على معرفة أسرار إعجاز القرآن .

ألف عبد القاهر الجرجاني كتابين بارزين في النقد والبلاغة ، هما « دلائل الإعجاز » و (أسرار البلاغة) بين فيهما أن الألفاظ خدم للمعاني وفرع عنها ، وعاب على الذين يسرفون في مراعاة الألفاظ حتى أفسدوا المعاني ، وخصص كتابة (دلائل الإعجاز) لتحليل النماذج القرآنية الأدبية وخلص منها إلى أن بلاغة الكلام ترجع إلى طريق نظمه وبين فيه أسرار إعجاز القرآن كتابة أسرار البلاغة فهو تفسير لسر إحساسنا بالبلاغة وأن ذلك يرجع إلى مبلغ تأثير الكلام في نفوسنا لشعر بجماله .

المرحلة الخامسة : أن من القرن الخامس ، وليس فيها أعمال نقدية لها قيمة اللهم إلا في كتاب (الكشاف) للزمخشري ذلك الذي كشف فيه عن أوجه بلاغية جديدة في عبارات القرآن ، وبينها في تفسيره اللغوي والبلاغي للآيات الكريمة .

ثم ألف ابن الأثير كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » جمع فيه الكثير من الشعر النثر ، فإن في كثرة التقسيمات التي ذكرها في كتابه إيذان بانفصال علوم البلاغة عند النقد حتى أصبحت بعد ذلك مجرد قواعد وتعريفات جامدة جافة ثم خمدت روح النقد والبلاغة حتى القرن الرابع عشر الهجري ، « العشرين ميلادنا » ثم نهض النقد من جديد ، فساعد الأدباء على أداء رسالتهم وساعد القراء على فهم الأعمال الأدبية الأصيلة .

انتهى الجزء الثاني ويتلوه الجزء الثالث ..

رَفَعُ

عبد الرحمن (المعري)
أسكنم الله الفردوس

الفهرس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الصفحة

الموضوع

٣	تقديم الشيخ محمد عيد العباسي
٧	المقدمة
١٥	الفصل الأول : رسائل في التوحيد
١٧	تفسير مختصر لسورة الفاتحة
٣١	مباحث ومسائل في التوحيد
٣٢	مقدمة في تعريف التوحيد
٣٢	تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام
٣٧	مسائل ومباحث في التوحيد
٣٩	المسألة الأولى : إثبات أن العالم ممكن
٤٠	المسألة الثانية : الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر
٤١	المسألة الثالثة : في إثبات وجوب وجود الله سبحانه وتعالى
٤٨	المسألة الرابعة : في أنواع التوحيد
٤٨	أولاً : توحيد الربوبية
٥٠	ثانياً : توحيد الأسماء والصفات
٥٧	ثالثاً : توحيد الإلهية
٦١	مبحث : في العرش والكرسي وإثبات صفة العلو لله
٧٩	المسألة الخامسة : الفرق بين النبي والرسول وبيان النسبة بينهما

الصفحة	الموضوع
٨٠	المسألة السادسة : في حاجة البشر إلى الرسالة
٨٣	المسألة السابعة : في إمكان الوحي والرسالة
٩٠	المسألة الثامنة : المعجزة والفرق بينها وبين السحر
٩٣	مبحث : في وجوب الإيمان بالبعث والنشور وبيان شبهتهم في إنكارهم يوم القيامة
١٠٥	مبحث : في أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، وأنهما باقيتان لاتفنيان
١١٧	مبحث : في محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وموالاتهم والرد على الروافض والنواصب
١٢١	* الكرامات :
١٢٧	التعريف بأهل السنة والجماعة وتميزهم عن الفرق الإسلامية
١٢٩	من هم أهل السنة ؟
١٣١	الفرق الإسلامية
١٣٩	كبار الفرق الإسلامية
١٤٣	الفرق وتشعبها
١٤٣	* الأزارقة :
١٤٣	- النجدات العاذرية :
١٤٤	- العجاردة :

الصفحة	الموضوع
١٤٥	- الثعلبية :
١٤٦	- الإباضية :
١٤٧	الشيعة
١٤٧	رؤوس فرق الشيعة
١٤٩	- الزيدية
١٥١	- الإمامية
١٥٥	- الكيسانية
	مقالات للمؤلف
١٦١	أ- مبدأ وميثاق
١٦٥	ب- الدعوة إلى العلم والعمل
١٦٩	ج- من أسباب الانحراف والصدود عن الحق
	سؤال وجواب من الشيخ : هل يجوز شراء أسلحة لمحاربة
١٧٥	الكافرين من أموال الزكاة ؟
١٧٧	الفصل الثاني : فتاوى في الصلاة
١٧٩	س ١ : حكم تارك الصلاة مع الجماعة في المسجد
١٨٧	س ٢ : تحية المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة
١٩٣	س ٣ : هل صلاة التراويح ثلاث عشرة ركعة أم اثنتان وعشرون ؟
١٩٦	س ٤ : هل تصح صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ؟
٢٠٠	س ٥ : هل صلاة العيد تجزيء عن صلاة الجمعة ؟

الصفحة

الموضوع

- ٢٠٣ الفصل الثالث : مباحث في القرآن
- ٢٠٥ أ- مباحث الأدلة
- ٢٠٨ ب- نقل القرآن تواتراً ووصوله إلينا خطأ وكتابة
- ٢٠٨ أولاً : وصوله إلينا تواتراً بطريق الحفظ
- ٢٠٩ ثانياً : وصوله إلينا تواتراً بطريق الكتابة
- ٢١٠ جمع القرآن
- ٢١٠ أولاً : جمعه في عهد أبي بكر
- ٢١٢ ثانياً : جمعه في عهد عثمان
- ٢١٧ س : ما حكم القراءة بالأحرف السبعة في الصلاة وغيرها ؟
- ٢٢١ الفصل الرابع : رؤية لأحوال العالم الإسلامي
- ٢٢٣ س ١ : كيف يعود للمسلمين عزهم ومجدهم ؟
- ٢٣١ الفصل الخامس : الشعر والاتجاهات البلاغية
- ٢٣٣ أ- الموازنة بين الشعراء والاتجاهات البلاغية
- ٢٤٠ الفهرس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس